
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي





مجلة المجمع العلمي

الجزء الثالث ـ المجلد السادس والخمسون

بغـــداد

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة اخرى .

٤- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية .

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة كلمة .

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو الصور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

٧- يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلة مع عشر مستلات من بحثه مع مكافأة تقديرية وفق نظام المكافآت المعمول به في المجمع العلمي .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجه البحوث والمراسلات إلى: رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي.

ص.ب. (٤٠٢٣) بغداد ـ جمهورية العراق.

هاتف: (٤٢٢٤٢٠٢)، فاكس: (٤٢٢٢٠٦٦/١-٩٦٤).

البريد الالكتروني: iraqacademy@yahoo.com

ـ الاشتراكات: داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنويا.

خارج العراق (٥٠) دولار أمريكي سنويا وتضاف أجرة البريد.

الفهـرس

معانـــــي النحـــــو

الدكتور احمــد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

الملخص :

يتعرض البحث لمعاني النحو التي أصبحت جزءً من علوم البلاغة ، ويبين مزاياها وأثرها في التعبير ، ويذكر أنها المرحلة الثانية بعد إتقان قواعد النحو الأساسية .

وينتهي الى أن معاني النحو ينبغي أن تبقى في البلاغة لأنها تتصل بالأساليب وتحليلها .

(١)

لم يجهل القدماء الفرق بين صحة الإعراب ودقة التعبير ، فالأول تجنبُ اللحن الذي أخذ يزداد كلما تقدم الزمن ، وأصبح يشمل الأصوات اللغوية ، وتغيير حركة حروف الكلمة وإعرابها ، واستعمال صيغة التفضيل ، والأسماء الخمسة ، وغيرها مما كان يقع فيه المنشئون والمتحدثون[١].

والثاني صياغة الكلام ، ووضعه موضع القصد ، وما يؤدي من معانٍ ، باختلاف الأساليب وتنوعها للتعبير عن المقصود .

وتكفل بالأول (النحو) وهو : ((علم يُعرف به أحوال أواخر الكلمات إعرابا وبناء)) وبعبارة أدق وأوسع مدى ، هو : ((أنْ تنحو معرفة كيفية التركيب فيها بين الكلم لتأدية أُصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من

---

[١] ينظر تفصيل ذلك في كتاب فصول في العربية ص ١٠١ وما بعدها .

استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب[٢])) .

وعُني بالثاني (علم المعاني) وهو : ((تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليُحترَزَ بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيقِ الكلام على ما يقتضي الحال ذكره))[٣]، أو هو : ((علم يُعرف به أحوال اللفظ العربيِّ التي بها يُطابق مقتضى الحال))[٤].

وحُصِر (علمُ المعاني) في ثمانية أبواب هي : أحوال الإسناد الخبري ، وأحوال المسند اليه ، وأحوال المسند ، وأحوال مُتعلِقات الفعل ، والقصر ، والإنشاء ، والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب والمساواة .

ووجه الحصر ((أنَّ الكلام إما خبر أو إنشاء ، لأنه إما أنْ يكونَ لنسبته خارج تطابقه أو لا تُطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول الخبر ، والثاني الإنشاء ، ثم الخبر لا بدَّ له من إسناد ومسند اليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى ، ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا ، أو متصلا به ، أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهو الباب الرابع ، ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس ، والإنشاء هو الباب السادس ، ثم الجملة إذا قُرنت بأُخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأُولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب

---

[٢] مفتاح العلوم ص ٣٧ .

[٣] مفتاح العلوم ص ٧٧ .

[٤] الايضاح ص ١٢

السابع ، ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة ، أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن))[٥].

وهذا ما استقرت عليه كتب البلاغة في الكلام على مباحث (علم المعاني) وهي وشيجة الصلة بمباحث النحو ، وإن اختلف القصدُ والسبيل .

(٢)

نشأت البلاغةُ كما نشأت علومُ اللغةَ العربية الأُخرى ، وقد اتصلت بها تلك العلوم وغيرها من الاتجاهات ، وكان النحو أقربها اليها ، وكانت في كتب أوائل النحاة بذور البلاغة ، مثل (كتاب سيبويه (ــ ١٨٠ هـ) و(معاني القرآن) للفراء (ــ ٢٠٧ هـ) و (قواعد الشعر) لثعلب (ــ ٢٩١ هـ)[٦] .

ونمت تلك البذور ، وأصبحت علما تفرَّدَ بمباحثه وأهدافه ، وهو (علم البلاغة) ، والبلاغة هي : ((بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حَدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها))[٧] . وأصبحت ثلاثة علوم هي : المعاني ، والبيان ، والبديع ، والأول ألصق بالنحو ، وهو ما يبدو في كتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني (ــ ٤٧١ ــ أو ٤٧٤ هـ) ، وكتاب (نهاية الايجاز في دراية الإعجاز) لفخر الدين الرازي (ــ ٦٠٦ هـ) ، وكتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي (ــ ٦٢٦ هـ) . وكتابي (التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز

---

[٥] الايضاح ص ١٣ .

[٦] ينظر تفصيل ذلك في كتاب مناهج بلاغية ص ٩٧ وما بعدها .

[٧] مفتاح العلوم ص ١٩٦

القرآن) و (البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن) لابن الزملكاني (ـ ٦٥١ هـ) وكتابي (التلخيص) و (الإيضاح) للخطيب القزويني (ـ ٧٣٩ هـ) وشروح التلخيص وكتب البلاغة التي اتخذت تقسيم السكاكي أساسا في التأليف .

ولم تكن لكتب البلاغة والنقد التي سبقت هذه الكلمة صلةٌ بمباحث النحو التي أصبحت (معاني النحو) في كتاب (دلائل الإعجاز) و (علم المعاني) في كتاب (مفتاح العلوم) وكتب البلاغة التي أُلفت بعده .

ومن الكتب التي لم تتطرق لموضوعات (علم المعاني) كتاب (البديع) لعبد الله بن المعتز (ـ ٢٩٦ هـ) و (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (ـ ٣٣٧ هـ) و (البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الكاتب ـ معاصر قدامة ـ و(كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ـ ٣٩٥ هـ) و (العمدة) لابن رشيق القيرواني (ـ ٤٦٣ هـ) و (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ـ ٤٦٦ هـ) و (البديع في نقد الشعر) لأسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ) .

ولا يعني إهمالهم مباحثَ (علم المعاني) في كتبهم أَنهم لا يقرون أَهمية النحو ، فضياء الدين بن الأَثير (ـ ٦٣٧ هـ) ـ مثلا ـ عَدَّ معرفة علم العربية من النحو والتصريف الآلة الأُولى من آلات علم البيان وأَدواته ، وقال : إِنَّ النحو في علم البيان من المنظوم والمنثور ((بمنزلة أَبجد في تعليم الخط ، وهو أَول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أَحد ينطق باللسان العربي ليأمن معرَّةَ اللحن))[٨]، وإِنَّ ((الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه

---

[٨] المثل السائر ج١ ، ص ١٠ . وينظر الجامع الكبير ص ٧ .

يقدح في الجاهل به نفسه ؛ لأنه رسوم قوم تواضَعوا عليه ، وهم الناطقون باللغة ، فوجب اتباعهم))[9].

ولكنه ـــ على الرغم من أنه يَعدّ النحو أصلا من آلات علم البيان وأدواته ـــ ، يرى أنّ الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والإعراب ، وكان ينتقد اللغويين والنحاة كأبي الفتح عثمان بن جني (ـــ ٣٩٢ هـ) الذي قال في تفسير البيتين :

كلُّ جريح تُرجى سلامته	إلا جريحا دَهَتْه عيناها
تبلُّ خـــديّ كلما ابتسمـــت	من مطـــر برقُه ثنايـــاها

((إنها كانت تبزق في وجهه)) . وعلق ابن الأثير على هذا بقوله : ((وما كنت أظن أنّ أحدا من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهْمُ هذا الرجل وخاطره . وإذا كان هذا قول إمام من أئمة العربية تُشدّ اليه الرحال ، فما يُقال عن غيره . لكنّ الفصاحةَ والبلاغة غير فن النحو والإعراب))[10].

وقال : ((إنّ علم الشعر والمعرفة بجيده ورديئه لا يحيط النحوي به علما بمجرد معرفته لعلم النحو ، وذاك أنه ينظر في دلالته على المعاني من جهة الاصطلاح المتفق عليه في أصل اللغة . وتلك دلالة عامة ، لأنها دلالة كل لفظ على كل معنى في أنه صواب أو خطأ من جهة ذلك الاصطلاح لاغير . وأما صاحب علم الشعر فإنّه ينظر في دلالة بعض الألفاظ على

---

[9] المثل السائر ج١ ، ص ١٨ .

[10] المثل السائر ج١ ، ص ٣٨٣ .

بعض المعاني ، وتلك دلالة خاصة ، وهي أنْ تكون على هيئة مخصوصة من الحسن .

ومثال علم الشعر وعلم النحو مثال خاص وعام كالطب بالنسبة الى العلم الطبيعي ، أو كالموسيقى بالنسبة الى علم الحساب ، فانَّ الطبيب ينظر في جسم الانسان من حيث يصح ويمرض ، وصاحب العلم الطبيعي ينظر في ماهية كل جسم من الأجسام على اختلافها لا من جهة صحتها ومرضها ، وكذلك صاحب الموسيقى فانه ينظر في نسبة النغمات بعضها من بعض كنسبة النصف ، ونسبة الضعف وغيرهما ، وتلك نسب مخصوصة . والحاسب ينظر في مقادير الأعداد على اختلافها نسبية وغير نسبية ، وإذا ثبت هذا فصاحب العلم الطبيعي لا يكون طبيبا بمجرد معرفته بعلم الطبيعة ، ولا الحاسب يكون موسيقيا بمجرد معرفته بعلم الحساب . وهكذا النحوي فأنه لا يكون عالما بالشعر جيده ورديئه بمجرد كونه نحويا من غير خوض في التنقيب عن معاني الشعر وألفاظه ، وذلك هو علم الفصاحة والبلاغة ، وهو علم منفرد برأسه))[١١].

(٣)

أختلفت مباحث النحو في كتب البلاغة عما بحثته كتب النحو ، إذ عُنيت البلاغة بأساليب التعبير ، وما وراءها من معانٍ ، وإبداع ، وروعة وتأثير ، واهتم النحو بالإعراب والبناء ، وصحة تراكيب الكلام ، أي أَنَّ النحاة قصروا جهدهم على البحث في أواخر الكلم ، ويرى ابراهيم مصطفى أنهم ((قد أخطأوا من وجهين :

---

[١١] الإستدراك ص ٥ .

الأول : أنهم حين حددوا النحو وضيقوا بحثه حرموا أنفسهم وحرمونا إذ اتبعناهم ، من الاطلاع على كثير من أسرار العربية ، وأساليبها المتنوعة ، وقدرتها في التعبير ، فبقيت هذه الأسرار مجهولة ، ولم نزل نقرأ العربية ونحفظها ونرويها ، ونزعم أننا نفهمها ، ونحيط بما فيها من إشارة ، وبما لأساليبها من دلالة ، والحق أنه يخفى علينا كثير من فقه أساليبها ودقائق التصوير بها .

الثاني : أنّهم رسموا للنحو طريقا لفظيا فاهتموا ببيان الأحوال المختلفة للفظ من رفع أو نصب من غير فطنة لما يتبع هذه الأوجه من أثر في المعنى))[12].

وكان معجبا بأبي عبيدة معمر بن المثنى (ـ ٢٠٨هـ) الذي تجاوز الإعراب الى غيره من القواعد العربية في كتابه (مجاز القرآن)[13]، وبعبد القاهر الجرجاني الذي ((رسم في كتابه (دلائل الإعجاز) طريقا جديدا للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلمة وعلامات الإعراب ، وبيّن أنّ للكلام نظما ، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل الى الإبانة والإفهام ، وأنه إذا عُدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهما معناه ، ولا دالا على ما يُراد منه))[14].

---

[12] إحياء النحو ص ١٧ ـ ١٨ .

[13] ينظر إحياء النحو ص ١١ وما بعدها .

[14] إحياء النحو ص ١٦ .

ودعا الى العودة الى ما سنّه عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) إذ آنَ لمذهبه ((أنْ يحيا ، وأنْ يكونَ هو سبيل البحث النحوي))[١٥].

(٤)

أَلَّف عبد القاهر كتاب (دلائل الإعجاز) بعد أنْ درس النحو ووضع فيه عدة كتب[١٦]، وكان يُعدّ من النحاة قبل أن يلتفت الدارسون الى هذا الكتاب وكتاب (أسرار البلاغة) ، وكان النحو مما شغله طويلا ودافع عنه ، وعَدَّ الجهل به ((في معنى الصادّ عن سبيل الله ، والمبتغي إطفاء نور الله تعالى))[١٧].

وقال في أهميته : ((إذ قد كان عُلِمَ أنَّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه ، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه . ولا يُنكر ذلك إلا مَنْ يُنكر حسَّــه ، وإلا مَنْ غالط في الحقائق نفسه ، وإذا كان الأمر كذلك . فليت شعري ما عُذْرُ مَنْ تَهاونَ به ، وزهِدَ فيه ، ولم يُرد أنْ يستقيه من مصبه ، ويأخذه من معدنه ، ورضي لنفسه بالنقص ، والكمال لها مُعْرِض ، وآثر الغبينة ، وهو يجد الى الربح سبيلا))[١٨].

---

[١٥] إحياء النحو ص ٢٠ .

[١٦] تنظر في كتاب عبد القاهر الجرجاني ص ٢٥ وما بعدها .

[١٧] دلائل الإعجاز ص ٨ .

[١٨] دلائل الإعجاز ص ٢٨ .

والنحو ــ عنده ــ ميزان الكلام ومعياره ، ولا يستقيم المعنى في الكلام ، ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد ، إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص [١٩].

وبيّن خصائصه وارتباطه بنظم الكلام الذي بنى عليه (نظرية النظم) وقال في مدخل (دلائل الإعجاز) : ((هذا كلام وجيز يطلع به الناظر على أُصول النحو جملة وكل ما يكون به النظم دفعة ، وينظر منه في مرآة تُريه الأشياءَ المتباعدة الأمكنة قد التقت له حتى رآها في مكان واحد ، ويرى به مُشْئِما قد ضَمَّ الى مُعْرِق ، ومُغْرِبا أخذ بيد مُشْرِق . وقد دخلت بأخرة الى كلام مَن أصغى اليه وتدبره تدبُّرَ ذي دِين وفتوَّة دعاه الى النظر في الكتاب الذي وضعناه ، وبعثه على طلب ما دوَّناه))[٢٠].

والنظم ــ عنده ــ توخي معاني النحو ، أي ((تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض))[٢١]. ولا نظم ((في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويُبنى بعضها على بعض ، وتُجعل هذه بسبب من تلك))[٢٢]، والتعلق ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما .

وظل يردد أنَّ النظم هو ما يقتضيه النحو ، قال : ((واعلم أنْ ليس النظم إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على

---

[١٩] ينظر أسرار البلاغة ص ٦٥ وما بعدها .

[٢٠] دلائل الإعجاز ص ٣ .

[٢١] دلائل الإعجاز ص ٤ .

[٢٢] دلائل الإعجاز ص ٥٥ .

وموضع (الفاء) من موضع (ثم) ، وموضع (أو) من موضع (أم) ، وموضع (لكنْ) من موضع (بل) .

ويتعرف في التعريف ، والتنكير ، والتقديم ، والتأخير ، في الكلام كله ، وفي الحذف ، والتكرار ، والإضمار ، والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة ، وعلى ما ينبغي له .

هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إنْ كان صوابا ــ وخطؤه إنْ كان خطأ الى (النظم) ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أُصيب به موضعه ، ووضع في حقه ، أو عُومل خلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له ، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة النظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة ــ وذلك الفساد ، وتلك المزية ، وذلك الفضل ، الى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أُصوله ، ويتصل بباب من أبوابه))[٢٣].

وقال إن مدار أمر النظم ((على معاني النحو ، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أنْ تكون فيه ، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها ، ثم اعلم أنْ ليست المزية بواجبة لها في أنفسها . ومن حيثُ هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، واستعمال بعضها مع بعض))[٢٤].

---

[٢٣] دلائل الإعجاز ص ٨١ ، ونقل النص كله لتقديم صورة واضحة .

[٢٤] دلائل الإعجاز ص ٨٧ .

وقال : ((اعلم أنّا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام الى قائله لم تكن إضافتنا له من حيثُ هو كلم وأوضاع لغة ، ولكنْ من حيثُ تَوُخيَ فيها النظم الذي بَيّنا أنه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم))[٢٥].

ولا يتصور ((أنْ يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا أو مجردة من معاني النحو)) أي إذا غُيرت مواضع أجزاء الكلام تغير معناه ، وفقد نسبته الى قائله ، ومن ذلك قول امرئ القيس ((قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ)) فلو قيل : ((من نبك قفا حبيب ذكرى ومنزل)) لذهب معنى الكلام وفقد نسبته الى قائله [٢٦].

فليس ((النظم شيئا إلاّ توخي معاني النحو وأحكامه ، ووجوهه ، وفروقه فيما بين معاني الكلم))[٢٧].

لقد تجاوز عبد القاهر مسألة الإعراب في كلامه عن النظم ، وإنْ كان إيضاحا للمعاني[٢٨]، قال : ((ومن ههنا لم يجز إذا عُدَّ الوجوه التي تظهر بها المزية أنْ يعد فيها الإعراب ، وذلك أنَّ العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم ، وليس هو مما يُستنبط بالفكر ، ويُستعان عليه بالرويّة ، فليس أَحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع ، أو المفعول النصب ، والمضاف اليه الجر ، بأعلمَ من غيره ، ولا ذاك مما يحتاجون فيه الى حِدَّة ذهن ، وقوة خاطر ، إنما الذي

---

[٢٥] دلائل الإعجاز ص ٣٦٢ .

[٢٦] دلائل الإعجاز ص ٤١٠ .

[٢٧] دلائل الإعجاز ص ٢٢٥ .

[٢٨] ينظر كتاب المقتصد في شرح الايضاح ١ ص ٩٧ .

تقع الحاجة فيه الى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز ، كقوله تعالى : ((فما رَبحت تجارتُهم)) (البقرة ١٦) ، وكقول الفرزدق : ((سقتها خروقٌ في المسامع)) وأشباه ذلك مما يُجعل الشيء فيه فاعلا على تأويل يدقُ ، ومن طريق تلطف ، وليس يكون هذا علما بالإعراب ولكنْ بالوصف الموجب للإعراب))[٢٩].

وقال : ((ومن العجب أنَّا إذا نظرنا في الإعراب وجدنا التفاضل فيه مُحالا ؛ لأنه لا يتصور أنْ يكون للرفع والنصب في كلام مزية عليهما في كلام آخر ، وإنما الذي يُتصور أنَ يكون ههنا كلامان قد وقع في إعرابهما خلل ، ثم كان أحدهما أكثر صوابا من الآخر . وكلامان قد استمر أحدهما على الصواب ولم يستمر الآخر ، ولا يكون هذا تفاضلا في الإعراب ولكن تركا له في شيء ، واستعمالا له في آخر فاعْرِفْ ذلك))[٣٠].

ولا يقتصر النظم أو توخي معاني النحو على المباحث التي تَحدث عنها في (دلائل الإعجاز) مثل التقديم ، والحذف ، والتنكير ، والفصل والوصل وغيرها ، وإنما يشمل صور التعبير ، قال عبد القاهر : ((فإنْ قيل : قولك ((إلا النظم)) يقتضي إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو معجز ، وذلك ما لا مساغَ له ، قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز . وذلك لأَنَّ هذه المعاني التي هي الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات ((النظم)) وعنه يحدث وبه يكون ؛ لأنه لا

---

(٢٩) دلائل الإعجاز ص ٣٩٥ .

(٣٠) دلائل الإعجاز ص ٣٩٩ .

تقع الحاجة فيه الى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز ، كقوله تعالى : ((فما رَبحت تجارتُهم)) (البقرة ١٦) ، وكقول الفرزدق : ((سقتها خروقٌ في المسامع)) وأشباه ذلك مما يُجعل الشيء فيه فاعلا على تأويل يدقُ ، ومن طريق تلطف ، وليس يكون هذا علما بالإعراب ولكنْ بالوصف الموجب للإعراب))[٢٩].

وقال : ((ومن العجب أنّا إذا نظرنا في الإعراب وجدنا التفاضل فيه مُحالا ؛ لأنه لا يتصور أنْ يكون للرفع والنصب في كلام مزية عليهما في كلام آخر ، وإنما الذي يُتصور أنْ يكون ههنا كلامان قد وقع في إعرابهما خلل ، ثم كان أحدهما أكثر صوابا من الآخر . وكلامان قد استمر أحدهما على الصواب ولم يستمر الآخر ، ولا يكون هذا تفاضلا في الإعراب ولكن تركا له في شيء ، واستعمالا له في آخر فاعْرِفْ ذلك))[٣٠].

ولا يقتصر النظم أو توخي معاني النحو على المباحث التي تحدث عنها في (دلائل الإعجاز) مثل التقديم ، والحذف ، والتنكير ، والفصل والوصل وغيرها ، وإنما يشمل صور التعبير ، قال عبد القاهر : ((فإنْ قيل : قولك ((إلا النظم)) يقتضي إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو معجز ، وذلك ما لا مساغَ له ، قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز ، وذلك لأنَّ هذه المعاني التي هي الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات ((النظم)) وعنه يحدث وبه يكون ؛ لأنه لا

---

[٢٩] دلائل الإعجاز ص ٣٩٥ .

[٣٠] دلائل الإعجاز ص ٣٩٩ .

يتصور أَنْ يدخل شيء منها في الكلم وهي أَفراد لم يُتَوخَّ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يُتصور أنْ يكون ههنا (فعل) أو (اسم) قد دخلته الاستعارة من دون أَنْ يكون قد أُلّف مع غيره . أفلا ترى أَنَّه قُدِّر في ((اشتعل)) من قوله تعالى : ((واشتعل الرأسُ شيبا)) (مريم ٤) أَنْ لا يكون ((الرأس)) فاعلا له ، ويكون ((شيبا)) منصوبا عنه على التمييز ، لم يُتصوَّر أَنْ يكون مستعارا ؟ وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة فاعرِفْ ذلك))[٣١].

وهذا ما جعل السكاكي يأتي بعلم البيان بعد علم المعاني ، قال : ((ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار ، جرى منه مجرى المركب من المفرد ، لا جرمَ آثرنا تأخيره))[٣٢].

(٥)

أَقام عبد القاهر بلاغته على النظم ، وهو توخي معاني النحو ، وهذا ما دفع ابراهيم مصطفى الى أَنْ يقول باحياء مذهب عبد القاهر الذي تجلى في كتابه (دلائل الإعجاز) وأَنْ يكون هو سبيل البحث النحوي ، وهو ما ذهب اليه الدكتور احمد عبد الستار الجواري حين دعا الى إعادة (علم المعاني) الى النحو ؛ لأَنَّ ((في انتزاع معاني النحو من النحو قضاء على النحو بالجمود والتحجر ، واقتطاعا لشطر مهم منه هو الذي يبعث في قواعده رواءً وحيويةً وقُدرةً على ممازجة الأَفكار والأَذواق والمشاعر ، وأَنَّ في تجريد معاني النحو واستقلالها بعلم سُـــمي (علم المعاني) ما جعل تلك المعاني

---

[٣١] دلائل الإعجاز ص ٣٩٣ .

[٣٢] مفتاح العلوم ص ٧٧

تعاني ما تعانيه فنون البلاغة من خلخلة في كيانها ، وشيء غير قليل من الفجاجة وهلهلة النسج أحيانا حتى جعل ذلك بعض مؤرخي العربية يصفون البلاغة بأنَّها العلم الذي لم ينضج ولم يحترق)) .

ثم قال : ((وقد تبين بعد معاودة النظر في مسائل علم المعاني أنها بغير أُسسها النحوية مسائل قلقة لا تكاد تثبت أو تستقر . وإنما يعيدها الى موضعها من علم العربية أنْ تعود الى أُصولها في النحو فيكون ذلك خيرا لها وللنحو على العموم . فتتضح صورها ، وتستبين معالمها ، ويتلاقى في دَرْسها الذوق والإدراك ، ويكون فقه العربية مجمعا لأداة دَرس العربية فنا للتعبير قائما على أساس متين))[٣٣].

إنَّ إعادة (علم المعاني) الى النحو إحياء لهذا العلم الذي فقد رونقه حين اهتم المؤلفون بالإعراب والبناء ، وأهملوا ما في النحو من نبض يتدفق حيويةً وجمالا ، ولا يضير أنْ يُحذف (علم المعاني) من البلاغة ويعود الى النحو ، لأَنَّ هذا العلم قد ((قام معلقا أو كالمعلق في الفضاء لا يستند الى قواعد تمسك به أنْ يزول أو يتزعزع ، وتلك القواعد هي قواعد النحو التي قضى عليها نأيها عن (معاني النحو) أنْ يغيض ماؤها ، ويجفَّ مدُدها من حسن التعبير ، وجودة التركيب))[٣٤].

(٦)

لا خلافَ في أَنَّ (علم المعاني) هو (معاني النحو) ، وقد أَخذ منحى جديدا عن مباحث النحو في كتبه المعتمدة منذ أنْ وضع سيبويه كتابه

---

[٣٣] نحو المعاني ص ٦ ـــ ٧ .

[٣٤] نحو المعاني ص ١٣

حتى القرن الخامس حين أَلَّف عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) بعد أن خاض غمار التأليف النحوي ، ومَثَّلَ هذا الكتاب مرحلة تذوق النحو والوقوف على معانيه و إدراك ما فيها من روعة وجمال وإبداع . ودراسة الكتاب صقل للمواهب والأذواق ، ولكنْ لن يتأتى ذلك إلا بعد دراسة النحو والوقوف على مباحثه بناءً وإعرابا ، وهذا يمهد للوقوف على ما وراء التراكيب النحوية . وقد درس القدماء النحو كما وصل الينا ، وكانوا يعدونه خطوة مهمة في معرفة العربية ، ومنهم السكاكي الذي رتب علوم العربية ترتيبا يأخذ بمدارج الصعود حتى يصل الى نهايتها ، إذ بدأ في كتابه (مفتاح العلوم) بعلم الصرف ، ثم قفاه بعلم النحو ، فعلم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، فعلم الاستدلال ، فعلم العروض ، وبهذا الترتيب وصل علم العربية الى ما فيه تربية الذوق ، وإدراك ما في اللغة من رونق وبهاء .

وكان عبد القاهر مدركا هذا قبل أنْ يضع السكاكي كتابه ، وقد تدرج في تأليف كتب النحو ، وبدأ بقضاياه الأساسية مثل (العوامل المائة) و (الجمل) و (العمدة في التصريف) ، ثم اتجه الى شرح الكتب المعتبرة مثل (كتاب الايضاح) لأبي علي الفارسي ، وهو نحو ثلاثين مجلدا ، ثم اختصره في (المقتصد) وقد طبع في مجلدين كبيرين . ويبدو أنه ختم حياته بالوقوف على إعجاز القرآن الكريم فألف بعض الكتب في الدراسات القرآنية[٣٥]، ومنها شرح (إعجاز القرآن) لمحمد بن يزيد الواسطي ، و (الرسالة الشافية) وغيرهما ، وكان (دلائل الإعجاز) تتويجا لدراساته القرآنية .

---

[٣٥] تنظر في كتاب عبد القاهر الجرجاني ص ٢٥ وما بعدها .

فدراسة (معاني النحو) تأتي بعد دراسة أُصول العربية ، وهي تحتاج الى إتقان النحو إتقانا يتمثل في إدراك مراميه ، ثم تأتي مرحلة التذوق والوقوف على روعة الكلام وجماله . وهذا ما فعله عبد القاهر حين شرح كتاب الإيضاح بكتابين هما (المغني) و (المقتصد) ، وفيهما عالج مباحث النحو كما عالجها النحاة المتقدمون ، وحين أَراد أَنْ يظهر فلسفة النحو ويكشف الغطاء عن تراكيب الكلام أَلَّف (دلائل الإعجاز) ونحا به منحى جديدا يتمثل في الوقوف على إعجاز القرآن الكريم ، وأسرار البيان .

إِنَّ أهم ما في كتب النحو الوقوف على الإعراب والبناء ومعالجة الموضوعات في ضوئهما ، ولا يخرج كتاب (المقتصد) عن هذا المنحى ، فهو يبدأ بما بدأ به أَبو علي الفارسي في (الايضاح) ، ويذكر مباحث النحو ويشرحها عبد القاهر كما شرح غيره المتون ، إذ لم يتعرض إلا للقواعد الأَساسية من غير وقوف على ما تدل عليه تلك القواعد . وهذا غير ما فعله في (دلائل الإعجاز) حين بحث التراكيب النحوية ، والأَساليب البيانية ، ومن ذلك التقديم والتأخير ، قال : ((هو باب كثير الفوائد ، جمُّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة ، ويُفضي بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد أَنْ راقك ولطف عندك ، أَنْ قُدِّم فيه شيء ، وحُوِّل اللفظ عن مكان الى مكان))[٣٦].

وتقديم الشيء على وجهين : ((تقديم يقال إنَّه على نية التأخير وذلك في كل شيء أَقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ، وفي جنسه الذي

---

[٣٦] دلائل الإعجاز ص ١٠٦

كان فيه ، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : ((منطلقٌ زيدٌ)) و ((ضربَ عمرا زيدٌ)) . معلوم أنّ ((منطلق)) و ((عمرا)) لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه ، من كون هذا خبرَ مبتدأ ومرفوعا بذلك ، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت .

وتقديم لا على نية التأخير ، ولكنْ على أنْ تنقل الشيءَ عن حكم الى حكم ، وتجعل له بابا غير بابه ، وإعرابا غير إعرابه ، وذلك أنْ تجيء الى اسمين يحتمل كلُّ واحدٍ منهما أنْ يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له ، فتقدم تارةً هذا على ذلك ، وأُخرى ذاك على هذا ، ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة : ((زيدٌ المنطلقُ)) و أُخرى ((المنطلقُ زيدٌ)) فأنت في هذا لم تقدمِ ((المنطلق)) على أنْ يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان ، بل على أنْ تنقله عن كونه خبرا الى كونه مبتدأ ، وكذلك لم تؤخر ((زيدا)) على أنْ يكون مبتدأ كما كان ، بل على أنْ تخرجه عن كونه مبتدأ الى كونه خبرا .

وأظهرُ من هذا قولنا : ((ضربتُ زيدا)) و ((زيدٌ ضربته)) لم تقدم ((زيدا)) على أنْ يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ، ولكنْ على أنْ ترفعه بالابتداء ، وتشغل الفعل بضميره ، وتجعله في موضع الخبر له)) .

وقال بعد أنْ وضع الأساس إنَّ السابقين لم يعتمدوا في التقديم والتأخير شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، وانتقد سيبويه والنحاة ؛ لأنَّهم لم يزيدوا على ذلك ، ولم يوضحوا قيمة هذا الأُسلوب ، فبعدوا عن معرفة البلاغة ومقاديرها .

ومعنى يوضح هذا الأُسلوب في صوره المختلفة ، كتقديم المستفهم عنه بالهمزة ، والفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم ، وتقديم المفعول على الفعل مع الاستفهام ، وتقديم ((مثل)) و ((غير)) والتقديم والتأخير مع النفي ، والتقديم والتأخير في الخبر المثبت ، وتقديم النكرة على الفعل .

ومن أمثلة تحليله قوله في النكرة إذا قُدمت على الفعل ، أو قدم الفعل عليها : ((إذا قلت : ((أجاءك رجل ؟)) فأنت تريد أنْ تسأله هل كان مجيء من واحد من الرجال اليه ، فإنْ قدمت الاسم فقلت : ((أرجلٌ جاءك ؟)) فأنت تسأله عن جنسِ مَنْ جاءه ، أرجلٌ هو أم امرأةٌ ؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آتٍ ، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي ، فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أنْ تعرفَ عين الآتي فقلت : ((أزيدٌ جاءك أم عمروٌ ؟)) .

ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى[٣٧]؛ لأَنَّ تقديم الاسم يكون إذا كان السؤال عن الفاعل ، والسؤال عن الفاعل يكون إما عن عينه أو عن جنسه ، ولا ثالث . وإذا كان كذلك كان محالاً أنْ تقدم الاسم النكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس ؛ لأنه لا يكون لسؤالك حينئذ متعلق من حيث لا يبقى بعد الجنس إلا العين ، والنكرة لا تدل على عين شيءٍ فيُسأل بها عنه))[٣٨].

ومن ذلك (الحذف) ، قال : ((هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به تركَ الذِكْر أفصحَ من الذِكْر ،

---

[٣٧] يعني جملة ((أجاءك رجل))

[٣٨] دلائل الإعجاز ص ١٤٢ .

والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة ، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ))[٣٩].

وتحدث عن حذف الفعل وإضماره كما في بيت ذي الرمة :

ديارَ ميةَ إذ مـــيٌّ تُساعفنـــا ولا يُرى مثلَها عُجْمٌ ولا عَربُ

نُصبت كلمة ((ديار)) على إضمار فعل ، كأنه قال : أذكر ديارَ مية .

ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف ، كقول عمرو بن معد يكرب :

وعلمتُ أني يوم ذا كَ مُنازِلٌ كعبا ونهدا

قومٌ إذا لبسوا الحديـــ ـــدَ تنمروا حلَقا وقِدّا

وقول جميل بثينة :

وهل بثينةُ ياللناس قاضيتي دَيني وفاعلةٌ خيرا فأُجزيها

تَرنو بعيني مهاةٍ أقصدت بهما قلبي عشيةَ ترميني وأرميها

هيفـــاءُ مقبلةً عجزاءُ مُدبرةً ريا العظام بلا عيبٍ يُرى فيها

من الأوانـــس ميكسالٌ مُبتَّلَةٌ خَوْدٌ غذاها بلين العيش غاذيها

وبعد أنْ ذكر : هذه الأبيات وغيرها قال : ((فتأمل الآن هذه الأبيات كلها ، واستقرِها واحدا واحدا ، وانظر الى موقعها في نفسك ، والى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم فليتَ النفسَ عما تجد ، وألطفت النظر فيما تُحـــس به ، ثم تكلَّفْ أنْ تردَّ ما حذف الشاعر ، وأنْ تُخرجه الى لفظك ، وتوقعه في سمعك ، فانك تعلم أنَّ الذي قلتُ كما قلتُ ، وأنْ رُبَّ حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد . وإنْ أردت ما هو

---

[٣٩] دلائل الإعجاز ص ١٤٦ .

أصدق في ذلك شهادةً ، وأدلّ دلالةً ، فانظر الى قول عبد الله بن الزبير يذكر فمر بحاله قد ألحَّ عليه :

عرضتُ على زيدٍ ليأخذَ بعض ما يحاوله قبل اعتراض الشواغلِ
فدبَّ دبيبَ البغل يألمُ ظهره وقال: تعلَّمْ إنني غيرُ فاعلِ
تثاءبَ حتى قلتُ : داسِعُ نفسه وأخرج أنيــابا له كالمعــاولِ

الأصل : حتى قلت ((هو داسع نفسه)) أي حسبته من شدة التثاؤب ، ومما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ، ويخرجها من صدره ، كما يدسع البعير جرَّته ، ثم إنك ترى نصبة الكلامِ وهيئته تروم منك أنْ تَنسى هذا المبتدأ وتباعده عن وهمك ، وتجتهد أنْ لا يدور في خَلَدك ، ولا يعرض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقاه توَقي الشيء تكره مكانه ، والثقيل تخشى هجومه))[٤٠].

ومن حذف المفعول قول البحتري :

شجْــوُ حُسادِهِ وغيــظُ عِداه أنْ يــرى مُبصرٌ ويسمعَ واعِ

قال عبد القاهر : ((المعنى لا محالةَ أنْ يرى مبصر محاسنَه ، ويسمع واعِ أخباره وأوصافه ، ولكنك تعلم عل ذلك ، أنه كأنه يسرق علم ذلك من نفسه ، ويدفع صورته عن وهمه ، ليحصل له معنى شريف وغرض خاص ، وذاك أنه يمدح خليفة ، وهو المعتز ، ويُعرّض بخليفة هو المستعين ، فأراد أنْ يقول : إنَّ محاسن المعتز وفضائله ، المحاسنُ والفضائل يكفي فيها أنْ يقع عليها بصرٌ ويعيها سمعٌ حتى يُعلم أنَّه المستحق للخلافة ، والفرد الوحيد الذي ليس لأحد أنْ ينازعه مرتبتها ، فأنت ترى حُسَّاده وليس شيء أشجى لهم وأغيظ من علمهم بأنَّ هنا مُبصرا يرى وسامعا يعي ، حتى

---

[٤٠] دلائل الإعجاز ص ١٥١ .

موضع الأُعجوبة في أنْ أخرج الكلام مخرجه الذي ترى ، وأنْ أتى بالخال منصوبا على الحال من قوله : ((فبناها)) . أفلا ترى أنك لو قلت : ((وهي خال في وجنة الدهر)) لوجدت الصورة غير ما ترى ؟ وشبيه بذلك أنَّ ابن المعتز قال :

يا مِسْكَــةَ العطـــارِ وخـــالَ وجـــه النهارِ

وكانت الملاحةِ في الإضافة بعد الإضافة لا في استعارة لفظة ((الخال)) إذ معلوم أنه لو قال : ((يا خالا في وجه النهار)) أو ((يا مَنْ هو خال في وجه النهار لم يكن شيئا))[٤٤].

وقد أولى المعاصرون دراسة الحال أهمية في بنية اللغة الشعرية ، وفرقوا بينه وبين النَّعت وقالوا : ((يكمن الفرق بين النعت وين الحال ـــ أو النعت المنفصل كما يسميه غريبيس ـــ في مجرد تحقق أو عدم تحقق الوقت بين الاسم والنعت . إننا نستطيع تأويل الجملة الأسمية ((پيير المريض لا يستطيع الحضور)) بـــ ((پيير مريضا لا يستطيع أن يحضر)) ، وبهذه الصيغة الأخيرة ينتفي من النعت ذلك الشذوذ .

إن النعت المنفصل لم تعد له في الحقيقة وظيفة تحديدية ، وإنما له وظيفة إسنادية ، إنَّه نوع من الإسناد الثانوي الذي يكتسب بشكل طبيعي قيمة التعليل أو الجزاء أو الحال . وعلى سبيل المثال :

فمعنى الصيغة السابقة هو : ((لكون پيير مريضا لا يستطيع المجيء)) إلا أنَّ هذه العملية ليست ممكنة إلا إذا كانت الصفة تسمح بذلك معجميا))[٤٥].

---

[٤٤] دلائل الإعجاز ص ١٠٣

[٤٥] بنية اللغة الشعرية ص ١٤٦ ، وينظر في المصطلح النقدي ص ١٧٣ .

والتمييز منصوب كالحال[٤٦]، وليس الهدف من إعرابه أو تقديمه أو تأخيره ، وإنما ما يكسب الكلام من شعرية لا يكسبها إذا أضيف ، ومن رائع الأمثلة قوله تعالى : ((واشتعل الرأسُ شيبا)) (مريم ٤) . قال عبد القاهر : ((ومن دقيق ذلك وخفيّه أنّك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى : ((واشتعل الرأسُ شيبا)) لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ، ولم ينسبوا الشرف إلا اليها ، ولم يروا للمزية موجبا سواها . هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم ، وليس الأمر على ذلك ، ولا هذا الشرف العظيم ، ولا هذه المزية الجليلة ، وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة ، ولكنْ لأنْ سُلِكَ بالكلام طريقُ ما يسند الفعل فيه الى الشيء ، وهو لما هو من سببه ، فيُرفع به ما يُسند اليه ، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده ، مبيّنا أنّ ذلك الاسناد وتلك النسبة الى ذلك الأول إنما كانا من أجل هذا الثاني ، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة ، كقولهم : ((طاب زيدٌ نفسا)) و ((قرّ زيد عينا)) و ((تصبّب عرقا)) و ((كَرُمَ أصلا)) و ((حَسُن وجها)) وأشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولا عن الشيء الى ما ذلك الشيء من سببه . وذلك أنّا نعلم أنّ ((اشتعل)) للشيب في المعنى وإنْ كان هو للرأس في اللفظ كما أنّ ((طاب)) للنفس ، و ((قرّ)) للعين ، و ((تصبّب)) للعرق ، وإنْ أُسند الى ما أُسند اليه ، يُبيّن أنّ الشرف كان لأنْ سُلك فيه هذا المسلك ، وتُوخي به هذا المذهب أنْ تدع هذا الطريق فيه ، وتأخذ اللفظ فتسنده الى الشيب صريحا فتقول : ((اشتعل شيبُ الرأس))

---

[٤٦] ينظر المقتصد ٦٩١ وما بعدها .

أو ((الشيبُ في الرأس)) ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة ؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها .))[٤٧] .

فورود ((الشيب)) منصوبا على التمييز هو الذي أكسب الاستعارة رونقا فوق رونقها ، وذلك أنَّه شاع في الرأس ((وأخذه من نواحيه ، وأنَّه قد استغرقه ، وعمَّ جملته حتى لم يبق من السواد شيء ، أو لم يبقَ منه إلاّ ما لا يُعتدّ به ، وهذا ما لا يكون إذا قيل ((اشتعل شيبُ الرأس)) أو ((الشيب في الرأس)) بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة))[٤٨].

ثم قال : ((ونظير هذا في التنزيل قوله ــ عز وجل ــ : ((وفجرنا الأرضَ عيونا)) (القمر ١٢) ، التفجير للعيون في المعنى ، وأوقع على الأرض في اللفظ ، كما أُسند هناك الاشتعال الى الرأس ، وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا مثل الذي حصل هناك ، وذلك أنَّه قد أفاد أنَّ الأرض قد كانت صارت عيونا كلها ، وأنَّ الماء قد كان يغور من كل مكان منها . ولو أُجريِ اللفظ على ظاهره فقيل : ((وفجرنا عيونَ الأرض)) أو ((العيون في الأرض)) لم يُفِدْ ذلك ، ولم يَدُلَّ عليه ، ولكان المفهوم منه أنَّ الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض ، وتبجّس من أماكن منها))[٤٩].

والعطف من مباحث النحو ، وقد تحدث عنه في كتبه النحوية[٥٠]، ولكنْ لم يقف عليه كما وقف وهو يتحدث عن (معاني النحو) في باب

---

[٤٧] دلائل الإعجاز ص ١٠٠ .

[٤٨] دلائل الإعجاز ص ١٠١ .

[٤٩] دلائل الاعجاز ص ١٠٢ .

[٥٠] ينظر المقتصد ج٢ ، ص ٩٣٧ وما بعدها .

(الفصل والوصل) الذي يُعد من أسرار البلاغة ، قال : ((اعلم أنَّ العلم بما ينبغي أنْ يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورةً تُستأنف واحدةٌ منها بعد أُخرى ، ومن أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلَّص ، وإلا قومٌ طبعوا على البلاغة ، وأُتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد . وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنّه سُئل عنها فقال : ((معرفة الفصل من الوصل))[٥١] ذاك لغموضه ودقة مسلكه ، وأنه لا يكمل لاحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة))[٥٢].

ومضى عبد القاهر يتحدث عن العطف وفائدته في المفرد والجملة ، وذكر أنَّ الجمل على ثلاثة أضرب :

((جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيد مع المؤكد ، فلا يكون فيها العطف البتة ، لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه .

---

[٥١] صدّق بعضهم حين نسب الجاحظ هذا القول الى الفرس ، على الرغم من أنه لم تكن في عهده كتب بلاغة فارسية ، وكتب البلاغة الفارسية صورة لكتب البلاغة العربية ، فضلا عن أن هذه الكتب لم تذكر موضوع الفصل والوصل . (ينظر بحوث بلاغية ص ٢٥٧ وما بعدها) .

[٥٢] دلائل الإعجاز ص ٢٢٢ .

وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنّه يشاركه في حكم ، ويدخل معه في معنى ، مثل أنْ يكون كلا الاسمين فاعلا ، أو مفعولا ، أو مضافا اليه ، فيكون حقها العطف .

وجملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء ، فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى بل هو شيء إنْ ذُكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذِكْرُ الذي قبله وتَركُ الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ، وحقّ هذا ترك العطف البتة .

فتركُ العطف يكون إما للاتصال الى الغاية أو الانفصال الى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين))[٥٣].

ثم قال بعد ذلك : ((اعلم أنّ مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف ؛ أنّه قد يُؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تُعطف جملة أو جملتان ، مثال ذلك قول المتنبي :

نولّوا بغتةً فكأنّ بيْنا تهيبني ففاجأني اغتيالا
فكان مسيرُ عيسهم ذميلا وسيرُ الدمع إثْرهم انهمالا

قوله : ((فكان مسيرُ عيسهم)) معطوف على تولّوا بغتةً)) دون ما يليه من قوله : ((ففاجأني)) لأنا إذا عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى من حيثُ أنه يدخل في معنى ((كأنّ)) وذلك يؤدي الى أنْ لا يكون مسير عيسهم حقيقة ، ويكون متوهما كما كان تهيبُ البين كذلك))[٥٤].

---

[٥٣] دلائل الإعجاز ص ٢٤٣ .

[٥٤] دلائل الإعجاز ص ٢٤٤

وليس في شرح (كتاب المقتصد) وكتب النحو الأخرى مثل هذا العرض والتحليل ، والتمييز بين الأساليب ، إذ عالج عبد القاهر مباحث النحو بهذه الطريقة ، وكان ـ كثيرا ـ ما ينساق وراء ذوقه فيقف أمام النص مبهورا يتعجب من روعته ويثير الإعجاب ليشاركه المتلقي ذوقه ومشاعره .

(٧)

إنّ تعليم النحو يحتاج الى عرض قواعده الأساسية عرضا واضحا ؛ لأنّ الهدف منه تجنب الوقوع في الخطأ ، وهذه هي المرحلة الأولى ، وتأتي بعدها مرحلة الوقوف على الأساليب وما تؤدي من معانٍ . وما تثير من مشاعر ، وقد تكفل (علم المعاني) بهذه المرحلة التي لن تؤتي ثمارها إلا باتقان أصول النحو ، وهذا ما فعله عبد القاهر إذ درس (معاني النحو) بعد أنْ درس النحو دراسةً عميقة وألّف فيه الكتب . ولم يكن الذين جاء وامن بعده على جهل بهذه الحقيقة ، وكان ما وصفه من أهم مصادر (تفسير الكشاف) لجار الله الزمخشري (ـ ٥٢٨ هـ) و (نهاية الإيجاز) لفخر الدين الرازي (ـ ٦٠٦ هـ) و (مفتاح العلوم) للسكاكي (ـ ٦٢٦ هـ) وشروح التلخيص ، وكتب البلاغة في هذه الأيام .

إنّ إعادة (علم المعاني) الى النحو لأنّه من معانيه ، يعقّده فيثقل على المتعلمين الذين لا يعنيهم من النحو إلا معرفة أصوله لتجنب الوقوع في الخطأ واللحن ، أما ما وراء ذلك فهو دراسة الأساليب والتمييز بين وسائل التعبير ، وقد عدّ البلاغيون الجدد دراسة التراكيب جزءً من أسس دراسة النص حين ذكروا لتلك الأسس ثلاثة مستويات :

الأول : المستوى الصوتي ، ويشمل الألفاظ والإيقاع .

الثاني : المستوى التركيبي ويشمل بناء الجمل وما يتصل بها .

الثالث : المستوى الدلالي ويشمل الصور المتمثلة بأنواع المجاز والتشبيه والكناية وما يتصل بها من رمز وإشارة وإيماء .

وهذه المستويات الثلاثة هي ما درسه البلاغيون العرب في فصاحة الألفاظ والتراكيب اللغوية والصور الفنية[٥٥]، فالمستوى التركيبي هو (علم المعاني) الذي استمد أُصوله من النحو ، ولكنه تخطاه ، وعني بتحليل الأساليب لا عرض قواعد النحو كما فعل عبد القاهر في كتبه النحوية ، وما فعله النحاة .

والدرس البياني اليوم أحوج ما يكون الى تجديد البلاغة والاهتمام بالأساليب التي هي جزء من (علم المعاني) أو من (المستوى التركيبي) كما ذهب اليه البلاغيون الجدد . وكتاب (دلائل الإعجاز) من أهم الكتب التي عُنيت بهذا الجانب فضلا عن الدراسات الأُسلوبية الحديثة ، وفي ذلك متسع للبحث والتأليف .

---

[٥٥] ينظر بحث (تجديد البلاغة) المنشور في مجلة المجمع العلمي .

المصـــادر :

١. إحياء النحو ــ إبراهيم مصطفى ــ القاهرة ١٩٥١م .
٢. الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية ــ ضياء الدين بن الأثير ــ تحقيق حفني محمد شرف ــ القاهرة ١٩٥٨م .
٣. أسرار البلاغة ــ عبد القاهر الجرجاني ــ تحقيق ــ هـ . ريتر ــ استانبول ١٩٥٤م .
٤. الايضاح ــ الخطيب القزويني ــ القاهرة .
٥. بحوث بلاغية ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بغداد ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م .
٦. بنية اللغة الشعرية ــ جان كوهين ــ ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ــ الدار البيضاء ــ المغرب ١٩٨٦م .
٧. تجديد البلاغة ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بحث نشر في مجلة المجمع العلمي (المجلد ٥٦ ــ الجزء الأول) ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م .
٨. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ــ ضياء الدين الأثير ــ تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد ــ بغداد ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م .
٩. دلائل الإعجاز ــ عبد القاهر الجرجاني ــ تحقيق محمود محمد شاكر ــ القاهرة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .
١٠. عبد القاهر الجرجاني ــ بلاغته ونقده ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بيروت ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .

١١. فصول في العربية ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بغداد ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣م .
١٢. في المصطلح النقدي ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بغداد ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م .
١٣. كتاب المقتصد في شرح الايضاح ــ عبد القاهر الجرجاني ــ تحقيق الدكتور كاظم بحر مرجان ــ بغداد ١٩٨٢م .
١٤. المثل السائد في أدب الكاتب والشاعر ــ ضياء الدين بن الأثير ــ تحقيق محمد محيي الدين ــ القاهرة ١٣٥٨هـ ــ ١٩٣٩م .
١٥. مفتاح العلوم ــ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ــ القاهرة ١٣٥٦هـ ــ ١٩٣٧م .
١٦. مناهج بلاغية ــ الدكتور احمد مطلوب ــ بيروت ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .
١٧. نحو المعاني ــ الدكتور احمد عبد الستار الجواري ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

ضرورات القراءة النقدية الجديدة للتاريخ واعادة كتابته
في المجال العربي المعاصر

وليد خالد احمد حسن

الملخص :

ان التاريخ له منهجية للوصول الى الحقيقة مثل أي علم آخر . وحقيقة التاريخ تتركز حول جهود الانسان في كل مجتمع لمنجزاته واخطائه ، أي انه علم يحاول الاجابة على الاسئلة المتعلقة بفترة من حياة الشعوب لها امجادها وخطاياها ، فكيف نسمح بترك تاريخنا في ايدي كتّاب يفتقرون الى أبسط مبادىء المنهج العلمي لدراسة تاريخنا ؟

وعليه يتناول البحث ضرورة اعادة قراءة التاريخ الآن ونقد مرويات احداثه ، وفق نظرة علمية موضوعية لا تجاري ما هو راسخ في الذهنية العامة ...

إعادة دراسة التاريخ وكتابته وتصحيح معلوماته ، سمة حضارية للمجتمعات صاحبة الإرادة في البقاء . والصمت عن ذلك في بعض الأحيان لايفيد ، حاله حال نبش الماضي على غير هدى أو تمعن، وفي هذه الحالة تختلط الأوراق بعضها مع بعض ، ويختلط الحابل بالنابل ، وتضيع معالم الحقيقة . ومن حق الأجيال أن تعرف تاريخها لتعد نفسها للمستقبل استنادا إلى خلفية صلبة متماسكة من المعرفة . فالتاريخ ليس بأحداثه فحسب وإنما بالرموز التي صنعت هذه الأحداث وحركت عجلة الزمن .

ضرورات القراءة النقدية الجديدة للتاريخ واعادة كتابته في المجال العربي المعاصر

وليد خالد احمد حسن

الملخص :

ان التاريخ له منهجية للوصول الى الحقيقة مثل أي علم آخر . وحقيقة التاريخ تتركز حول جهود الانسان في كل مجتمع لمنجزاته واخطائه ، أي انه علم يحاول الاجابة على الاسئلة المتعلقة بفترة من حياة الشعوب لها امجادها وخطاياها ، فكيف نسمح بترك تاريخنا في ايدي كتاب يفتقرون الى أبسط مبادىء المنهج العلمي لدراسة تاريخنا ؟

وعليه يتناول البحث ضرورة اعادة قراءة التاريخ الآن ونقد مرويات احداثه ، وفق نظرة علمية موضوعية لا تجاري ما هو راسخ في الذهنية العامة ...

إعادة دراسة التاريخ وكتابته وتصحيح معلوماته ، سمة حضارية للمجتمعات صاحبة الإرادة في البقاء . والصمت عن ذلك في بعض الأحيان لايفيد ، حاله حال نبش الماضي على غير هدى أو تمعن، وفي هذه الحالة تختلط الأوراق بعضها مع بعض ، ويختلط الحابل بالنابل ، وتضيع معالم الحقيقة . ومن حق الأجيال أن تعرف تاريخها لتعد نفسها للمستقبل استنادا إلى خلفية صلبة متماسكة من المعرفة . فالتاريخ ليس بأحداثه فحسب وإنما بالرموز التي صنعت هذه الأحداث وحركت عجلة الزمن .

الكل يتحدث مفاخرا بقول ابن خلدون ، بـأن التـاريخ (عبـرة) ، ولكن كيف يمكن الاعتبار من الماضي اذا توقفنـا عنـد الايجـابي منـه فقط ؟ وكيف يمكن ان ننظر الى الرمـوز التـاريخيين ، مـن منظـور القداسة فقط ؟

برزت مؤخرا كتابات تاريخية تُجاري في اغلب الاحيـان مـا هـو مستساغ في الذهنية العامة ، فقد تجنب اغلب المؤرخين العرب الخوض في بعض المواضيع التي تبدو حساسة ، وانتشرت النظرة التقديسية للماضي ، ما ادى الى تحنيطه وجعلـه غير قابل في بعـض الاحيـان للأنفتـاح على المناهج الجديدة ، كتلك التي تقدمها المنهجيات الحديثة فـي الكتابـة التاريخية . وهو ماجعل مسألة تحديث هذه الكتابة ، من الامور الـصعبة كلما تعلق الامر بالمسائل ذات الصلة بما وقع تقديسه .

وتلقى هذه المسألة مقاومة شرسة وجاهلة في كل الحالات . وبقدر ما كان تاريخنا غنياً وغامضا ، كان المورخون في وطننا العربي يتظللـون بصفحاته الناصعة ، ويمرغون اقلامهم بالزبد الظاهر ، ويقفون منه علـى الربى والنتوءات ، ويحجمون عن الغوص في قداسة مصنوعة ، ويخافون من الكلام فيستظلون بظله . ولايزال العديد من المواضيع تنتظر الظـرف السياسي المنفتح لتشرع ابوابها[1] .

وعلى هذا الأساس تزداد الحماسة الآن في أغلب دول العالم لإعادة دراسة التاريخ وكتابته بصورة غير أحادية تشير الى المزايا والعيـوب ،

---

(1) جاك لوغوف ــ التاريخ الجديد ، ترجمة ــ محمد الطاهر المنصوري ، ط ١ ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١ و ٢٢ .

وعلى ما يبدو أن تصوير الأحداث الراهنة قد أصبح يستلزم قدرا كبيرا من تصوير وإعادة تصوير الأحداث الماضية.

ــ فهل يعني ذلك أن عالمنا العربي يشهد تحولات كبرى في الأفكار والنظم السائدة والموروثة مما يفرض البحث في الجذور التاريخية لها لترسيخ الصالح واقتلاع الطالح وتشذيب الحقل لبناء المستقبل ؟

ــ وهل يعني توازي الاهتمام بالتاريخ في العراق الآن، مع الاهتمام به في العالم ككل، أن العراقيين يشكلون جزءا من عالمهم حتى إذا اتخذ الاهتمام بالتاريخ عندهم شكل التنقيب عن الخصوصية ؟

ــ وهل يعني الصراع حول التاريخ في العراق نوعا من الحيوية المرتبطة بحيوية الصراع السياسي الأشمل في ظل التعددية السياسية المعمول بها الآن ، كما يعني في الوقت نفسه استغراق بعضهم في الصراع إلى حد تجاوز الحيوية إلى العربدة وإلى حد السلفية على حساب الرؤية المستقبلية ؟

ــ وهل يكون من الصحيح الالتفات الى الدراسة العلمية لمنهج كتابة التاريخ بحثا عن درجة أعلى من الموضوعية ، كما يكون من الصحيح البحث عن منطق سياسي رشيد يميز بين استخدام التاريخ في السياسة وسوء استخدام التاريخ فيها . كما يميز بين استحضار الماضي كوقود للقفز إلى المستقبل والذهاب الى الماضي كمهرب من الحركة نحو المستقبل ، وهو بالتالي ما يميز بين من فهموا القصد من وراء الدعوة الى قراءة التاريخ وإعادة كتابته ، ومن أساءوا الفهم استكمالا لإساءتهم الى أنفسهم ومنافسيهم وبلدهم في تاريخها وحاضرها ومستقبلها ؟

بعدما تقدم ، هل يتضح أن الجدل حول قراءة التاريخ وإعادة كتابتــه هي التي تمتد في سائر أرجاء المعمورة ، وأن تصوير الأحداث الراهنة قد أصبح يستلزم قدرا كبيرا من تصوير الأحداث الماضية وإعادة تصويرها ؟ وهل يتأكد أن الأمر لا يعنينا وحدنا نحن العراقيين بقدر ما يعني الآخرين خارج عالمنا العراقي وداخل عالمنا الإنساني ؟ وهل لا تبقى بعــد ذلــك غرابة في أن تشهد بلداننا أخرى جدلا حادا حــول التــاريخ بــين القــوى السياسية المتصارعة ؟ وهل يكون من المفهوم في هذا السياق من تحــول ندوة علمية حول منهج كتابة التاريخ إلى بند من بنود الــصراع الــسياسي المتسلح بالتاريخ ؟

ربما جاء الرد على هذه الأسئلة بالإيجاب من قبل غالبيــة المعنيــين بالإجابة ، لكن تبقى مع ذلك تساؤلات أخرى لا تكتمل الصورة بدونها .

إن المأمول بالنسبة للبشر أن تكون أبصارهم وبصائرهم قادرة علــى الالتقاط الحساس للعبر التاريخية .

جدوى التاريخ وإدراك الحقيقة الموضوعية

التاريخ علم كبقية العلوم ، يدرس ظواهر موضوعية حدثت بمعزل عن نفس المؤرخ وفكره ومشاعره وبشكل مستقل عن أرادته ورغباته وبفعل قوانين وظروف فرضها واقع الحياة والطبيعة والمجتمع . فشأن علم التاريخ شأن العلوم الأخرى ... يعنى بدراسة ظواهر مستقلة عن الدارس الذي يحاول بما لديه من وسائل الإطلاع ، إدراك الظاهرة وفهمها بالشكل الذي حدثت فيه فعلا . وهذا المفهوم العلمي للتاريخ يقوم على أساس نظرة فلسفية علمية تؤمن بوجود الحقيقية الموضوعية خارج الفكر البشري بشكل

معين يسعى الباحث الى معرفته وإدراك كنهه ، ولا يؤثر عدم ادارك الفكر البشري لهذه الحقيقة في وجودها أو تبديلها .

إن تاريخ المعرفة البشرية كله إنما هو محاولات مستمرة لأدراك الحقائق الموضوعية في مختلف مجالات الحياة والطبيعة واستنباط القوانين التي تتحكم في مسيرة الحياة البشرية واختبارها في ميدان الممارسة والتطبيق للتأكد من صوابها وصحتها ، حتى يتم تسخيرها لخدمة الإنسان وتحقيق إغراضه ، ولا يمكن أن يخرج علم التاريخ عن هذا الإطار لأنه يعني بادراك مسيرة المجتمعات البشرية وفهمها في مختلف الأزمات والأمكنة . وهذه النظرة العلمية للحقيقة الموضوعية هي النقيض للنظرات اللاعلمية للطبيعة والمجتمع التي تعتقد بان لا وجود مطلقا للحقيقة الموضوعية ، وأن الحقيقة نسبية وان الشيء ونقيضه قد يكونان كلاهما صحيحين في آن واحد انطلاقا من كون ما يسمى حقيقة إنما هو مجرد تصور لا وجود له خارج الفكر الإنساني .

إننا في الوقت الذي نعتقد فيه أن التصورات الذهنية للحقائق الموضوعية هي نسبية قد تصيب وقد تخطئ ، فأن ذلك لا يمكن أن ينفي أن للحقيقة الموضوعية خارج الفكر الإنساني ــ في المكان عينه واللحظة ذاتها ــ شكلا محددا ، قد يقترب أو يبتعد من التصورات الذهنية التي يكونها الإنسان عنها . كذلك الأمر بالنسبة للإحداث التاريخية ، فأن تصوراتنا الخاطئة لا يعني عدم حدوثها بشكل معين .

وللتاريخ كما هو حال كل علم من العلوم الأخرى خصائصه التي تميزه عن هذه العلوم وتزيد من صعوبة تكوين صور ذهنية دقيقة وكاملة

عن الظواهر التاريخية وقوانينها وربما كانت هذه الخصائص هي التي أثارت في الماضي كثيرا من النقاش حول موضوع علمية التاريخ والذي نعتقد أن الزمن قد تجاوزه فلا مجال للشك الآن في أن التاريخ علم كبقية العلوم وان الوصول إلى الحقائق التاريخية لابد من أن يكون بالأساليب والطرق العلمية شأنه شأن العلوم الأخرى .

وأهم خصائص علم التاريخ انه يتناول موضوعات معقدة غاية التعقيد ، هي المجتمعات البشرية التي تتداخل في تحديد مسيرتها عوامل كثيرة تمتد من الظروف الطبيعة والجغرافية وتنتهي بالتركيب الإنساني البيولوجي والنفسي المعقد مارة بكل العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية وغيرها . إن التأثير المعقد لكل هذه العوامل في مسيرة حياة البشر يجعل من العسر الوصول إلى إدراك كامل وتفهم حقيقي عميق للحقائق التاريخية .

وفضلا عن ذلك ، فإن علم التاريخ يتميز بأنه يعنى بالبحث عن ظواهر تفصل بيننا وبينها حقب طويلة من الزمن قد لا تكون مصادر معرفتها من مختلف جوانبها كافية ومتيسرة ، لذا فأن إدراكنا الحقائق التاريخية يبقى ناقصا ومحدودا في غالب الأحيان .

وفوق كل هذا وذاك فأن الظواهر التاريخية تحدث في ظروف موضوعية لا يمكن تكرارها مطلقا بشكلها الدقيق ، لذا فان من العسير التأكد من النظريات التاريخية بإعادة خلق ظروفها . أن كل ذلك ، فضلا عن تدخل النعرات الخاصة والمواقف الذاتية والابتعاد عن الأسلوب العلمي في فهم التاريخ وفي كتابته ، أدى إلى تشويه التاريخ وتزييف حقائقه وجعله

أداة في أيدي النظام السياسي أو القوى الفاعلة في المجتمع والقوى الاستعمارية لتحقيق إغراضها وخدمة مصالحها وفرض سيادتها .

من هنا ، أدعو إلى ضرورة تصحيح فهم " إعادة قراءة التاريخ وكتابته " ولاسيما تاريخنا العراقي بشكل جديد لا يهدف إلى تحوير الحقائق التاريخية وتزييفها لخدمة إغراضنا وتحقيق أهدافنا كما فعل كثير غيرنا في السابق وإنما يستهدف رفع التزييف والتحريف عن كثير من حوادث عراقنا وكفاحات شعبنا وكشف حقائقها التي تجاهلها المغرضون ولم يستطع الوصول إليها من سبقنا من المؤرخين .

ومهمة إعادة كتابة التاريخ ليست بالبساطة التي تبدو أولَ وهلة بل هي مهمة شاقة صعبة تحتاج إلى الكثير من الجهد والدأب والنظرة العلمية الواسعة والفكر الدقيق ، وهي لاتهدف إلى إعادة ما درس حتى الوقت الحاضر بأسلوب علمي رصين فحسب وإنما إلى كشف الستار عن جوانب حيوية أساسية جديدة في تاريخ عراقنا ، وتوجيه اهتمام المؤرخين إلى ميادين جديدة في البحث التاريخي حال إهمالها من قبل الباحثين .

للأسف الشديد هناك ثمة فهم معين يسود بعض الفئات المثقفة العراقية وحتى العربية ، وهو أن إعادة قراءة التاريخ وكتابته تعني بالضرورة تسييس التاريخ بان يكتب الماضي على وفق رغبة هذا النظام السياسي أو ذاك وان يسلط الضوء على ما يلائم الذوق السياسي السائد وان يترك ما يجانبه وان تطرح من التفسيرات ماتخدم أفكاره وآراءه . وساعد على هذا الفهم أن هذه الدعوة ارتفعت أولا من أقطار عربية ذات مواقف عقائدية محددة أو إنها كانت تدعو إلى إصلاح اجتماعي شامل ، ففسر الأمر وكأن

التاريخ في حاجة إلى إصلاح من النظام ، كما يمكن أن تصلح جوانب أو أجهزة في المجتمع .

والغريب أن نفرا من المعنيين بالتاريخ ومن المؤرخين أنفسهم ، فهموا الأمر على هذا النحو بل شرعوا يبررونه تبريرات سياسية هي الأخرى بعيدة عن الواقع . وفي الحقيقة ليس شيء اخطر على التاريخ وكتابته من هذا الفهم المضلل ، فليس معنى إعادة قراءة التاريخ و كتابته أن تتدخل السياسة في التاريخ وإنما العكس تماما ، انه بالضبط تخليص التاريخ من آثار السياسة ونوازعها .

وإذا كان التاريخ بحسب المقولة المعروفة هو سياسة الماضي فان القول بان كتابته كانت معرضة دائما للتأثير بنوازعها ومصالحها يعد قولا صحيحا تماما ، وإذا ردنا على ذلك أن المجتمع كان قد فقد أداته السياسية المستقلة بانهيار نظمه السياسية منذ عهد بعيد سبق من حيث الواقع الغزو المغولي نفسه فان تاريخ المجتمع يكون قد كتب على وفق سياسات لا تمت له بصلة وإنما هي سياسات الدول الأجنبية الغازية ، شرقية كانت أو غربية ، بمعنى أن النوازع السياسية لأولئك جميعا تدخلت في تاريخ مجتمعنا وقدمت وجهات نظرها في تفسير أحداثه وإلا فمن ينكر أن أصحاب الإسرائيليات والكتّاب الفرس والمستشرقين المغرضين كتبوا جميعا على وفق مصالحهم السياسية من دون مصلحة مجتمعنا ذاتها وكنا نشاهد تلك الرؤى والتفسيرات تتسلل إلى كتابات مؤرخين عراقيين وعرب من دون تدقيق كاف وموقف محدد ، فإذا ما سئل أحدهم في ذلك كان الجواب الدائم ــ أنه ورد في التاريخ هكذا ــ ناسيا أن هذا التاريخ نفسه

كان تاريخا منسيا أدت فيه السياسة ما شاءت وولفت فيه بأهوائها ومصالحها ما ولفت .

على الرغم من الحديث عن إعادة قراءة التاريخ وكتابته قد بدأ عربيا عقد الخمسينيات وعراقيا منذ عقد السبعينيات ، ألا أن خطوات جادة لم تؤخذ في هذا السبيل . ولعل اخطر البوادر التي ظهرت في هذا المجال وأكثرها سلبية هو أن هذا الموضوع أصبح مادة صحفية أكثر منه مادة علمية جامعية . إذ أن إعادة كتابة التاريخ بشكله العلمي السليم إنما تقع أولا وأخرا على عاتق العلماء الجامعيين ذوي المعرفة الواسعة والاختصاص العميق وليست على عاتق الهواة ومحترفي الصحافة الذي يتوهمون في أنفسهم القدرة على الكتابة في أي موضوع يرون من المفيد الخوض فيه . وهكذا طغت على صفحات الجرائد والمجلات أراء مجانية رخيصة كل ما يميزها إنها بعيدة عن العلمية ومفتقرة إلى النظرة الشاملة والإطلاع الواسع والمعرفة الدقيقة بالموضوعات التاريخية المطروحة للبحث .

وبدأ المتطفلون على التاريخ بمجرد قراءتهم كتابا أو كتابين بل بدون ذلك يطرحون الآراء الحاسمة في اخطر قضايا التاريخ ، مجردين الإحداث التاريخية من أطرها الموضوعية وظروفها الخاصة ومحاولين حشرها في قوالب لا تمت لها بصلة .

ليس هنالك من شك في أن تاريخنا كان ضحية النظم الحاكمة وبعض القوى السياسية الفاعلة ناهيك عن المستشرقين ومن تابعهم في طمس كثير من معالمه الحضارية والتقليل من شانه وإنكار دوره الحضاري ، ولكنه كان دون شك وبشكل أوسع ضحية بعض أبناء هذه الزمرة من الباحثين

الذين فقدوا النظرة العلمية وأعماهم التعصب والجمود فمسحوا التاريخ وطمسوا كثيرا من صفحاته وقلبوه إلى حكايات وقصص أشبه بالأساطير عن حياة الملوك ومؤامرات الوجهاء والأمراء مهملين مآثر الشعوب وتعلقها بالحرية والعدالة والمعرفة وما قدمته من تضحيات في هذا السبيل .. أن كل ذلك يجعل من إعادة قراءة التاريخ وكتابته حاجة ملحة وضرورة ماسة ينبغي الاهتمام بها ومعالجتها المجدية والأساليب الناجعة التي تأخذ بعين الاعتبار جملة من الأمور تأتي في مقدمتها :-

١- الالتزام بالأساليب العلمية والحرص على الحقيقة الموضوعية وجعلها هدفا أساسيا في البحث والكتابة التاريخية .

٢- الاعتماد على الاختصاصيين وعلماء التاريخ الجامعيين ذوي الاطلاع الواسع والنظرة العلمية المعاصرة وحمايتهم من الجهلة والمتطفلين على البحوث التاريخية وتهيئة جميع الظروف الملائمة لهم للقيام بجهدهم العلمي وفي مقدمة هذه الظروف الوقت الكافي والحرية الكاملة في الاطلاع والتعبير .

٣- الاهتمام بتاريخ شعبنا ونشاطه الحضاري والاجتماعي باعتبار أن التاريخ إنما تصنعه الشعوب وليس الأفراد والاهتمام بالأبطال الذين جسدوا أماني شعبهم وتطلعاته وعبروا عنه خير تعبير .

٤- إبراز التقاليد والقيم الإنسانية لشعبنا وتتبع كفاحاته وإبرازها من اجل الحرية والعدالة ضد الظلم والاستغلال والتعسف وإبراز حركاته الثورية التي مثلت هذه التقاليد .

٥- تجنب الفخ الذي تنصبه بعض مراكز الأبحاث الأجنبية باعتبار الحركات

الثورية التي قام بها شعبنا خروجا على الشرعية التي يمثلها في رأسهم الملوك والرؤساء ، وانكار شرعية هذه الحركات ضد التعسف والظلم والاستغلال تحت مختلف المبررات . وتمييز القادة الذين اكتسبوا شرعية القيادة من استبسالهم في الدفاع عن استقلال الوطن وكرامته وشرفه وتمثيل مصالحه وتبني أهدافه وأمانيه .

٦- إبراز حيوية شعبنا المتمثلة في نشاطه الحضاري وحركاته الفكرية ووضع تلك الحركات في إطار الظروف الموضوعية التي حدثت فيها وعدم ربطها بمفاهيم معاصرة منبثقة من ظروف خاصة لا علاقة لها بالظروف التي انبثقت منها تلك الحركات .

٧- إبراز الجوانب المشرقة في تاريخنا من دون أن يعنى ذلك إنكار الجوانب المظلمة والكبوات التي تعرضنا لها بل وضعها في أطرها الموضوعية وربطها بأسبابها الحقيقية بموضوعية وعلمية تامتين .

٨- إبراز القيم الإنسانية التي تحلى بها شعبنا وبُعده عن الشوفينية والعنصرية والاحقاد القومية والدينية والطائفية ، كل ذلك من دون تجاوز الموضوعية العلمية والحقائق التاريخية .

٩- الانفتاح على التيارات العلمية في دراسة التاريخ وكتابته في العالم اجمع والإفادة من خلاصة ما أنتجته البشرية عن الأفكار والنظريات في هذا المجال .

١٠- وضع الخطط العلمية لنقل الآراء والأفكار التي تطرح وتقر إلى ميدان الممارسة والتطبيق وتنظيم الجهود من اجل إنجاز دراسة تاريخية موسوعية يأتي في مقدمتها كتاب مفصل عن تاريخ وطننا العراق مهد

الحضارات منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، الذي يمكن أن يملأ فراغا لاتزال مكتبتنا تشكو منه بشكل صارخ . وربما كان من الضروري لتحقيق ذلك تشكيل هيئة دائمة لوضع الخطط اللازمة لإعادة قراءة التاريخ وكتابته والإشراف على تنفيذها وتوفير الظروف الملائمة للعمل الجدي السريع في هذا المجال وحماية حرية المؤرخين من المتطفلين والداعين إلى قولبة التاريخ وإخضاعه إلى المتطلبات الدعائية الساذجة والاعتبارات السياسية والاجتماعية العابرة وإلا فإننا قد نسيء إلى التاريخ أكثر مما نقدم له من خدمة .

إن مهمة المؤرخ والتراثي العراقي والعربي اليوم هي تنقية التاريخ من آثار هذه الأهواء والمصالح ، أي انه يخلصه من شوائب الدخلاء ، وأن يُنظر إليه نظرة ذاتية بصفته جزءا منه متحدا معه وموضوعية باعتباره جزءا من التاريخ الإنساني كله .

إن تاريخنا الوطني والقومي في حاجة الى أن يُكتب على وفق نظرة جديدة مستقلة بأن نُطهره من آثار المتغلبين ومن تفسيرات أصحاب الأهواء من المستعمرين ومن يرتبط بهم من مستشرقين وأصحاب مدارس معينة ونمعن النظر فيه في صفاء واندماج لنستلهم روحه النقية ، ولنتواصل مع حيويته وديمومته .

سجال الاسلامي / القومي والجدل مع الآخر المختلف

إن لكل مجتمع تاريخ ، ومهما تفاوتت الزمنية والأعمال الإبداعية والبطولية لتاريخ كل مجتمع ، فان الاعتزاز بهذا التاريخ يصل أحيانا إلى حد التطرف وخصوصا عند بعض المجتمعات الحديثة التكوين والتاريخ .

والسبب ينبع من حقيقة هامة وهي إن التاريخ من أهم مقومات الشخصية ، شخصية الفرد وشخصية المجتمع .

فالمؤرخون يعتبرون التاريخ بمثابة الذاكـرة الوطنيـة للمجتمعـات وحاجة الأفراد إلى التاريخ لا يقل عن حاجاتهم إلـى ذاكـرة ، والنتـائج المترتبة على فقدان التاريخ أو تشويهه أو إخضاعه للأهواء والأحقاد اخطر بكثير من فقدان الذاكرة عند الأفراد بسبب الآثار السلبية الواسعة النطـاق المترتبة على ذلك.

إن الفهم الصحيح للتاريخ والاعتزاز بتراثه يساعد على البناء والتقدم ومواجهة التحديات بروح فعالة وحماية أفراد كل مجتمع من الذوبان فـي المجتمعات الأخرى أو فقدان القدرة على التمييز بين الخطأ والـصواب او الاندفاع نحو التطرف والإرهاب .

لقد شهد الثلث الأخير من القرن العشرين تهافتا محموما في العديد من الأقطار العربية على فكرة إعادة قراءة تاريخنا وكتابته ، فيما توالدت هذه الدعوات تترى حتى الساعة عبر العديد من حواضرنا وبطرائق وتسميات مختلفة من نوع (قراءات جديدة) أو (مراجعات تقدمية) أو (ارتدادات معاصرة) إلى التاريخ العربي الإسلامي بخاصة ، ثم ما لبثت هذه الحملة وان أخذت لبوسا متنوعا وأشكالا مختلفة تبعا لطبيعة بواعث الارتداد إلـى الماضي من اجل تحقيق أهداف لا تقل تنوعا واختلافا عن الدوافع ... بيد إن هذا الموضوع الشائك والماثل أمامنا لابد أن يستدعي الرصد والملاحظة على سبيل تحليل ارهاصات العودة الى الماضي وأسباب إنشائها في عـالم يتجه نحو العولمة وباتجاه طي صفحات الماضي في سبيل إضاءة الحاضر

واستشراف المستقبل على نحو منقطع إلى حد كبير عن تربة التاريخ[٢] .

إن مناقشة هذا الموضوع الرائج في اغلب أقطارنا العربية ، ولاسيما خلال هذه المرحلة ، تقودنا إلى ملاحظة حقيقية مهمة ، وهي إن واقعية الاهتمام العربي وبواعثه ، ولاسيما المشرقي ، إنما تعبر عن حالة اللايقين التي يعانيها الانسان العربي المثقف على نحو خاص . فإذا ما كان الحاضر صعب المراس وعصيا على الفهم والإدراك بشكل واضح يكون المستقبل أكثر غموضا وسببا للخوف والقلق ، الأمر الذي يجعل من الماضي الأساس الوحيد المتاح للتيقن ولإعادة الثقة بالذات وبالقدرة على التوليد والتجدد . لذا كان التمسك بتقديس الأسلاف وبقصة الماضي القومي بالنسبة للعديد من المفكرين العرب من علامات العجز عن إدراك الحاضر والخوف من استشراف المستقبل[٣] .

ان هذا الجدل المبسط يقود المتابع إلى إن الملاحظة الأولى التي تستحق الاستذكار في هذا السياق هي ان مجموعة أفكار وأدبيات ما يعرف بالنهضة العربية الحديثة كانت تاريخية المنشأ والتأطير ، درجة ان اساطين هذه النهضة لا تخلو خطاباتهم الفكرية والتأسيسية من البعد التاريخي المبتنى على فكرة الاستحضار من اجل التفاخر والبرهنة على إمكانية إحياء هذا الماضي العريق لبناء مستقبل عربي أو إسلامي مشرق . ثم ما

---

[٢] محمد الدعمي – اعادة كتابة التاريخ: لماذا ، كيف ؟ جريدة الزمان (لندن/بغداد)، عدد ٢٠٠٦/٤/٢٧.

[٣] محمد الدعمي – في اعادة كتابة التاريخ ثانية، جريدة الزمان (لندن/ بغداد)، عدد ٢٠٠٦/٥/١١.

لبث هذا النوع الملائم نسبيا من الارتداد الى الماضي سالكا منحنيات مختلفة ومتناقضة أحيانا . وخير دليل على ذلك انشطار نخب استلهام الماضي إلى أربع فرق رئيسة هي :

١. دعاة البعد الديني الإسلامي .
٢. دعاة البعد القومي .
٣. دعاة البعد الاممي الذي استورد أفكاره عبر الحدود العربية من قراءات ماركس وهيغل وانجلز للتطور التاريخي حسب نظرية الديالكتيك المادي .
٤. دعاة الانغماسية التي ترتسم بمياه العقلانية والتجريبية التي ميزت العقل الغربي عبر القرون الماضية على سبيل استعارة أدوات تفكير هذا العقل وآلياته من اجل تطبيقها على التاريخ العربي الإسلامي ، عسى أن تستنبط دلالات جديدة ويتحقق توظيف أفضل وأكثر فاعلية لهذا التاريخ[٤] .

نقول :- إذا كان الاسلاميون قد استحالوا وتحولوا عبر منعطفات فكرية عديدة كي تستقر بهم الحال على فكرة التجديد وتطهير الحياة الإسلامية مما علق بها من بدع وضلالات وممارسات خاطئة وخرافات في سبيل إطلاق حركات سياسية دينية ... تأسيسا على فكرة (الرابطة الإسلامية) ، فأن القوميين تناحوا إلى تقديس روحية (القوم) المنتمين إلى امة واحدة ، امة آلت إلى التراجع والنكوص عبر قرون الهيمنة الاجنبية وما خلفته من (رجعيات) محلية بحسب مصطلحهم المفضل .

---

[٤] المصدر نفسه .

لقد شكلت هذه المواقف الفكرية المتبلورة في حركات سياسية فاعلة اليوم جوهر الحياة السياسية في اغلب الأقطار العربية ، وبذلك يكون البعد التاريخي حسب المنطق والاستدلال ، الأهم والأكثر قوة في تشكيل حياتنا المعاصرة .

ثمة مدارس / اتجاهات اطلقها كل من التيارين الفكريين (الإسلامي والقومي) في أساليب التعامل مع التاريخ . فبينما يتخذ الإسلاميون موقفا تقديسيا لفترة معينة من تاريخ الأمة (وهم يقصدون الأمة الإسلامية) من اجل استحضاره أساسا للتيقن ونبراس للمستقبل ، يعتمد القوميون موقفا أكثر ميلا الى العلمانية بالرغم من عدم خلوه من البعد التقديسي لتاريخ الأمة (وهم يقصدون العرب . دما وثقافة) على سبيل تطوير استدلالي أو انتقائي من تاريخ طويل يمتد إلى أقدم الحضارات الآدمية (باعتبار التواصل القومي العربي) منتقين تلك الصفحات البيض من هذا الماضي بوصفها مناهل لبناء الحاضر وتشكيل المستقبل . وهكذا كانت الحياة السياسية في منطقتنا العربية في أهم مفاصلها من النمط التاريخي ، بمعنى انها عدت التاريخ جذلها وسوغها الجوهري الأساس .

لقد احتك هذان التياران بالذات مع العقل الغربي منذ بواكير ظهورهما ، بل ان بعض تشعباتهما قد جاءت محاكاة لتيارات مماثلة ظهرت في الغرب في اوربة القرن التاسع عشر ، فظهرت لدينا الجمعيات والأحزاب والمنتديات الإسلامية والقومية منتشبة بسرعة في نوع من الفضاء الخالي أو الخواء العقائدي الذي تركنا العثمانيون ضحية له بعد قرون من الاستلاب والاحتلال والتتريك ... لذا

كانت (العربية الفتاة) تمثل صدى لـ (تركيا الفتاة) ، بينما كانت حركات التجديد إلى حد كبير رد فعل مضاد للغزو البريطاني والفرنسي الذي هو الآخر يحمل بدواخله نوعا من الأبعاد التبشيرية على سنوات حملاته الاولى .

واذا كان الفعل الامبراطوري في عصر الكولونياليات الاوربية قد هادن هذا التيار او شجع ذاك حسب المتطلبات السياسية الطارئة والزائلة ... فان النتيجة النهائية ارتكنت الى اثارة الحساسية ولاسيما حساسيات التيارات القطرية المنتشرة في ربوع الوطن العربي . وفي الوقت الذي أخذ فيه العقل الاوربي ، ثم الاوربي / الامريكي يُطلِّق التاريخ والماضي بسبب من معطيات الثورة الصناعية والانتقادات التقنية الهائلة حتى عصر الشبكات الرقمية والحواسيب ، فان العقل العربي والمسلم بقي متماسكا الى درجة اتهام هذا العقل من قبل المفكرين الغربيين بوقوعه حبيسا في زنزانة التاريخ ، وهو اتهام لا يخلو من الادانة حسب منظورهم بل ان الثقافة الغربية ما لبثت ان اخذت تستهين بتاريخنا على سبيل الاقلال من شأنه واحالته الى ماضي طللي لا يستحق سوى البقاء جامعيا لغبار الازمان في المتاحف . ثم ما لبثت النخب الثقافية والسياسية الغربية ان اخذت تتعامل مع طرائق معالجتنا على نحو دوني لا يخلو من النظرة العلوية المشحونة بالازدراء[٥] .

---

[٥] انظر:– محمد الدعمي – الاستشراق والاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦ .

واذا كان هناك بعض المؤرخين العرب قد تمكنوا من ادوات العقل الغربي ومن توظيف طرائق التفكير والاستنتاج العلمية التي اكتسبوها في المؤسسات الغربية ، فان جهودهم الابداعية والرصينة بقيت حبيسة مراحل معينة ضيقة من تاريخنا الطويل ، فلم تتمكن من قراءة شمولية كاملة لهذا التاريخ المزدحم بالغوامض والزوايا غير المضاءة ، هذه بطبيعة الحال ليست نقيصة او مثلبة ، ولكن هذا لا ينفي انجازهم في تقديم قراءات ناضجة من منظور علمي تقدمي جديد لبعض فصول تاريخ العرب والاسلام . واذا كان هؤلاء قد اثاروا زوابع وصلت الى حد التهديدات ولاسيما من قبل المحافظين التقليديين فانهم نجحوا كذلك في لفت الانظار الى اهمية المنظورات الغربية اللامنتمية لتاريخنا في اغناء فهمنا لتاريخنا العربى (القومي) والديني ، ملاحظين ان ادوات البحث العلمي التي تمخضت عما يسمى بحركة (التاريخ الجديد) تلك التي ساعدت على تخليص اوربا من براثن الاسطوري والخيالي ، يمكن ان تساعدنا على إلقاء ضوء ساطع على (الثقوب السود) المنتشرة في القراءات العربية الكلاسيكية لهذا التاريخ على ايدي القصاصين ثم الشيوخ من المؤرخين .

بيد ان على المرء الاستدراك :- ان الاصالة في عملية استعادة الادوات والاليات الغربية لبحث تاريخنا تتحدد في التوظيف ، العربي الاسلامي ، الاصيل لها وليس في الارتماس بمياه الغربي حد استعارة تواريخ كاملة مكتوبة باقلام غربية كي تعتمد وتسوق ليس على المستوى الثقافي والسياسي العام فحسب ، بل كذلك على المستوى المدرسي حيث يتم تلقين الشبيبة والنشء كل ما افرزه العقل الغربي من خلاصات حول تاريخ

هو ليس بتاريخهم ولاسيما أن العقل الغربي كان هو الاخر يـرتكن الـى دوافع وارهاصات مصلحية وقومية تنأى بنفسها عـن القـراءة الحياديـة للماضي العربي الاسلامي . صحيح ان المستشرقين قد اضطلعوا بمهمات كبيرة في حقول تحقيق التواريخ العربيـة والاسـلامية وبحثهـا ، وهـم يستحقون الشكر والعرفان على ذلك ، لانهم قاموا بهذه المهمة في عـصر مظلم لم تكن فيه ثقافتنا قادرة على انجاز مثل هذه المهمة ، بيـد ان علـى المرء ان يتذكر ان جهود المستشرقين كانت في جميع الاحـوال حبيـسة نظرة استعلائية فوقية تمسح فضاء الماضي العربي الاسلامي على نحـو دوني ولا منتم ، الأمر الذي جعلها عرضة للخلـل وللاخطـاء المنهجيـة والمعرفية .

ان من اهـم النقـاط السلبيـة التي يستحضرهـا العقـل الغربـي ضـد طرائق الشرقيين ومنهم المسلمـون والعـرب ، هـي إنهـم قـد ورثوا تاريخـا لا تاريخيـا . بمعنى انه خليط مـن الحقيقـة التاريخيـة والاسطـورة ، الأمـر الذي يلقي ضيـاءا من التشكيـك علـى مجمـل الحركات السياسية القائمة والفاعلة في الوطن العربي من اجـل تـسفيهها وإزالة مسوغات وجودها . بل ان هذا الخط في التفكير الغربـي يـدعي بان تاريخنا نفسه لم يكن سـوى واحـدة مـن ثمـرات العمـل الغربـي والبحث الاستـشراقي الـذي حقـق ودرس أهـم المـصادر التاريخيـة الإسلامية وأغلبها بعد ان كتبت بـأقلام الـشيوخ قبـل قـرون . وبـذلك يكون الجوهر التاريخي للثقافة العربية منحة غربية وليس ابـداعا عربيـا او اسلاميا .

ومع توارد موجات العولمة في عصر القطب الواحد ، أخذت الحضارة الغربية تستثمر التاريخ العربي الإسلامي ذاته ، كما نعرفه وكما قرأناه ، وكما نحاول إعادة كتابته من اجل ادانتنا واستنكار كامل المنظومة الفكرية الإسلامية والعربية (القومية) باعتبار خلوها من فضائل الثقافة الغربية التجريبية العقلانية . وبذلك الديمقراطية التي لا نملك موازيا دقيقا لها في تراثنا هي تهمة تعميمية للإساءة ليس لهذه التيارات السياسية والفكرية الفاعلة في وطننا العربي فحسب ولكن كذلك الإساءة إلى كل التراث والموروث الثقافي القطري / الوطني بوصفه موروثا عقيما ومعيقا لتقدمنا ناهيك عن استحضارات أخرى يراد لها نسف الأسس التاريخية أو الماضوية لمجمل الفكر العربي (القومي) والإسلامي المعاصر .

وباعتبار الامساك الغربي بتاريخنا كنقطة ضعف تكون عملية اعادة قراءته وكتابته من العمليات الصعبة والمعقدة للغاية . ذلك إننا لا نعيد قراءة التاريخ وكتابته من اجل تبرير وراثة عائلة مالكة للعرش ولا نسترجعه بنظرة جديدة من اجل البرهنة على تفوق العنصر العربي على نحو شوفيني ، ولا نعيد قراءته على طريق تحقيق أهداف سياسية مؤقتة ، إنها عمليه تحد واحتكاك لا يمكن أن تجتزأ أو تبتسر من حالة صراع / حوار الحضارات الجارية اليوم على نحو سريع وعنيف أحيانا .. ولنا في القراءة المتحررة من اسقاطات سلبيات الماضي ، القراءة التقدمية الناظرة إلى أمام ... خير بديل ودليل يمكن أن يحمي كينونتنا الثقافية من عواصف العصر التي ستأتي على ثقافتنا إن لم نتداع إلى حفظها وحمايتها .

فهم التاريخ وتجاوز مأزق نهضتنا الحضارية

شغل التاريخ عند العرب جزءا كبيرا من المشروعات البحثية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، في ظاهرة كان اول من دشنها عدد من المستشرقين ضمن اطار اهتمامهم بالبحث العلمي لتاريخ المنطقة العربية والاسلامية ، تبعها بعد ذلك صدور عدد من الدراسات المهمة والمستفيضة لباحثين عرب حاولت تفكيك البنى الثقافية في التاريخ العربي واعادة تجميعها في منظومات معرفية جديدة ومتسقة ، ومع الجهود الكبيرة التي بذلت في هذا الاطار ، مازال السؤال المحوري الذي اتكأت عليه تلك الدراسات مطروحا حتى يومنا هذا .

ـ هل نحن بحاجة الى قراءة جديدة وكتابة جديدة لتاريخنا ، وهل يشكل هذا الامر احدى مستلزمات نهضتنا الحضارية ؟

يرتكز بعض الباحثين في دعوتهم الى اعادة قراءة التاريخ وكتابته ، الى ان عملية التاريخ التقليدي ـ كما مارسها المؤرخون الاوائل ـ للعصور الاسلامية كانت مكتنزة بانحياز عقائدي نافر ، مارسه المؤرخ تجاه بعض أطراف الصراع مما جعله يسعى ـ في غمرة عملية التاريخ ـ الى نصرة مذهب او طائفة او رجالات على خصومهم ، الامر الذي يجعل المؤرخ طرفا في تلك الصراعات المذهبية والسياسية التاريخية لا شخصا محايدا يهدف الى توثيق الحقيقة على حساب من كانت .

ان كتب التاريخ الاسلامي هي تؤرخ للامم والملوك كتبها المنتصرون وضاعت فيها هموم المجتمع وحياة الناس ومشاعر الانسان ، تاريخ سردي ، جزئي ، يهتم بالتفاصيل الدقيقة من دون ان يربطها باتجاهات

فكرية كبرى ، يفتقر الى التحليل والقراءة المعرفية الموضوعية بادوات علمية جديدة تستحضر علم الاجتماع السياسي والتحليل النفسي والدوافع القبلية والمادية والنزعات العرقية ، وتحفر في البنية الداخلية للشخوص والمجتمع والثقافة وتربطها بالمنظومات المعرفية الكبرى السائدة في تلك المجتمعات ، لا التقليدي .

ان اعادة قراءة التاريخ تغدو ضرورة اذا ما اراد المجتمع العربي تجاوز مأزق التقدم بعد ان اخفق في اللحاق بركبه ، كون المجتمع العربي الحديث هو في كثير من تشكلاته ، امتداد طبيعي لصراعات التاريخ حيث مازال كثير من التيارات السياسية الجماهيرية ــ الاسلامية بالذات ــ غارقة في سجالات تاريخية حول التراث الفقهي والسياسي الذي تكون في التاريخ الاسلامي ضمن سياقات بدا كثير منها خجولا ، في حين بدت هذه السجالات والتراث السياسي هو المحك الحقيقي والمرجعية المعتبرة في قضايا العلاقة مع المخالف الفكري وفي التعامل مع غير المسلم ، وفي علاقة الدولة الاسلامية بالعالم المحيط[٦] .

من هنا غدت عملية اعادة قراءة التاريخ وكتابته ضرورة ملحة لأظهار انحيازاته وسياقاته ، ونزع القداسة عنه وابراز الدوافع السياسية والاجتماعية والعرقية لكثير من التشظيات المذهبية والصراعات الدينية .

---

[٦] نواف القديمي ــ الاسلاميون : سجال الهوية والنهضة ، مقاربات في الفكر والممارسة ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت / الدار البيضاء ، ٢٠٠٨ ، ص١٦٣ .

ان النهضة الحضارية تستلزم ان تقف على ارضية تاريخية صلبة كي تنطلق الى المستقبل الرحب بخطى واثقة حاملة معها اداة نقدية موضوعية تستطيع بها تجاوز تقديس التراث وتقبيح القادم من الاخر .

لكن بعضهم الاخر يرى ان هناك عشرات الكتب التراثية الراصدة للتاريخ الاسلامي كثير منها على قدر عال من الحياد والموضوعية في نقل الاخبار والمواقف بلا انحياز وانشغال بركام الصراعات التاريخية .

كما ان القراءات الجديدة للتاريخ الاسلامي التي صدرت خلال القرن الماضي التي يزعم اصحابها انها تمارس قراءة التاريخ بادوات جديدة هي في حقيقتها مؤدلجة او ينحاز مؤلفوها الى نتائج واتجاهات مسبقة قبل الشروع في عملية البحث العلمي ، فالماركسي يُقرب بحثه باتجاه النزعات المادية في هذا التاريخ ، والعقلاني يكرس جهوده لتلميع المدرسة العقلية والاعتزال والفلاسفة البرهانيين ، والليبرالي يسلط الضوء على تراث الاستبداد والتسلط رغبة في تجاوز هذه الحقبة ، حتى بدا السعي الدؤوب لكل طرف سعيا لجذب وابراز واضاءة مناطق وازمنة من التاريخ يخدم بها اتجاهاته الفكرية والسياسية(٢) .

هناك من يرى الموضوع من اتجاه اخر يرتكز على ان افراغ جهوده العلمية كبيرة في عملية اعادة قراءة التاريخ لا يخدم اطلاقا قضية النهضة بقدر ما يرجعنا دائما كي ننظر الى الوراء وننشغل بجزئيات تاريخية وصراعات عفا عليها الزمن بدل ان تتجه ابصارنا باتجاه المستقبل وايجاد

---

(٢) المصدر نفسه ، ص١٦٤ .

حلول لمأزق التقدم والنهضة ، وان ننشغل بحل كوارثنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الرابضة على صدورنا التي غدت مكابح تمنع ركبنا من ان ينطلق لحاقا بركب الحضارة والتطور والمجتمع المدني الحديث . وان دعاة اعادة قراءة التاريخ وكتابته هم في حقيقتهم ـ سلفيون من وجه اخر ـ سواء كانت هذه السلفية اسلامية ام ماركسية ام عقلانية . فيما يرون ان الحل يتمثل في ممارسة قطيعة مع هذا التاريخ حتى لا نكون معنيين بحمل ركامة على كواهلنا المثقلة اصلا بأزمات الحاضر في طريقنا الطويل نحو النهضة الحلم[٨] ؟

ولكن يبقى السؤال المحوري هنا :- هل نحن بحاجة الى قراءة جديدة وكتابة جديدة للتاريخ ؟ وهل الطريق الى نهضتنا الحضارية يمر لزاما عبر تاريخ جديد ؟

نعم . نحن بحاجة الى اعادة قراءة التاريخ وكتابته من جديد ، وذلك للمساهمة في اعادة بناء الرؤية العربية و الاسلامية المتسامحة والمعتدلة والخروج من اسر القرارت الخاطئة للاحداث التاريخية التي ساهمت في تضليل الرؤية الفكرية العربية اليوم .

فمن المعروف ان الوعي بالتاريخ يشكل مقوما اساسيا من مقومات التنوير لأي مجتمع من حيث كون التاريخ نموذجا تأويليا لحركات المجتمعات والبشر ، وفضاءا قيميا ؛ وأفقا رحبا لفاعلية الانسان المسيطر على مصيره والمجتمع بإرادة حرة . ولذا لم يكن من المستغرب ان يشكل

---

[٨] المصدر نفسه ، ص١٦٥ .

الهم التاريخي بعدا ثانيا من ابعاد الفكر النهضوي الحضاري العربي بتجلياته وتنويعاته المختلفة التي يمكن ان تصنف وتقوم بحسب قراءتها وتصورها للتاريخ . ويمكن القول بأختصار ان الفكر العربي المعاصر قد تضمن في الغالب ثلاث مقاربات للتاريخ :-

١. التاريخ / المرجع الذي اتخذ شكل الموروث الثقافي .
٢. التاريخ / الهوية ، أي التاريخ ماضيا ومصيرا كمقوم ومرتكز للهوية العربية وللمشروع القومي .
٣. التاريخ / الافق بالمفهوم النضالي الليبرالي واليساري[٩] .

ان التوجه النقدي الذي بدأ يسلكه الفكر العربي منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي استند الى التصورات الجديدة للتاريخ ، كما برزت في الفلسفات والعلوم الانسانية الراهنة ، وقد تمحورت هذه التصورات حول فكرتين اساسيتين :-

١. نقد واشكلة العلاقات العضوية بين التاريخ والهوية بادخال مفاهيم الاختلاف والتنوع والقطيعة .
٢. اعادة قراءة الموروث الثقافي من خلال اليات التأويل والمباحث اللسانية الجديدة التي افرزت مفهوما جديدا للنص .

بيد ان هذه الاعمال وان اتخذت في الغالب سمة البحث العلمي المتخصص او النزوع النقدي الموضوعي ، الا انها لم تسلم في الغالب من

---

(٩) سيد ولد اباه ـ مآزق المشاريع البحثية الحديثة لقراءة التاريخ ، بحث منشور ضمن كتاب نواف القديمي ، الاسلاميون ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٨ .

المسبقات والخلفيات التعبوية النضالية التي غدت تتخذ من النص من حيث هو ــ الرأسمال الرمزي الرابح ــ ارضية تواصل مفقود مع فضاء مجتمعي عصي على ادوات التحليل الاجتماعي والسياسي المألوفة .

فثمة صراع بين التيارات الفكرية للاستحواذ على التاريخ . فاليساري حاول اسقاط رؤيته المادية على التاريخ ، والعقلاني ضَخمَ الجانب البرهاني الفلسفي ، والسلفي صبغ التاريخ حسب رؤية اهل الحديث المتأخرين ، ومؤلفو كتب اعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي والحديث قدموا صورة مثالية حالمة لتاريخنا(١٠) .

نحن اذن امام تيارات واتجاهات مختلفة لتاريخنا اخذت من زوايا متعددة وساهمت في ترسيخ احادية الرؤية في الفكر العربي المعاصر ، والحق أن تاريخنا هو ذلك كله ، فهو تاريخ حضارة فيها التُقى والمجون ، والعدل والظلم ، والحرية والكبت ، والضعف والقوة ... فكل هذا تاريخنا ، وهو بحاجة الى قراءة جديدة واعية تتميز بروح نقدية جريئة تكشف عن المفاصل التاريخية التي ساهمت في تكوين العقل الجمعي الثقافي للامة العربية اليوم .

نحتاج الى قراءة جديدة متكاملة شاملة تتناول الجوانب الايجابية في تاريخنا ، كسيادة مفهوم الامة واستقلالية العلماء والابداع العلمي في مجالات المعرفة ، وحرية الاجتهاد في العصر المتقدم منه ، وقبول الخلاف

---

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ و ١٦٧ .

وبعض صور التسامح التي غابت تماما من افق التنظير العربي الاسلامي اليوم .

وفي المقابل ايضا ، تتناول هذه القراءة الجديدة والكتابة الجديدة دراسة ما في التاريخ من جوانب سلبية ، كالاستبداد ، وسوء توزيع ثروة الامة ، وتهميش الفرد ، وادبيات التعامل مع السلطة ، والتعصب ، والصراع بين الفرق والطوائف ، والممارسات العنصرية مع غير العرب ، وممارسات الفقهاء البشرية ، كالتأصيل للاستبداد ، والصراعات الشرسة بينهم ، للاستحواذ على المدارس والمناصب ...

كل هذه الاحداث التاريخية والصراعات المذهبية، والرؤى الفكرية عبر هذا التاريخ الضخم، وهذا التراث الممتد عبر قرون طويلة ... كل ذلك مازال حاضرا بقوة ويشكل حجر الاساس في الرؤية الفكرية للفرد العربي اليوم. ولهذا فمن الاستحالة ان يكون للعرب مواكبة نهضوية حضارية من دون العبور من بوابة التاريخ. فالفرد العربي مازال يسكن في التاريخ، فان رؤيته تجاه الوقائع والاحداث والاشخاص تستمد محدداتها من المعرفة التراثية التي تكونت عبر هذا التاريخ. فالعرب اليوم بكل توجهاتهم الفكرية مازالوا مسكونين بالتاريخ وحوادث التاريخ، ومازالت التنظيرات الفكرية التي تستند الى حوادث تاريخية تشكل الخارطة الرئيسة لتفكيرهم . ومن الاستحالة تجاوز هذا المكون الرئيس والغاؤه في أي رؤية نهضوية حضارية ... وهذا ما اكتشفه المثقفون العرب من غير الاسلاميين ، فبعد إخفاق مشاريع فكرية كثيرة طرحت لاحداث قطيعة مع التراث والتاريخ بدأوا في السبعينيات اعادة قراءة التراث والبحث عما يوافق توجهاتهم بما

يمكن ان نسميه تسويق توجهاتهم الفكرية من خلال التراث والتاريخ ، ولم تقتصر تلك العودة الى التراث والتاريخ على تيار بعينه بل رأينا ما يـشبه العصاب الجماعي للتحول الى قراءة التراث[11] .

تقاطع الرؤى.. وانتقاء المنهج

أقسى ما يتهم به المؤرخون الداعون إلى كتابة تاريخ الأمة العربيـة على وفق رؤية قومية واحدة ، هو إنهم يختارون في كتاباتهم من الوقـائع والدلالات ما يتفق ورؤيتهم ويبرزها ، ويسقطون ما عداها ، فكتاباتهم تأتي على وفق فكرة مسبقة للدراسة لا نتيجة لها ، وهي لهذا غير موضوعية في محتواها وأهدافها ، واتهام كهذا ــ على الرغم من قسوته ــ ليس بعيدا عما يبرره تماما إذا ما كان المقصود بالاتهام مئات من الكتب التـي ظهـرت خلال العقود الأخيرة ، وحاول معظمها أن يبرز افكارا أساسية بذاتها عـن طريق اسقاط كل ما يتعارض مع تلك الأفكار من وقائع ونزعات وميـول واتجاهات ودوافع برزت في حقب مختلفة فتركت آثارها على جوانب من الشخصية العربية المعاصرة ، في حين حاول بعـضهم تبـسيط تـواريخ الأقطار العربية وتسطيحها فيما بدا لاصحابها إنهـا محاولـة لإظهارهـا كتاريخ واحد ، فأغفلوا دراسة كثير من التفاصيل بحـسبانها تـؤثر علـى شمولية الحركة العامة ، وتجاهلوا العديد من النزعات والحركات السياسية والفكرية والاجتماعية مما بدت عليه من تقاطع مع الرؤية القومية ، وقللوا

---

[11] سليمـان الضحيان ــ اعـادة قراءة التاريخ .. والخروج مـن اسـر القـراءات المنحازة ، بحث منشور ضمن كتاب نواف القديمي، الاسـلاميون .... ، مـصدر سبق ذكره ، ص ١٦٧ .

من أهمية دوافع قطرية أو انعزالية هنا وهناك، على الرغم مـن ظهـور آثارها على مجريات تاريخ الأمة احيانا ، بل إنهم اسقطوا حقبـا بـذاتها لمجرد ان هذه الحقبة لا تمثل مراحل توحد الأمة أو لأنها لا تحفـل بمـا ينبغي اختياره لإبرازه . وهكذا فان مناهج كهذه في عرض التاريخ القومي هي المسؤولة عما يتعرض اليه هذا التاريخ من نقـد ، بصـرف النظـر عما يستبطنه هذا النقـد من موضوعية أو ما يـستهدفـه مـن أغـراض سياسية معينة .

وبما إن الإغفال ، والتجاهل ، وإسقاط أحـداث وحقـب ، واختيـار غيرها ، مما لا يستقيم والمناهج العلمية على اختلافها ، فان تلـك الكتـب ومناهجها تبقى هدفا سهلا للتجريح وتوجيه السهام لتنفذ منها إلـى الفكـر القومي نفسه ، فتكون بذلك افدح ضررا واشد خطرا وأعظم شررا.

وإذا كان ما يميز المؤرخ القومي المعاصر هـو شـمولية نظرتـه لتاريخ الأمة كلها ، فان هذه الشمولية لا تعني (الإطار) بقدر مـا تعنـي (المحتوى) نفسه ، وليس معنى ان يكون المؤرخ قوميا فـي نظرتـه للماضي ، أن تكون نظرته هذه أفقية حسب ، تشمل المنطقة العربية لكنها تعجز عن استيعاب حركة الأمة بتفاصيلها العديدة وتفاعلاتها المتداخلـة ، فإنها إن كانت كذلك ، حكم على عمل صاحبها بالسطحية والتبسيط ، ولـم يعد هذا العمل ، بحثا كان أم كتابا ، بقادر على إقناع قارئه على أية حال .

إن الشمولية هنا تعني دراسة التاريخ العربي بكل مراحله وحقبـه ، وما تقدم منها وما تخلف وبكل تفاصيله وزواياه ، ما أضاء منها وما ظلم ، وبجميع نزعاته واتجاهاته ، سواء ما اتفق منها مع رؤيانا القوميـة أم لـم

يتفق ، فلا يتجاهل مؤرخ قومي دوافع انعزال هنا ، وتمحور هنـــاك ، ولا يسقط في بحثه عوامل تكون نزعة قطرية في هذا الجـــزء من الوطـــــن العربي ، وبواعث انعزال هذه الطائفة ، وانفصال تلك النحلة ، فان ذلـــك كله داخل في صميم عمله ، بل هو مهمته الأولى وأساس بحثه .

إن أولى مهام المؤرخ القومي هنا هي أن يـــسبـــر ماضـــي أمتـــه ، ويحلله ، وصولا إلى تحديد تلك اللحظات التي تكون فيها كل ما من شـــأنه أن يضعف حركتها الطبيعية الواحدة مـــن نزعـــات اقليميـــة ، وظـــواهر طائفية ، ودوافع انعزالية ، كان لها أثرها الضار ، بل المدمر فـــي خلـــق ردود أفعال غير طبيعية تجاه أطراف عربية أخرى وإضعاف ردود أفعالها الطبيعية إزاء ما يكتنف الوطن العربي من أخطار وتحديات .

إن ادراكا سليما للدوافع المتسببة في تكوين ظاهرة ما ؛ من شأنه ان يزيل عنها ما أضفت الحقب عليها من سمات مطلقة ــ تعاليم ، مفـــاهيم ، طقوس ، سياســـات ، ومواقف تقليدية ــ لتتضح على حقيقتها ، مجرد عقد نفسيه ومركبات نقص ضارة لا غير .

مهمة المؤرخ العربي / القومي إذن ، أن يعمد على كل مـــا يشـــوب الوطن العربي أو المجتمع الواحد ، من إشكالات سلبية خلفتهـــا السنون ، فيحللها إلى عناصرها الأولى ليكشف عن تهافتها ، لا أن يتجاهلها ليتـــرك مهمة دراستها إلى من يؤمن بها حقيقة باقية غير قابلة للتحليل والـــزوال . ومعنى هذا ان عليه قبل غيره ، تقع مسؤولية التصدي لدراسة ما يتقاطـــع مع فكره ، وللبحث فيما لا يتفق مع رؤياه ، لأنه إن ترك هذه المسؤوليـــة لمن يجد انتماءه في تلك الكيانات الاقليمية والطائفية والانعزاليـــة ، فـــان

ما سيكتب يكون تثبيتا لتلك الكيانات وتخليدا لما تمثله من نزعات وطروحات ، ويكون هو كمن سلم سلاحه لعدوه ليستعمله ضده . وهو ان لم يتصد لها بفكره الشمولي المستوعب لحركة الأمة العربية كلها ، فان هذه الاتجاهات ستبقى تمثل اشكالات مرعبة أو غريبة في الأقل تهدد وحدة الأمة ومستقبلها ، لكنه إن اخضعها إلى عملية التحليل والفحص ، كشف عن كونها ليست إلا اشباحا أو خيالات ظل ، سرعان ما تتلاشى عند تسليط حزمة من الضوء عليها .

على هذا المؤرخ إذن ، أن لا ينسحب من ساحة الصراع أو أن يخليها لمجرد بروز خصم مناقض له ولحركته ، وإنما أن يبادر هو إليه متسلحا بشمولية تفكيره واتساع افقه ، وانفتاحه على مجمل مراحل تطور الأمة ، فيحلل نقاط التناقض ويكشف بواعثها ويرفعها من طريقه ، فيكسب بذلك من الحصانة الفكرية ، والموضوعية العلمية ، ما يجعله قادرا على مواجهة واقعه المعاصر نفسه .

ــ فما هو المنهج الذي ينبغي له ان يتبعه في دراسة تلك التواريخ وتحليلها ؟

انه بالتأكيد غير المنهج الذي ينتهجه من يجد انتماؤه في تلك الحركات والنزعات والذي أنتج عددا من الكتب الباحثة في تواريخ بعض الكيانات القطرية الضيقة ، ولكن ما هي سمات منهجه البديل ، وما هي خصائصه التي تميزه عن غيره ؟ وبكلمة أخرى ، كيف يتأتى لمؤرخ يؤمن بوحدة حركة الأمة وشموليتها أن يؤرخ كيانا يتقاطع انعزاله مع فكره ورؤياه ؟

إن المناهج السائدة حتى اليوم في دراسة تاريخ طائفة ما ، مثلا ، هي التي تضعها بوصفها طائفة ضمن إطار الحياة الدينيــة ، فتبــدأ بعــرض أفكارها ، وما تتميز به عن غيرها من عقائد ، وتترجم لدعاتها الأوائل وما خلفوه من أفكار مدونة أو غير مدونة ، ثم تنتقل إلى الحديث عن مواقفهــا وصلاتها بغيرها من الطوائف ، ثم بمرتكزاتها الاجتماعية ، وربما خمنت ذلك كله بلمحة عن علاقاتها السياسية المعاصرة . ولا نظن إن كتابــا أرخ لطائفة ما حتى الآن سواء كان مؤلفه من اتباعها أم من منتقديها قد غــادر هذا المنهج إلى غيره ، وان اختلفت التفاصيل ، كتحديــد بــدايات تكــون الأفكار الأولى ومناقشتها تأييدا أو تفنيدا ، وطبيعة صلاتها في مرحلة من المراحل ، ومواقفها من هذا الكيان أو ذاك ، وما إلى ذلك من تفاصــيل لا تؤثر في جوهر المنهج بشيء يذكر وإنما تعززه بما ترتب من معلومــات في ضوئه .

ومنبع الخطر في إتباع منهج كهذا ، يكمن في أولى مقدماته :- لأنه بتصنيفه تلك الطائفة على أساس إنها كيان عقائدي اولا ، يكون قد منحهــا بعدا مطلقا متجاوزا لزمانه ومكانه فلا تأتي دراسته للجوانب الأخرى منها إلا لتعزيز مطلقية ذلك الكيان ، ولا تكــون دراســة مواقفــه وطقوســه ورموزه ، مهما تباين موقف المؤرخ منها ، إلا تأكيدا على تميزه وتفرده ، وتبريرا لانعزال اتباعه عن أبناء المجتمع الواحد ، والأمة الواحدة .

ولا شك في إن نتائج سلبية كهذه ، هي التي دعت اغلب المــؤرخين الذين يؤمنون بوحدة حركة الأمة كلها ، إلى تجاهل دراسة تلك الكيانــات وإسقاطها من حسابهم بدل ان يتجهوا الى اكتشاف مــنهج علمــي جديــد

لدراستها ، تعزز نتائجه رؤيتهم القومية وتغذيها .

وبما ان الفكر القومي بشمولية استيعابه لحركة الأمة الواحدة يتقاطع بصفة حتمية مع فكر تلك الكيانات الطائفية المنعزلة والمتقوقعة وراء ما خلفته الحقب من مظاهر وممارسات ، وان من المستحيل إيجاد صيغة توفيقية حقيقية بين الوحدة والتمرد عليها ، فان ذلك يحتم على المؤرخ القومي المعاصر أن لا يلجأ إلى المنهج السائد في دراسة تاريخ تلك الكيانات ، لأنه لن يخرج بنتائج تختلف في محتواها عن النتائج السلبية السابقة .

إن جوهر الخطر في ذلك المنهج يكمن في خطئه ، لأنه منهج مقلوب يقف على رأسه لا على قدميه ، فهو يفترض إن أساس الكيان عقيدة ، ثم يبدأ من بعد ذلك بالبحث في أوجهها ومجالات تأثيرها ومراحلها انتهاءا ببعض جوانبها السياسية المعاصرة . وافتراض كهذا من شأنه أن يجعل من أية عقدة نفسية كونتها ظروف سياسية متغيرة في لحظة تاريخية من الزمن ، عقيدة مطلقة ، ثابتة الدعائم ، مبررة الأسس ، ومن ثم فان تفسير استغلاقها وانعزالها عن مجمل حركة الأمة يبدو منطقيا أو مقبولا في الأقل[١٢] .

والمؤرخ القومي مطالب بان يعدل وضع هذا المنهج بان يضعه على قدميه لا على رأسه، فلا يقيم فروضا بمطلقية تلك العقائد ، لا لأنها تتقاطع

---

[١٢] عماد عبد السلام رؤوف – الدور المطلوب للمؤرخ القومي ، مجلة الطليعة العربية (باريس) ، العدد ٤٨ (٩/نيسان/ ١٩٨٤) .

مع رؤيته القومية حسب وإنما لتناقضها مع المنهجية العلمية ، وإنما عليه أن يبدأ اولا بدراسة المكان الذي تكونت فيه النزعات الأولى الداعية للتميز عن المجرى العام لحركة الأمة ، دراسة جيوبوليتيكية ، عميقة ، ليكشف عن مدى مسؤولية ذلك المكان ، بيئته وموقعه وعلاقاته ، عن تكوين تيارات سياسية / اجتماعية لها استعداد للتمحور حول نفسها ، ثم يدرس على وفق السياق الأمني ، الصيغة التي توقفت تلك التيارات عندها عن التفاعل الحي مع الحركة العامة حولها ، وتحديد لحظة ذلك التوقف ، وملامح الانغلاق الأولى ، والمراحل الزمنية التي تعاقبت عليها والتي أدت إلى تثبيته وتحجره ، والعوامل الداخلية والخارجية التي كرست وضعه الشاذ بمنحه ما يحتاج إليه من سمات روحية باقية ، وخصائص ثقافية محددة، ثم إعطائه الغلاف العقائدي الذي هو المرحلة الأخيرة من مراحل التكوين ، ونتيجته ، لا سببه .

إن الإمكانات السياسية التي تتيحها بيئة جغرافية ما ، أمر من الضروري دراسته لتحليل مواقف أي كيان قام في تلك البيئة ، سواء كان طائفيا أم سياسيا أم فكريا ، بل ربما كشفت دراسة عن أسباب تشابه ردود أفعال ذلك الكيان القائم في عصر ما ردود أفعال كيان آخر ، في عصر غيره ، لا يجمعه معه شيء سوى انه قام على أرضه ، أي ضمن نفس الظروف التي أدت إلى تمحوره ، ثم إلى انعزاله ، فإذا ما حللت الظواهر وتم تحديد الظروف والدوافع وميز بدقة بين الأسباب الحقيقية لاتخاذ موقف ما ، والغطاء العقائدي المتخذ لتخليد ذلك الموقف ، تبين بجلاء إن وراء الميول والاتجاهات والطروحات التي تعارض وحدة الأمة العربية وتهددها

للخطر ، عقد نفسية ، سببتها ظروف محددة ، ودوافع مختلفة ، وان مجرد إبراز تلك العقد بهذه الصفة وتجريدها مما أضفي عليها من مبررات عقب الحقب المتعاقبة ، كفيل بان يزيل عنها تأثيرها المضاد ويفقدها إمكانية تعويق حركة الأمة الواحدة في هذا العصر[١٣].

غائيات ضيقة

تفشت في الآونة الاخيرة ظاهرة سلبية في كتابة بعض مراحل تاريخنا الحديث من قبل ذوات شغلوا في وقت ما مواقع مسؤولة في حكومات اقطارهم سواء في العهود الملكية أو الجمهورية . ظاهرة تمجد الذات وتشيد بها مقابل الهجوم على المراحل التاريخية التي سبقتها والتي عاصرتها ، وأحيانا تلك التي أعقبت زمانها ، كمؤرخين أو شهود عيان . هذه الظاهرة الخطرة تحتاج إلى تفسير وتحليل وتحتاج أكثر من ذلك إلى موقف حاسم ، موقف يرفض عن وعي وإصرار إخضاع تاريخ اقطارهم لحسابات شخصية أو مغالطات تخدم مصالح غريبة عنها وعن تاريخها .

إن غياب المنهج الموضوعي في كتابات هؤلاء يحول التاريخ إلى ميدان تمارس فيه الأفكار المختلفة حريتها في التزييف بلا رقيب وبلا رادع علمي أو أخلاقي أو سياسي .

---

[١٣] المصدر نفسه ، مجلة الطليعة العربية (باريس) ، العدد ٤٩ (١٦/نيسان/١٩٨٤) .

إن الأهواء الذاتية هي التي تتحكم في كتابات هذا النفر ، وهذه مأساة حقيقية لأنها تحجب عن الحاضر رؤية جذوره والتعامل مع ماضيه بشكل موضوعي يلقي الضوء على الحاضر من أجل فهمه وفك ألغازه وقراءة عناصر المستقبل التي تتشكل في رحمه .

إن صفحات التاريخ هي بشكل أو بآخر تملك مفردات معجم الحاضر اليومي وداخل سطورها وأحداثها ترقد أجنة المستقبل .

التراكمات الذاتية الضيقة والحزبية والأنانية تزيف هذه الصفحات وتغير معالمها ، تقدم لنا تاريخا غير واضح المعالم ، ترسم لنا صورة لأشخاصه لاتطابق واقعهم أو دورهم من قريب أو بعيد . هذا الارتباك مع صفحات التاريخ يفرز لنا تاريخا ليس له علاقة بالحقيقة هو رؤى ذاتية خالصة لا يمكن اعتمادها باعتبارها مصادر حقيقية للأحداث التاريخية أو الشخصيات المؤثرة التي شكلت وقائعه .

ودائما ، عندما يقرأ المرء إنتاج هذه الذاتيات غير الموضوعية سيسأل :- أين الحقيقة في هذا الركام المصاغ بطريقة هدفها إثبات عقيدة سياسية ما أو الترويج لفكرة عقائدية معينة أو إثبات دور مزيف لا وجود له بين مفاصل الإحداث ؟

إن التاريخ له منهجه للوصول إلى الحقيقة مثل أي علم آخر . وحقيقة التاريخ تتركز حول جهود الإنسان في كل مجتمع لمنجزاته وأخطائه ، أي إنه علم يحاول الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بفترة من

حياة الشعوب لها أمجادها وخطاياها ، فكيف نسمح بترك تاريخنا في أيدي كتاب أو كتابات تفتقر إلى أبسط مبادئ المنهج العلمي لدراسة تاريخنا الوطني ؟

وإذا كان موضوع التاريخ هو الكشف عن حقائق فترة ماضية من تاريخ أي مجتمع والبحث عن جهد إنسان هذه الفترة ، فكيف نسمح لكل من أصيب بأضرار شخصية في فترة من تاريخ بلده كان هو قريب منها ... أو من يريد أن يركب الموجة أو يبحث عن مكانا على خشبة المسرح أن يكتب ويحاكم ويحكم على هذه الفترة أو تلك بلا وازع من ضمير أو قانون يرغمه على التريث ويمنعه عن تحويل أحقاده أو أهدافه الانتهازية إلى قنابل مدمرة تصيب مجتمعه بأضرار خطيرة ؟

إن الوصول إلى حقيقة موقف واحد لفترة زمنية محددة يحتاج إلى جهد وبحث ومعاناة ، فكيف تصل الجرأة عند بعضهم إلى حد الحكم على عشرات المواقف لفترة زمنية أو لشخص صانع حدث بعينه بلا دراسة أو فحص أحيانا وبتشويه وتزييف الحقائق ونشرها في صحف واسعة الانتشار أو في كتب أنيقة الطبع ؟

إن كتابات هؤلاء ولاسيما ما يتعلق منها برموزنا الوطنية تسلب من تاريخهم أشياء جوهرية لا تلمس دورها الحقيقي في صياغة تاريخ وطني مشرف ولاتحاول نقل صورة موضوعية عن كفاحهم وأفكارهم السياسية وإنما هدفها منذ سطورها الأولى الهجوم والتشهير من أجل هدف سياسي

محدد هو إطلاق الرصاص على جماعة سياسية دخل معها المؤلف في اختلاف سياسي وفكري ومصلحي ، لذلك عندما يكتب عن هذا الشخص أو تلك الحركة ، كان الهدف تصفية حساب سياسي مع هذه الحركة أو الحزب متمثلة في شخص قادتها وتأريخهم وحياتهم .

هذه الطريقة ليس لها علاقة بالكتابة التاريخية ، إنها تدخل ضمن المناورات السياسية ، لذلك من المعيب والخطأ الشديد إطلاق صفة كتابة تاريخية على هذا الشكل ، من الأفضل وصفه باسمه الحقيقي باعتباره محاولة لهدم تاريخ شخص وطني أو حزب سياسي ونسف أساسه الفكري وطروحاته التاريخية . لذلك فانّ من أي منصف يريد الاقتراب من تاريخ أي مرحلة مر بها بلده لا يهتم لكتابات هذا النفر لأنها منحازة وليست موضوعية ، ولم يكن هدفها إجلاء الحقيقة أو الاقتراب منها . كذلك من الخطأ الفادح إدراج هذا النوع من الكتابات غير المسؤولة ضمن قضية حرية الرأي ، فالحرية لها شروط وقواعد وآداب ، وأهم شروطها التحرر من الأحقاد والأهواء ، ولاسيما إذا ارتبط الموضوع بتاريخ فترة زمنية زاخرة بالأحداث و المتغيرات من تاريخ عراقنا . والحرية تشترط أو تفترض الالتزام بقاعدة حق الآخرين بالرد وبحيث لايتهم من يتصدى لحملة شعواء على تاريخ وطنه بأقصى ألوان الاتهامات . كما تفترض حرية الرأي الالتزام بآداب الحوار الموضوعي الهادئ فلاتنحدر أساليب الحوار إلى حضيض الشتائم باسم حرية الرأي ولا يعقل أن يصبح اتهام

إنسان بالخيانة والعمالة وبيع قلمه مقابل دولارات ، أسلوبا مشروعا لآداب الحوار الحر بين المختلفين .

غياب التيار الموضوعي عن التاريخ مأساة لا يضاهيها إلا غياب نفس التيار عن الواقع الراهن وأتصور أنه في ظل نمو مؤسسات علمية تحاول نقل الواقع نحو استكمال كياناته وشخصيته ، فإن هذا التيار سينمو وسيفرض نفسه ليس على التاريخ فحسب وإنما على صيغة الواقع الراهن .

إننا نحتاج الى نمو تيار الموضوعية في حياتنا العلمية ، وهذه الحاجة تبرز كلما نظرنا إلى تاريخنا الوطني التي تقدمه إلينا كتابات بعضهم المنحازة التي تصر على تقديمه إلينا كما تشاء ، وكما تهوى ، وهي تهدف من هذه الصورة الذاتية للتاريخ التحكم في الواقع حتى تصيغه على الطريقة التي صنعت من خلالها أحداث التاريخ .

إن الموضوعية مطلوبة ليس لقراءة التاريخ وإنما لفهم حياتنا المتشابكة والمعقدة التي يصر كل فريق أن يرسمها بألوانه الخاصة التي ليست لها علاقة بالحقيقة ولا بالتاريخ .

وماذا بعد ؟

كيف نقرأ التاريخ ؟ كيف نكتبه ؟ ومن يكتبه ؟ واي تاريخ نكتب ؟

يقول بعضهم إن التاريخ يجب ان يكتبه المؤرخ فقط ، في حين يقول بعضهم الاخر أن ذلك غير ممكن وانه لابد للعلوم الاجتماعية الاخرى ان يكون لها دور ، ويقول بعضهم ان ما يجب ان نكتبه هو التاريخ القومي ، ويقول غيرهم انه يجب البدء باعادة كتابة التاريخ القطري ، فهل هناك حل

لمعادلة اما .... او ؟ هل هناك امكانية للجمع بين هذا وذاك ؟ ربما يستدعي ذلك بعض الملاحظات والاشارات التي تزيد من المسألة تعقيدا ووضوحا. لقد كتب الغربيون تاريخهم وكتبوا ايضا تاريخ بلادنا ، ولكن نحن ايضا كتبنا تاريخ بلادنا . فهل عندما كتبناه حاولنا اظهار ما يمكن ان نسميه خصوصية الحركة التاريخية ؟ ام اننا كتبنا التاريخ بالتقسيم الذي وضعه الغرب او رأى به الغرب تاريخه ؟ فكتبنا تاريخ الملوك والاسر الحاكمة ، او قسمنا مراحل تطور مجتمعاتنا الى مشاعية وعبودية واقطاع ورأسمالية واشتراكية من دون ان نكلف انفسنا عناء اختبار هذا التقسيم وصحته ؟

وحينما كتب هذا التاريخ (الفوقي) هل تمت دراسة ما هو اجتماعي واقتصادي وثقافي في المجتمع ام ان التاريخ لا يكتبه الا المؤرخ . وعلى الاقتصادي والعالم الاجتماعي ان يتواريا خلف المنحنيات والارقام وحالات المعونة الاجتماعية للفقراء والمشاكل الاسرية ؟ الا يوجد هنا بتر للكل الاجتماعي / الاقتصادي / السياسي / الاجتماعي الذي يشكل المجتمع الانساني ؟ اذن ، ما التاريخ ؟ هل هو دراسة الحوادث والحروب وتوالي الاسر الحاكمة على العروش ؟ ام انه تاريخ الانسان بكل ما يتضمنه معنى الانسان من كلية :- الانسان المفكر ، الانسان المنتج ... الذي يدخل في علاقات متعددة مع غيره من الاشخاص اعضاء المجتمع ، سواء كانت علاقة مُستغَل بمُستغِل او العكس او علاقة مواطن مع السلطة ؟

كيف نفسر ظهور الوعي الوطني او القومي او الوعي الديني او غير ذلك، هل هي ظواهر معلقة في الهواء ام ان لها تفسيرات اقتصادية

واجتماعية وثقافية ولها ايضا علاقة بالعالم الخارجي ؟ هل يمكن تفسير أي من هذه انظواهر من قبل المؤرخ من دون أن يتسلح بفهم كلي لما يحدث على كل صعيد في المجتمع وعلاقته بالخارج ؟

ان التاريخ هو العملية التي تتم بلا توقف داخل المجتمع ، تتفاعل فيها العوامل الداخلية مع العوامل الخارجية ، ويكون تأثير الخارج في الداخل رهنا بدرجة التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي لهذا الداخل وما ارتسمه كاستراتيجية لحركته التاريخية المستقبلية ، اذا تم التوافق على ان التاريخ يصنع الانسان ... ولكن الانسان بامكانه ان يصنع التاريخ ايضا .

ذلك يعني ان التاريخ لا يمكن ان يفهمه المؤرخ وحده ، فالدولة / السلطة تعني الاستحواذ على الفائض الاقتصادي من المنتجين المباشرين ، وتعني الضرائب وتعبئة الجيوش وشن الحروب والسيطرة على الانسان داخل المجتمع بقوة الاقتصاد والشرطة والسياسة ومساندة بعضهم ضد الاخر ، والتحكم في الاعلام والنشر أي في العقيدة والوعي الوطني او القومي ليس وحيا منزلا على بعض الافراد ولكنه تعبير او ترجمة لواقع اجتماعي / سياسي / ثقافي معقد يرتبط بفهم ووعي طبيعة ما يريده المجتمع او جزء من افراده في مواجهة تحديات داخلية وخارجية محددة .

ان من بين ما يظهر استحالة الفهم التاريخي المجرد لمجموعة من التغيرات ... هي عدم اخذ الظاهرة في كليتها وشمولها ... بل يمكن القول من دون ان نخطئ كثيرا انه حتى عندما نعيد كتابة التاريخ القطري كحلقة اولى من اعادة قراءة التاريخ القومي وكتابته ، فاننا بالضرورة من خلال

هذه النظرة الكلية ولو جزئيا بعض من التاريخ القومي . فالتاريخ القطري ملتحم بتاريخ الاقطار الاخرى ، في الاقل بما يمكن ان نسميه التاريخ (المناطقي) او (تاريخ المنطقة) .

فلما لا يكون هذا المنهج الشمولي الذي يدقق فيما يحدث بالداخل في علاقته بالخارج هو الاسلوب الذي نكتب به تاريخنا ؟ اذ به وحده تبتعد عن الاذهان فكرة ان هناك قالب عقائدي قومي يريد ان يجبر حركة التاريخ على ان تتقلص او ان تتمدد على وفق السياق العقائدي وتدخلاته... فالهدف النهائي هو ان يكتب التاريخ بشكل صحيح ، بمعنى ان نرى فيه ، من يستغل من ، ومن عليه قيادة حركة تاريخ الوطن العربي من اجل اخراجه من التبعية والتخلف ، من اجل تكوين وطن عربي جديد يكون فيه الانسان حراً ينتج لاشباع حاجاته الاجتماعية الاساسية ، اذ ما الغاية من فهم الماضي والحاضر ان لم نكن اكتشاف القوانين وراء حركتهما للسيطرة والتحكم في المستقبل والمساهمه في صنعه . فالتاريخ ليس نزهة عقلية يكتب لذاته ولكنه تكثيف الوعي الانساني بخبرات السلف من البشر الذين شاركوا في صنع مجتمعاتهم او اولئك الذين أخفقوا في انجاز هذا الدور فاصبحوا ضحايا التاريخ .

فالتاريخ ليس انجاز سنة او عقد من الزمان ، وانما هو تراكمات اجيال تلو الاجيال ، والخطوات الموفقة التي تقطع ، وتصويب الخاطئ منها في الطريق ، يضمن امكانية ان يبلغ المجتمع الانساني صنع مصيره وتحرير الانسان من الحاجة والقهر .. ويصبح الانسان صانع التاريخ .. وغايته .

أوضاع اليهود في إسبانية ابان
الحكم الإسلامي
(٩٢- ٨٩٧ هـ - ٧١١ -١٤٩٢ م)

الدكتور جواد مطر الموسوي
رئيس جامعة الكوت

الملخص :

كانت دراستنا السابقة عن (اوضاع اليهود في اسبانية قبل الفتح الاسلامي) ، وفي محاولة لاتمام الصورة ، ندرس في هذا البحث موقف اليهود في اسبانية ابان الحكم الاسلامي ، وهو موقف متأثر بمعاملة الدولة القوطية لهم ، ومعاملة المسلمين لابناء جلدتهم في شمالي افريقا .

في عام (٩٣ هـ - ٧١٢ م) اصبحت شبه جزيرة ايبيرية بيد المسلمين ، بعد السيطرة عليها من قبل موسى بن نصير ، وطارق بن زياد . وقد استمر الوجود العربي حتى عام (٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م) اذ انهي على يد الملك (اراغون) وزوجته (ايزابيلا) . ويظهر العصر الاسلامي في اسبانية مدى تسامح المسلمين مع اليهود ، بينما عاش اليهود الغبن في العصر السابق ، والظلم بعد العصر الاسلامي .

ان هذه الدراسة تفيد الباحثين والدارسين المعنيين بـ(الدراسات الاندلسية) فتتبع اليهود واثرهم في الحياة الاندلسية يعطي صورة واضحة لهم في مجال الدراسات التاريخية والادبية والاجتماعية ، لاسيما في مرحلة الحكم الاسلامي للمساحة الواسعة التي حصل عليها اليهود في مختلف

الصعد ؛ فظهر منهم السياسيون والقضاة والشعراء والكتاب وغيرهم من النابهين .

المقدمة

بعد تناولنا (أوضاع اليهود في اسبانية قبل الفتح الإسلامي) ، وتسليطنا الضوء على حياتهم في أثناء الحكم الروماني في العهد الإمبراطوري ثم الحكم البيزنطي والحكم القوطي . وفي محاولة لإتمام الصورة ، ندرس موقف اليهود في اسبانية إبان الحكم الإسلامي ، وهو موقف متأثر بمعاملة الدولة القوطية لهم ، ومعاملة المسلمين لأبناء جلدتهم في شمالي أفريقية .

(١)

ليس في مراجعنا العربية المتوافرة بين أيدينا ، دليل على اتصال اليهود بالمسلمين وتحريضهم على فتح شبه جزيرة ايبيرية ، إلا أن النصوص القوطية تذكر ان اليهود يريدون التعاون مع أهل ما وراء البحر (Los Trau Smarinos) وهو تعبير غير واضح ورد في خطاب ألقاه الملك أخيكا (Egica) في المجمع الكنسي السابع عشر[١] .

لكن اليهود في اسبانية كانوا على علم بأخبار التسامح الديني الذي يتمتع به أبناء جلدتهم في شمالي أفريقيا نتيجة لاتصالهم بهم ، وهذا الذي دفعهم إلى محاولة إسقاط الحكم القوطي بأي سبيل ، لذلك كان موقفهم من الفتح الإسلامي موقفا إيجابيا[٢] ،

---

[١] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، (القاهرة:١٩٥٩م) ص١٠٤.

[٢] Grayzel , History of the Jews.(New York :١٩٦٨)

بالمقابل لم يرِ المسلمون بأساً في أن يستميلوا اليهود إلى جانبهم .

استغل اليهود الوضع المتردي في أثناء الفتح وقدموا خدمات عسكرية ومدنية للمسلمين ، منها السيطرة على المدن وتسليمها إلى المسلمين كما حدث في مدينة مالقة (Malaga) [٣] ، وقاموا بالتجسس وإرشاد المسلمين الى عورات البلاد ، وتكسرات الأسوار وما إلى ذلك[٤] . ولعل موقفهم فضلاً عن موقف جماعة الملك (ويتزا) أسهم في فتح العاصمة القوطية طليطلة (Toledo) على يد طارق بن زياد في نهاية صيف سنة (٩٣هـ /أوائل سنة ٧١٢م) .

اطمأن المسلمون الى اليهود وكافؤوهم ؛ فعندما استولى طارق بن زياد على طليطلة أبقى على من بقي من سكانها ، وترك لليهود حرية إقامة الشعائر الدينية ، وأباح للمسيحيين اتّباع شرائعهم وتقاليدهم ، وإشراكهم في حماية المدن التي سيطروا عليها بعد الفتح ، قال المؤرخ الإسلامي المقّري ((وصار ذلك سُنّةً متّبعة في كل بلد يفتحونه ، أن يضموا يهودَهُ إلى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها))[٥] وذكر صاحب (أخبار مجموعة) أنهُ ((في شهر شوال سنة (٩٢هـ) قام مغيث رومي بجمع يهود قرطبة فضمهم إليها واختط قصبتها لنفسهِ ،

---

[٣] حسين مؤنس ، فجر الأندلس، ص١١٢.

[٤] إبراهيم بيضون ، الدولة العربية في اسبانية ، ص٧٣.

[٥] المقري ، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج١، ص٦٢.

والمدينة لأصحابه))[٦] .

وبعد استقرار الأوضاع في اسبانية (الأنـــدلس) ، تغيرت الصورة بشكل سريع جدا ، فكانت أحوال الأديان السماوية الأخرى أفضل مما كانت عليه أيام القوط؛ فارتفعت منزلتهم وسمُّوا (أهل الكتاب) وهي تـــسمية رقيقـــة ، وأخذ المسلمون ينظرون إليهم نظرة تسامح في كل مجـــالات الحيـــاة[٧] ، وبذلك تحرر اليهود من عبوديتهم . وشمل هذا التسامح المسيحيين فـــسمح لهم بأداء شعائرهم وعقد مجامعهم الدينية كمجمع أشبيلية (١٦٦هــ/٧٨٢م) ومجمع قرطبة (٢٣٨هــ /٨٥٢م)[٨] وقد شهد على هذا التسامح وتحدث عنه بثناء وإعجاب عدد من المستشرقين منهم : لين بـــول[٩] وأرنولـــد[١٠] ولوبون[١١] ورينو[١٢] ودوزي ، والأسبانيماينجوس[١٣].

هذا التسامح جعل اسبانية (الاندلس) خلال العصور الوسطى البلدَ الأوربي الوحيد في القارة الذي يتمتع فيه اليهود بحقوقهم كاملة ، وتحـــت رعايـــة الدولـــة لهـــم ، وقـــد تـــأثرت أوربـــا بعـــد ذلـــك

---

[٦] مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١٤.

[٧] ابن الخطيب : لسان الدين ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ص٨٤.

[٨] لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ص ٢٠٧ .

[٩] قصة العرب في اسبانية ، ص٧٢.

[١٠] الدعوة إلى الإسلام ، ص١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٧.

[١١] حضارة العرب، ص٢٧٦- ٢٧٧.

[١٢] تاريخ غزوات العرب ، ص ١٥٦، ٢٨٨.

[١٣] نقلا عن : الصوفي ، خالد ، تاريخ العرب في اسبانية ص٩٣.

به[١٤] ، وهذا التسامح دليل على اخلاق الإسلام لأنه تطبيق حي وواقعي لمبادئ الإسلام[١٥].

تأثر هذا التسامح في بعض الحالات بالسياسية المنافية للإسلام كسياسة الموحدين (٤٨٤-٥٢٠هـ/ ١٠٩٢-١١٣٤م) تجاه اليهود[١٦] ، كما أمر بنو الأحمر (٦٥٣-٨٩٧ هـ/ ١٢٣٨- ١٤٩٢م) اليهود بوضع شارة تميزهم عن المسلمين ، ومنعوهم من ركوب الخيل[١٧] ، كذلك غضب (المعتمد بن عباد) على فحش اليهودي المكلف بجباية الضرائب لملك قشتالة الفونسو العاشر مما دفعه إلى قتلهِ[١٨] .

إزاء هذه الأحدث التي كان اغلبها لأغراض احترازية واحتياطات ضرورية للأمن ، تَحامَل بعض المستشرقين ومن سار على نهجهم من الباحثين العرب[١٩] فصوروا ذلك على أنه اضطهاد وتنكيل باليهود ، على الرغم من أنها أحداث طارئة لا تتناسب من حيث الحجم والأهمية ، مع ما قدّمه الإسلام من خدمات جليلة لأهل الكتاب

---

(١٤) عاشور، سعيد عبد الفتاح ، المدينة الإسلامية ، ص٢٠٨.

(١٥) الحجي، عبد الرحمن ، أندلسيات (المجموعة الثانية) ، ص٢٣.

(١٦) ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٥ ، ص٢١٨.

(١٧) ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص٨٤.

(١٨) المقري ، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٣.

(١٩) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج٢ ، ص١٨٨؛ حتي: فيليب ، تاريخ العرب المطول ، ج٣ ، ص٣٦.

ولاسيّما اليهود ، فلو سار المسلمون على نهج القوط لأبيدَ اليهود في اسبانية (الأندلس) .

فالتسامح إذَنْ مزية عامة طبعت المجتمع الأسباني إبان الحكم الإسلامي ، وأصبحت له سماتُه التي تميزُه عن غيره والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخه والمرحلة التي يمر بها ، وقد شمل ذلك مجالات الحياة كلها .

ففي المجال الديني ، سُمِحَ لليهود ببناء البيَع الخاصة بهم(٢٠) ، وكانت الدولة تتولى حماية أموالهم(٢١) وأجاز لهم الفقهاء المسلمون ممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم بحرية داخل المعابد والكنس(٢٢) ، في الوقت نفسه حرّموا على أهل الكتاب كل ما فيه غضاضة على المسلمين وانتقاص للإسلام (٢٣) ، بل نجد بعض الفقهاء المسلمين يلجأ إليهم في الظروف الحرجة ، ومثال ذلك تستر الفقيه طالوت بن عبد الجبار عند رجل يهوديّ عاما كاملا بعد اشتراكه في حركة ربض قرطبة (أي ضاحيتها) سنة (٢٠٢ هـ/ ٨١٨م) أيام الأمير الحَكَم الأول (١٨٠- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢٢م)(٢٤) ، كذلك كان الأمراء ينفون الناس غير المرغوب فيهم إلى مدن اليهود؛ فقد أمر أبو يوسف يعقوب بن عبد

---

(٢٠) محمد بن عبود ، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية، ص ١٩٧.

(٢١) الكبيسي، خليل : دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص٢٢٠.

(٢٢) الحكيم ، أبو الحسن علي ، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، ص١١٤.

(٢٣) ابن عياض ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج٢ ، ص٥١٥.

(٢٤) ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلي المغرب ، ص١٥٥.

المؤمن الموحدي (٥٨٠- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ -١١٩٩م) بنفي ابن رشد إلى مدينة اليُسانه (Lucen) وهي مدينة معظم سكانها يهود[٢٥].

وفضلا عن التسامح الديني ، أعطيت لليهود حرية الإقامة في أي مكان يختارونه من مدن اسبانية وقراها ، فاستقروا تحديدا في المراكز الحضرية المتقدمة مثل: طليطلة وغرناطة (اشتهرت بغرناطة اليهود) واليُسانه (أكثر سكانها يهود) وبيانه وطروكونه وقادس واشبيلية وقرطبة . ومن الطبيعي أن يتجمع اليهود في جزء معين من القصبة ، وهذا الجزء أصبح مع مرور الزمن حيًا لليهود أو (حارةً اليهود) ، والحارة هنا تعني قسما من المدينة ، التي سميت بعد نهاية الحكم الإسلامي لاسبانية باسم (اليودرية) أو (الخودرية) أو (الجودرية Juderia)[٢٦] .

وليس لدينا دليل على أن جودريات اليهود كانت تحاط بأسوار في البلاد الإسلامية ، بخلاف الجودريات في البلدان المسيحية ، فقد كانت لها أسوار عالية ، وهذا الاسر سارع في اندماج اليهود مع المسلمين وغيرهم .

وكانت بعض معالم المدن تسمى بأسمائهم مثل (باب اليهود) ، الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من غرناطة[٢٧] . ولليهود مقابرهم

---

(٢٥) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١٢- ١٣؛ الحميري ، عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطارص٢٣؛ ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج٢ ، ص١٢؛ ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج١ ، ص١١؛ ابن حيان ، أبو مروان ، المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، ص١٤٩.

(٢٦) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص١٢٦.

(٢٧) المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص ١٤٨، ج٢ ، ص١٦١.

الخاصة خارج المدينة ، فكانت في شمالي غرناطة مقبرة تسمى (مقبرة اليهود)[٢٨]، ولهم مجازر خاصة بهم[٢٩].

أما عن حياتهم الاجتماعية ، فقد كانت منظمة تنظيما دقيقا ؛ فقد كان يرأس اليهود جماعة منهم يسمى الواحد (البرور) [٣٠]، ولهم مجلس يدعى (البروورون) وجمعه (البروريم) ، وقد يسمى البرور (مقدما) وجمعه (مقدميم) أو (نعمان) وجمعه (نعمانيم) . ولكل جماعة من هؤلاء عدد من المستشارين يعرفون عادة بـ (الواعظين) وجمعه (اليوعاظيم)[٣١].

كان (البروورون) و(المقدمون) و(النعمانيون) ينتخبون أول الأمر ، ثم أصبح السابقون منهم يعينون من يخلفهم ، وكانت مدة ولايتهم عاما ، وقد اختلف عددهم من مدينة إلى أخرى بحسب حجم الجماعة اليهودية وأهميتها ، وكانوا مسؤولين أمام الدولة الإسلامية على كل ما يتصل بالجماعة من ضرائب والتزامات أخرى[٣٢] ويذكر (ابن حيان) : أنة ((في شهر جمادى الأولى من سنة (٣٦٣هـ /١٩٧م) سجل الحجاج بن المتوكل على قسامة قومه يهود اليُسانه))[٣٣] وهذا يعني أن الذي

---

[٢٨] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثرهم في الاندلس ، ص٣٠٠.

[٢٩] ابن عبد الرؤوف ، رسالة في أدب الحسبة والمحتسب : من كتاب (ثلاث رسائل أندلسية) ، ص٩٤.

[٣٠] لفظة (جماعة) هي لفظة عربية تطلقها النصوص الاسبانية على مجاميع اليهود الساكنين بالمناطق الداخلة في الإسلام(حسين مؤنس ، فجر الإسلام ، ص٢٥٢) .

[٣١] المصدر نفسه .

[٣٢] المصدر نفسه ، ص ٢٢٥- ٥٢٦.

[٣٣] المقتبس ، ص ١٤٩.

يتولى أمر اليهود كان يسجل عند الدولة . وقد عومل المسيحيون بالطريقة نفسها؛ فقد سمح المسلمون للمسيحيين في كل ناحية باختيار رئيس لهم يدعى (القومس) أي (زعيم المسيحيين) ، وهو مسؤول عن كل ما يتصل بشؤون رعاياه ، وكان أول (قومس) هو (رطباس)[٣٤].

وكانت هناك مناصب أخرى يتولاها رجل من أهل الكتاب لخدمة بني جنسه بموافقة المسلمين وإقرارهم مثل : قاضي العجم[٣٥]، وحارس المدينة ، ومستخرج خراج أهل الكتاب الذي كان يعمل إلى جنب عامل الخراج المسلم ، والأمين الذي كان على رأس كل نقابة من نقابات العمال المختلفة ، والعريف الذي يتميز بمهارتهِ في حقل من حقول الصناعة . ولا يزال هذا المصطلح الأخير (el alarife) يطلق على رئيس البنائين في اسبانية إلى اليوم[٣٦].

ولليهود قوانينهم وقضاؤهم ، وكانت الإدارة الإسلامية لا تتدخل في شؤونهم ، بل كان للجماعة اليهودية الحق في تطبيق ما تصدره محاكمها من عقوبات ، وفي الحالات التي يقع فيها الخلاف بين المسلمين واليهود يرفع الأمر إلى قاضي المسلمين[٣٧]. وليس هذا فقط بل اشتركوا في المناصب المهمة في الدولة الإسلامية ، ومنها المناصب السياسية

---

[٣٤] طه ، عبد الواحد ذنون ، دراسات أندلسية (المجموعة الأولى) ، ص٩٧ .

[٣٥] أبو دياك ، صالح محمد ، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٢٢ .

[٣٦] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٤٦٢؛ طه ، عبد الواحد ، درسات اندلسية (المجموعة الأولى) ص٩٨.

[٣٧] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٢٦.

والعسكرية والمالية والفنية . وقد ارتقى بعضهم درجة الوزارة مثل إسماعيل بن نغرله في ظل الأمير حبوس في غرناطة[٣٨] ، كما عملوا أطباء في بلاط الأمراء مثل (حسداي بن شبروط) الطبيب الخاص بعبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ /٩١٢-٩٦٠م)[٣٩]. ومنهم كان موسيقارا عند الأمراء مثل أبي نصر المنصور القرطبي ، الذي نقل خبر براعة الموسيقار الإسلامي المشهور (زرياب) إلى الأمير الحكم الأول (الربضي) (١٨٠- ٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م)[٤٠] ، ومنهم مَنْ عمل كاتبا للولاة ؛ فيذكر إن والي غرناطة المرابطي (أبا عمر ينالة اللمتوني) كان له كاتب يهودي[٤١] ، ومنهم مَنْ كُلِّفَ بمهمات إدارية مثل اليهودي يوسف بن النغرلة الذي كلف بتسيير شؤون مدينة (وادي آش) . وفي عهده تضاعف دخل هذه المدينة فعادل دخل خمس سنواتٍ اذ وصل إلى مائة ألف دينار خلال حكم عبد الله بن بلقين[٤٢]. وفي المملكة الزيرية بغرناطة في عصر ملوك الطوائف (٤٠٣ - ٤١٠هـ / ١٠١٢-١٠٢٠م) كان لمأمور الضرائب والصرافين اليهود أثر كبير ، وأهمهم أسرة بنو

---

[٣٨] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج٣ ، ص٢٥٨ ، ٣٦.

[٣٩] جورج كرباج ، عناصر المجتمع الأندلسي عند الفتح العربي ، مجلة (آفاق عربية) ع١١ (ص٣٨- ٤٥) ، ص٤٠ .

[٤٠] Maeso, D.G, Los Arabes, Maestros de los Judios en ia Espana Medieval, Revista dei Istituto de Estudios Islamicos en Madrid vols, P.17.

[٤١] ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٤ ، ص٧٧.

[٤٢] المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص٣٨- ٣٩.

نغرلــــــه[٤٣] كمـــــا اشـــــترك اليهــــود فــــي الجـــيش إلــــى جنب المسلمين ضد العدو المشترك[٤٤].

وقد امتهن اليهود المهن الحرة مثل الزراعة ، فتحسنت أحـوالهم ، وكثرت أموالهم بعد إلغاء المسلمين القانون القوطي الذي يجعل المزارعين اليهود أشبه بالرقيق ، وبذلك تمتع الزراع اليهود بالحريـة والاسـتقلال ، وليس بمستبعد أن يُعفوا من الخراج ، في حال تعرض مزارعهم لكوارث طبيعية او آفات زراعية .

وبما ان اليهود يحبون امتهان التجارة ؛ فقد قاموا بعمـل الوسـيط الفعّال بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي ، وذلك في القـرنين الثـامن والتاسع الميلاديين ، ولاسيما خلال عهدي شارلمان (٧٦٨ - ٨١٤م) وابنه لويس التقي (٨١٤-٨٤٠م) ، إذ قاموا بنقل مختلف البضائع الشرقية إلـى أوربا ، ونقلوا البضائع الأوربية إلى الشرق[٤٥] ، وكـانوا يـشتغلون فـي جنوب فرنسا في إخصاء الرقيق وإرسالهم إلى اسبانية[٤٦] ولهـم أسـواقٌ خاصة في الداخل يمتهنون فيها الصيرفة ، لان الفقهاء رفضوا اشـتراكهم في الأسواق الإسلامية لاشـتغالهم بالربـا[٤٧] . والحقيقـة إن المـصادر

---

[٤٣] كولان ، ج.س ، الاندلس ، (بيروت: ١٩٨٢م) ، ص٩٧.

[٤٤] الصوفي ، تاريخ العرب ، ص٩٣.

[٤٥] Muhammed and Charlemagne,Trans, by, Pirenne, Henri Trans, by :Bernard Maill, P. 284-285.

[٤٦] تشركوا ، كليليا سارنللي ، مجاهد العامري ، ص٤ .

[٤٧] اعتمادا على ما جاء في المذهب المالكي (مالك بن أنس ، المدونة الكبرى ، ج ٣، ص٤٠٣.

الإسلامية المتوافرة بين أيدينا لم تسعفنا في إعطاء الصورة الكاملة للحياة التجارية عند اليهود ، التي من المفروض أن تأخذ حيزا ليس بالقليل في هذه الدراسة .

وكانت لهم حرية التعليم ؛ ففي قرطبة مدرسة دينية خاصة بهم في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، ذات شهرة واسعة في جميع أنحاء الشرق والغرب[٤٨] ، كما كان لهم الحق في حضور الحلقات الدراسية التي يقيمها العلماء المسلمون ، وكان من بين تلاميذ (ابن رشد) يهود يستمعون إليه، فلما مات (ابن رشد) أسهم هؤلاء التلاميذ في نشر فلسفته وترجموا الكثير منها إلى العبرية[٤٩] وهذا يعني أن للمسلمين فضلا كبيرا على اليهود . وقد أنصف المسلمينَ أستاذ الدراسات العبرية بجامعة غرناطة (دافيد جنذا لومايسو)[٥٠] عندما نشر بحثا في صحيفة (معهد الدراسات الإسلامية) في مدريد بعنوان (العرب أساتذة اليهود في اسبانية خلال العصور الوسطى) ، وضح فيه مدى تأثير الحضارة الإسلامية على المعرفة اليهودية . والمعروف أن مسلمي الأندلس هم من أعرق القبائل العربية ولهم دراية ومعرفة بالدين واللغة ، فكان أثرهم بالغا في أهل الكتاب ، وظل اثرهم يزداد وضوحا بمرور الزمن[٥١] ، حتى وصل إلى

---

[٤٨] عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدينة الإسلامية (القاهرة : ١٩٦٣م) ، ص١٥.

[٤٩] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٥٢٥ .

[٥٠] Maeso, Les Arabes, P. ١٧٣.

[٥١] منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ٦٢- ٢٠٦هـ ، ص١٩.

دينهم ؛ فقد ذكر (بروفنسال): أن اليهود تأثروا بالطرق التي سلكها المسلمون في الفقه ، وتمثل ذلك في (أصحاب التلمود)[٥٢] .

اتخذ اليهود العربية لغة عامة وأتقنوها وكتبوا بها ، وفضلوها على اللغة اللاتينية[٥٣] ، كما تأثرت بها لغتهم الدينية (العبرية) في بلاغتها وشعرها ؛ فقد كتب اليهود نحوهم وبلاغتهم على غرار النحو العربي وعلم البلاغة العربية ، ووضعوا أوزان شعرهم على بحور الشعر العربي ، وألفوا كتبا في الأدب تحاكي المؤلفات الإسلامية[٥٤] مثل : (الكامل في اللغة والأدب) لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بـ(المبرد) (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) ، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) . وتأثروا بمقامات بديع الزمان والحريري ، وقد أجاد فيها (سلومون) مترجم مقامات الحريري إلى العبرية[٥٥] ، ونشرت القصص اليهودية المتأثرة بالقصص الإسلامية[٥٦]. واعترف (موسى بن عزرا) في نصٍّ له في كتابه المسمى (المحاضرة والمذاكرة) ، الذي مازال مخطوطا بمكتبة اوكسفورد ، بأن اليهود تعلموا على أيدي المسلمين وقلدوا قوالبهم الفنية ، وساروا على خطاهم في ميدان العلوم[٥٧].

---

(٥٢) بروفنسال ، ليفي ، حضارة العرب في الأندلس ، ص١٠٣.

(٥٣) الحجي عبد الرحمن ، أندلسيات، (المجموعة الثانية) ، ص٣٧.

(٥٤) Maeso, Les Arabes, P. ١٧١.

(٥٥) Ibid : p. ١٧٨.

(٥٦) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج٣ ، ص ٢٥٨ .

(٥٧) Maeso, Les Arabes, P. ١٧٢.

وتوصل (مايسو) في مقال له إلى نتيجة هي: إن ((أعظم روافد الأدب العبري هو الرافد العربي ، بل إن العصر الذهبي الحق للأدب العبري كان على أيام المسلمين في الأندلس ، ومن هنا كانوا أساتذة اليهود))[٥٨] لأن ذلك نشأ تحت أعينهم.

وأنّ موسى بن ميمون (المولود في قرطبة سنة ١١٣٥م)[٥٩] ، الذي لايكف اليهود عن الفخر به[٦٠] ، ألفّ كتابا باللغة العربية بعنوان (دليل التائهين) ، استطاع فيه أن يوفق بين الإيمان والعقل[٦١] ، وهو من تلاميذ (ابن رشد)[٦٢] ، وعمل على نشر فلسفة أستاذهِ في أوربا. وفي ختام المقال يقول (مايسو) : ((لولا الفكر الإسلامي ما كان هناك شيء يسمى الفكر اليهودي ، ولولا علماء المسلمين ما كان علماء اليهود))[٦٣].

وكان هؤلاء التلاميذ (اليهود) سفراء بين الحضارة الإسلامية من ناحية وغرب أوربا المتلهفة للاستفادة من هذه الحضارة من ناحية أخرى[٦٤] ، فكان لهم أثر ظاهر في الترجمة ، ولاسيما في آخر عهود العصور الوسطى ، وقد ساعد ملك قشتالة الفونسو العاشر

---

[٥٨] Ibid : p. ١٧٠.

[٥٩] أحمد أمين . ظهر الإسلام ، ج٣ ، ص ٢٥٩.

[٦٠] Maeso: Les Arabes, P. ١٧٢.

[٦١] بروفنسال ، حضارة العرب، ص١٠٣.

[٦٢] أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص٢٥٨.

[٦٣] Les Arabes, P. ١٧٩.

[٦٤] عاشور ، المدينة الإسلامية ، ص٥١.

(١٣٠١-١٣١٢م) في ترجمة الوقائع التاريخية وتدوينها[٦٥] ، ومن اليهود الذين اشتهروا بترجمة المعارف العربية ابراهيم بن عزرا وخراج بن سالم الذي ترجم كتاب (الحاوي) للرازي إلى اللاتينية سنة(١٢٧٩م)[٦٦] ، وقد طبعت هذه الترجمة مرات عدة[٦٧] ' كما ترجموا (رسالة حي بن يقظان) لأبي بكر بن طفيل إلى العبرية[٦٨] لذلك قال (مايسو) : ((إن لليهود أثرا في نقل الحضارة الإسلامية إلى غيرهم من الأمم))[٦٩].

ولم يقتصر تأثر اليهود بالجانب الفكري الإسلامي بل تأثروا بالجانب الاجتماعي أيضا ، فاتخذوا العادات الإسلامية ومارسوها ، وقد أجاز لهم ابن حزم (ت٤٥٦هـ) الدعاء في صلاة الاستسقاء عند المسلمين[٧٠]. وقلدوا المسلمين في ملابسهم عدا الأزياء التي تحمل الطابع الديني الإسلامي[٧١]، كما قلدوهم في مطاعمهم ومشاربهم وأسمائهم، ومارسوا الختان وهي عادة شرقية قديمة[٧٢] ، وتقبيل يد من هو أكبر سنا ، وطاعة الرؤساء وهي عادة شرقية أيضا[٧٣].

---

[٦٥] بروفنسال ، حضارة العرب ، ص١٠٤.

[٦٦] اوليري ، دي . لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ج٢، ص٢٧٣.

[٦٧] المصدر نفسه ، ص٥٢.

[٦٨] شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام ، ج٢، ص٢٧٣.

[٦٩] Les Arabes, P. ١٧٩.

[٧٠] المحلى ، تحقيق : محمد منير الدمشقي، ج٥ ، ص٩٤.

[٧١] الدغلي ، محمد سعيد ، الحياة الاجتماعية في الأندلس ، ص٢٠.

[٧٢] رينو ، تاريخ غزوات العرب ، ص٢٣١- ص٢٩١.

[٧٣] طه ، عبد الرحمن ذنون ، دراسات اندلسية (المجموعة الأولى) ، ص٢٤٤.

وفي مثل هذا الجو المفعم بالتسامح عاشت فئات المجتمع الأخرى ، وامتزجت القابليات كلها حتى وصلت إلى مرحلـــة النـــضج والاســـتقرار السياسي ، الذي جعل من اسبانية خلال الحكم الإسلامي قوة سياسية يحسب لها حساب .أما عدد اليهود في اسبانية خلال الحكم الإسلامي فليست لـــدينا معلومات دقيقة وكافية والموجود وصف عـــام؛ فقـــد ذكـــر المقدســـي[٧٤] (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) : أن الأندلس (اسبانية) إقليم كثير اليهود ، كما أشار سيدونيوس[٧٥] (Sidonius) إلى ازدحام اسبانية باليهود أواخـــر القـــرن الخامس ، وذكر الإدريسي (ت٥٦٠ هـ/١١٦٥م) أنه كان فـــي الأنـــدلس (اسبانية) مدينة لليهود تبعد مسافة ٤٠ ميلا جنوب قرطبة[٧٦]يقصد مدينـــة (اليُسانه) . كل هذا يعني أن في اسبانية (الأندلس) عددا لا بأس بـــه مـــن اليهود ، ويعتقد احد الباحثين ان عددهم زاد على نصف مليون نسمة مـــن دون أن يذكر مسنده أو مصدره[٧٧].

(٢)

بعد ذلك كله ارتأيت قبل أن أنهي هذه الدراسة أن أسأل السؤال الآتي : ما موقف اليهود بعد نهاية الحكم الإسلامي لاسبانية في سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) ؟

---

[٧٤] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص١٠٤

[٧٥] نقلا عن ارشيبالد ، أ. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص٢٢.

[٧٦] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص٢٠٥.

[٧٧] التل ، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، ص١١٧ .

والجواب: انقسم اليهود قسمين:

القسم الأول : تمثل بانسحاب بعض اليهود مع انسحاب المسلمين من اسبانية إلى شمال أفريقيا حفاظا على أرواحهم من قساوة الكنيسة المسيحية ، فضلا عن المعاملة الحسنة التي تلقوها من المسلمين في أثناء وجودهم .

القسم الثاني: تمثل باليهود الذين أسهموا في إنهاء الحكم الإسلامي في اسبانية، إذ عملوا على إثارة التمردات ضد سلطة غرناطة ، وتأجيج الحرب بين الإمارات الإسلامية والإمارات الشمالية المسيحية ، وإثارة الفتن بين الإمارات الإسلامية ومساعدة بعضهم على حساب الآخر، وتعاونوا بصورة واضحة مع ملوك الممالك الشمالية فقد رافق جيش الفونسو الحادي عشر ملك ليون (١٣١٢- ١٣٥٠م) نحو أربعين ألف يهودي[٧٨] وكان جزاء هؤلاء مطاردتهم بعد مدة وجيزة حالهم حال المسلمين في (محاكم التفتيش) المَسيحية!! ، وهذا ما سنراه لاحقا في دراسة أخرى تتناول (اليهود بعد نهاية الحكم الإسلامي) .

من هذا كله يمكن القول : إنه بعد استقرار الأوضاع وطول حكم المسلمين لاسبانية ، ارتفعت منزلة أهل الكتاب ومنهم اليهود ، وازدادت نظرة التسامح الديني، فمُنحوا الحرية في تأدية طقوسهم وشعائرهم الدينية داخل معابدهم ، ومُنحت لهم الحرية المدنية فكانت لهم أحياؤهم ، ومقابرهم ، وسمح لهم بتسنم المناصب والمراكز المهمة في الدولة وامتهان

---

[٧٨] طه ، عبد الواحد ذنون ، دراسات أندلسية ، المجموعة أولى ، ص٢٣٧.

التجارة والزراعة والحرف الاخرى. وهذا ادى إلى اختلاطهم بالمسلمين ، وتأثرهم بهم في كثير من الجوانب الاجتماعية والثقافية .

وقد أشاد عدد من المستشرقين بهذا التسامح وعدّوه العصر الذهبي لليهود ، إلا أن موقف بعضهم كان مصلحيا عندما تعرضت المدن الإسلامية الأندلسية للغزو الذي قامت به الإمارات المسيحية الشمالية ، فان مساعدتهم هذه الإمارات ساعد في إنهاء الحكم الإسلامي ، الا انهم كوفئوا عندما انتهى الحكم الإسلامي بسقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) باصدار مرسوم من قبل ملكة قشتالة (ايزابيلا) وملك الاراغون (فرديناند) ، يدعو إلى طردهم وإخراجهم من اسبانية بشكل نهائيّ ، ومصادرة أموالهم النقدية والذهبية وكل الأشياء الثمينة. وقد انسحب ذلك على اليهود المتحولين إلى المسيحية (المارانوس) فقد تعرضوا لأبشع أنواع الإهانة والاضطهاد !.

الهمزية بين دراستين

الدكتورة وسن عبد المنعم ياسين

الملخص :

تتعدد قراءات النص بتعدد القراء واختلاف ثقافاتهم وميولهم واتجاهاتهم . وقد درس (الهمزية) ناقدان عربيان ، وهذا البحث يلقي ضوءً على دراستيهما ، ويوضح آفاق الاتفاق والاختلاف ؛ وإن كان كل منهما قد طبق منهجا يختلف عن منهج الآخر ، وسعى إلى غير ما سعى اليه الثاني .

المقدمـــــة :

الهمزية واحدة من روائع احمد شوقي في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهي نمط أدائي عالي الجودة ، لها خصوصيتها وفرادتها بين قصائده المدحية الأخرى ، لكونها محتفظة بقدر كبير من المحمولات المعرفية والمرجعية والدلالية ولما تمتلك من خصائص طبعت أسلوبها بطابع التفرد والتميز فهي عالم متفرد بذاته ولا شك في ان لهذا التفرد مسوغاته ومقوماته الفنية التي منحها إياه الخطاب الإبداعي حيث نلمح فيها تناصا مع الخطابات الأخرى ، ولاسيما تلك التي كانت تفوح من شعراء الدعوة الإسلامية .

إنّ وحدات الخطاب في الهمزية تنتظم في شبكة علائقية مركزها البؤري البشارة بالوليد فهو الموضوعة المحركة للنص لما يحتويه من قدرة

توليدية تتفجر من خلالها الأحداث تباعا يشد بعضها بعضا ضمن نسق أدبي يحكمه الانسجام .

وعلى الرغم من طول القصيدة البالغ (١٣١) بيتا ، فانها ظلت محتفظة باتساقها العجيب وتوازنها المحكم مما تأخذ بشغاف القلب لاكتنازها بمعاني البوح بالحب ، فالقصيدة لسان حال شوقي الذي يبوح بحبه ، ويجهر بأفكاره كاشفا عن علاقة حميمة بينه وبين قضيته العقدية .

النص :

وُلِدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ — وفمُ الزمانِ تَبَسُّمٌ وثناءُ

الروحُ والملأُ الملائكُ حوله — للدين والدنيا به بُشراءُ

والعرشُ يزهو والحظيرةُ تزدهي — والمنتهى والسدرةُ العصماءُ

وحديقةُ الفرقانِ ضاحكةُ الربى — بالترجمانِ شذيَّةٌ غنَّاءُ

والوحيُ يقطر سَلْسَلا من سَلْسَلٍ — واللوحُ والقلمُ البديعُ رواءُ

نُظمتْ أسامي الرسلِ فهي صحيفةٌ — في اللوحِ واسمُ محمدٍ طُغراءُ

اسمُ الجلالةِ في بديع حروفِه — أَلِفٌ هنالك واسمُ (طه) الباءُ

* * * *

يا خيرَ مَنْ جاءَ الوجودَ تحيةً — من مرسلين الى الهدى بك جاءوا

بيتُ النبيين الذي لا يلتقي — إلا الحنائفُ فيه والحنفاءُ

خيرُ الأبوة حازهم لك آدمٌ — دونَ الأنامِ وأحرزتْ حَوَّاءُ

هم أدركوا عزَّ النبوة وانتهت — فيها اليك العزةُ القعْساءُ

خُلقتْ لبيتك وهو مخلوق لها — إنَّ العظائمَ كفؤها العظماءُ

بك بشَّرَ اللهُ السماءَ فزينت — وتضوَّعتْ مِسكا بك الغبراءُ

وبدا محياكَ الذي قسَماتهُ ... حَقٌ وغرته هدى وحياءُ

وعليه من نورِ النبوة رَوْنَقٌ ... ومن الخليل وهديه سيماءُ

أَثنى المسيحُ عليه خلف سمائه ... وتهللتْ واهتزت العذراءُ

يومٌ يتيه على الزمانِ صباحُه ... ومساؤه بمحمدٍ وَضّاءُ

الحقُ عالي الركن فيه مظفرٌ ... في الملك لا يعلو عليه لواءُ

ذُعرت عروشُ الظالمين فزلزلت ... وعلَتْ على تيجانهم أَصداءُ

والنارُ خاويةُ الجوانب حولهم ... خمدت ذوائبها وغاض الماءُ

والآيُ تترى والخوارق جمةٌ ... (جبريل) رَوّاح بها غدّاءُ

نِعْمَ اليتيم بدت مخايلُ فضله ... واليتم رزقٌ بعضه وذكاءُ

في المهد يُستسقى الحيا برجائه ... وبقصده تُستدفع البأساءُ

بسوى الامانة في الصبا والصدق لم ... يعرفْه أَهلُ الصدق والأُمناءُ

يا مَنْ له الأخلاقَ ما تهوى العلا ... منها وما يتعشّق الكبراءُ

لو لم تُقمْ دنيا لقامت وحدها ... دينا تضيء بنوره الآناءُ

زانتكَ في الخلق العظيم شمائلٌ ... يُغرى بهن ويولع الكرماءُ

أما الجمالُ فأنت شمسُ سمائه ... وملاحةُ (الصدّيق) منك أَياءُ

والحسنُ من كرمِ الوجوه وخيره ... ما أوتي القُوّادُ والزعماءُ

وإذا سخوتَ بلغت بالجود المدى ... وفعلت ما لا تفعل الأنواءُ

وإذا عفوتَ فقادرا ومقدّرا ... لا يستهين بعفوك الجهلاءُ

وإذا رَحمتَ فأنت أمٌ أو أبٌ ... هذان في الدنيا هما الرحماءُ

وإذا غضبتَ فانما هي غضبة ... في الحق لا ضغن ولا بغضاءُ

وإذا رضيتَ فذاك في مرضاته ... ورضى الكثير تحلُّمٌ ورياءُ

وإذا خطبتَ فللمنابر هزّةٌ   تعرو النديَّ وللقلوب بكاءُ

وإذا قضيتَ فلا ارتياب كأنما   جاء الخصومَ من السماء قضاءُ

وإذا حميتَ الماء لم يورد ولو   أنّ القياصر والملوك ظماءُ

وإذا أجرتَ فأنت بيت الله لم   يدخل عليه المستجيرَ عداءُ

وإذا ملكتَ النفس قمت ببرها   ولو ان ما ملكت يداك الشاءُ

وإذا بنيتَ فخيرُ زوج عِشرةً   وإذا ابتنيتَ فدونك الآباءُ

وإذا صحبت رأى الوفاءَ مجسما   في بردك الأصحابُ والخلطاءُ

وإذا أخذتَ العهد أو أعطيته   فجميع عهدك ذمةٌ ووفاءُ

وإذا سُئيتَ الى العدا فغضنفرٌ   وإذا جريتَ فانك النكْباءُ

وتمد حلمك للسفيه مُداريا   حتى يضيق بعرضك السفهاءُ

في كل نفسٍ من سطاك مهابةٌ   ولكل نفس في نداك رجاءُ

والرأيُ لم يُنضَ المهند دونه   كالسيف لم تضربْ به الآراءُ

* * * *

يا أيها الأميُّ حسبك رتبةً   في العلم أنْ دانت بك العلماءُ

الذكْر آية ربك الكبرى التي   فيها لباغي المعجزات غناءُ

صَدْرُ البيان له إذا التقت اللغى   وتقدم البلغاءُ والفصحاءُ

نُسختْ به التوراة وهي وضيئةٌ   وتخلف الانجيل وهو ذُكاءُ

لما تَمشّى في الحجاز حكيمهُ   فَضّتْ (عكاظ) به وقام حِراءُ

أَزرى بمنطق أهله وبيانهم   وحيٌّ يُقصر دونه البلغاءُ

حسدوا فقالوا شاعر أو ساحر   ومن الحسود يكون الاستهزاءُ

قد نال بالهادي الكريم وبالهدى   ما لم تنل من سؤددٍ سيناءُ

أمسى كأنك مـن جلالـك أُمـةٌ وكأنـه مـن إنسه بيـداءُ
يُوحى اليك الفـوز فـي ظلمائـه متتابعـا تجلـى بـه الظلمـاءُ
دينٌ يُشيِّد آيـة فـي آيـة لبنائـه السـوراتُ والأضـواءُ
الحق فيه هو الأساس وكيـف لا والله ــ جـلّ جلالُـه ــ البنّـاءُ
أما حديثك في العقـول فمشرعٌ والعلم والحكـم الغـوالي المـاءُ
هو صبغة الفرقان نفحـة قدسـه والسينُ مـن سـوراته والـراءُ
جرت الفصاحة من ينابيع النهـى مـن دوحـه وتفجـر الانـشاءُ
في بحره للسابحين بـه علـى أدبِ الحيـاة وعلمهـا إرسـاءُ
أتت الدهورُ على سلافته ولم تَفْنَ السلافُ ولا سلا الندماءُ

* * * *

بك يا (ابنَ عبدِ الله) قامت سَمْحةٌ بالحق من مِلـلِ الهـدى غـرّاءُ
بُنيتْ على التوحيد وهـو حقيقـةٌ نـادى بهـا سـقراطُ والقـدماءُ
وُجِد الزعافَ من السموم لأجلهـا كالـشُهد ثـم تتـابع الـشهداءُ
ومشى على وجه الزمان بنورهـا كُهّـانُ وادي النيـل والعرفـاءُ
إيزيسُ ذات الملك حين توحـدت أخذت قِـوام أمورهـا الأشـياءُ
لما دعوتَ النـاسَ لبـى عاقـلٌ وأصـمَّ منـك الجـاهلين نـداءُ
آبوا الخروج اليك مـن أوهـامهم والناسُ فـي أوهـامهم سـجناءُ
ومن العقـولِ جـداولٌ وجلامـدٌ ومـن النفـوس حرائـرٌ وإمـاءُ
داءُ الجماعة من (ارسطاليس) لم يُوصف لـه حتـى أتيـتَ دواءُ
فرسمت بعـدك للعبـاد حكومـةً لا سُـوقةٌ فيهـا ولا أمـراءُ
الله فـوق الخلـق فيهـا وَحْـدَهُ والنـاسُ تحـت لوائهـا أكْفـاءُ

والـــدين يُـــسْرٌ والخلافـــةُ بيعـــةٌ والأمر شورى والحقوق قــضاءُ
الاشـــتراكيون أنـــت إمـــامُهم لولا دعــاوَى القــوم والغُلَــواءُ
داويـــت متئـــدا وداووا طفـــرة وأخفُّ من بعض الــدواء الــداءُ
الحربُ في حــق لــديك شــريعةٌ ومــن الــسموم النافعــاتِ دواءُ
والبــر عنــدك ذمــةٌ وفريــضةٌ لا منَّـــة ممنونـــةٌ وجبـــاءُ
جاءت فوحــدت الزكــاةُ ســبيله حتى التقى الكرمــاءُ والــبخلاءُ
أنصفت أهلَ الفقرِ من أهل الغنـــى فالكلُّ فـــي حــق الحيــاة ســواءُ
فلــو أنَّ انسانــا تخيــر مــلةً ما اختــار إلا دينــك الفقـــراءُ

* * * *

يا أيُّها المُسْرى بــه شَــرفا الــى ما لا تَنــال الــشمسُ والجــوزاءُ
يتساءلون وأنـــت أطهــر هيكــلٍ بـــالروح أم بالهيكـــل الإسْــراءُ
بهما سموتَ مطهــرين كلاهمــا نـــورٌ وروحانيـــة وبهـــاءُ
فضلٌ عليك لذي الجـــلال ومنَّـــةٌ والله يفعـــلُ مـــا يــرى ويـــشاءُ
تغشى الغيوبَ من العــوالم كلمــا طُويــتْ ســماءُ قُلــدتك ســماءُ
في كل منطقة حواشـــي نورهــا نـــونٌ وأنـــت النقطـــة الزهــراءُ
أنت الجمالُ بها وأنـــت المجتلـــى والكــفُ والمـــرآةُ والحـــسناءُ
الله هيـــأ مـــن حظيـــرة قدســـه نزُلا لـــذاتك لــم يَجُــزْه عـــلاءُ
العــرشُ تحتــك سُــدّةً وقوائمــا ومناكبُ الروح الأمـــين وِطـــاءُ
والرسلُ دون العرش لم يؤذَنْ لهم حاشـــا لغيــرِك مَوْعــدٌ ولقـــاءُ

* * * *

الخيلُ تأبى غيــر أحمــدَ حاميــا وبهــا إذا ذُكــر اسـمه خُــيلاءُ
شيخُ الفــوارس يعلمــون مكانــه إنْ هيجــت آســاذها الهيجـــاءُ
وإذا تــــصدّى للظبـــي فمهنـــدٌ أو للرمــــاح فَـــصَعْدةٌ سَـــمراءُ
وإذا رمى عـــن قوســـه فيمينـــه قَدَرٌ وما ترمــي اليمــينُ قــضاءُ
من كــل داعي الحــق همةَ سيفه فلسيفــه فــي الراسيات قضـــاءُ
ساقي الجريح ومطعمُ الأسرى ومَنْ أمنت سنابــك خيلــة الأشــــلاءُ
إنَّ الشجاعة في الرجال غلاظــةٌ مــا لــم تزنهـــا رأفة وسخـــاءُ
والحربُ من شرف الشعوب فان بغــوا فالمجــد ممــا يدّعــون بَـــراءُ
كم من غَــزاةٍ للرســول كريمـــة فيها رضـــى للحــق أو إعــلاءُ
كانـــت لجنـــد الله فيهـــا شـــدةٌ فـــي إثرهـــا للعـــالمين رَخـــاءُ
ضربوا الضلالةَ ضربةً ذهبت بها فعلى الجهالـــة والـــضلال عفـــاءُ
دعموا على الحرب السلام وطالمـــا حقنت دمـــاءً في الزمـــان دمـــاءُ

* * * *

الحـــقُ عِـــرْضُ الله كـــل ابيـــةِ بين النفوس حمـــى لـــه ووِقـــاءُ
هل كان حول (محمد) من قومه إلا صــــبيٌّ واحـــد ونـــساءُ
فدعا فلبّى فـــي القبائـــل عـــصبةٌ مُستضعفـــون قلائـــل أنـــضاءُ
ردوا ببأس العزم عنه مـــن الأذى ما لا ترد الـــصخـــرةُ الـــصماءُ
والحقُ والإيمانُ إنْ صُـــبّا علـــى بُـــرْدٍ ففيـــه كتيبـــة خرســـاءُ
نسفوا بناءَ الشرك فهـــو خرائـــبٌ واستأصلوا الاصنام فهـــي هَبـــاءُ
يمشون تُغضي الأرضُ منهم هيبةً وبهـــم حيـــالَ نعيمهـــا إغـــضاءُ
حتى إذا فُتحـــت لهـــم أطرافُهـــا لـــم يطغهـــم تـــرفٌ ولا نعمـــاءُ

* * * *

يا مَنْ له عـزُّ الـشفاعة وَحْـدَهُ ... وهـو المنـزَّه مـا لـه شُـفعاءُ
عرشُ القيامة أنت تحـت لوائـه ... والحوضُ أنـت حيالـه الـسقَّاءُ
تَروي وتسقي الصالحين ثـوابهم ... والـصالحات ذخـائر وجـزاءُ
ألمثلِ هذا ذقتَ في الدنيا الطـوى ... وانشق مـن خلَـق عليـك رداءُ
لي في مديحك يا رسول عـرائس ... تُـيمن فيـك وشـاقهن جـلاءُ
هنّ الحسان فـان قبلـت تكرمـا ... فمهـورهن شـفاعةٌ حـسناءُ
انت الـذي نظـم البريـة دينُـه ... مـاذا يقـولُ ويـنظم الـشعراءُ
المصلحون أصابعٌ جَمعـت يـدا ... هي أنت بل أنت اليـدُ البيـضاءُ
ما جئتُ بابك مادحا بـل داعيـا ... ومن المـديح تـضرُّعٌ ودُعـاءُ
أدعوك عن قومي الضعاف لأزمةٍ ... في مثلهـا يُلقـى عليـك رجـاءُ
أدَرى رسـولَ الله أن نفوسـهم ... وكَبت هواهـا والقلـوبُ هـواءُ
متفككـونَ فمـا تـضم نفوسُـهم ... ثقةٌ ولا جَمَـع القلـوبَ صـفاءُ
رقـدوا وغرهُـمُ نعيـمٌ باطـلٌ ... ونعيـمُ قـوم فـي القيـود بلاءُ

* * * *

ظلموا شريعتك التـي نلنـا بهـا ... ما لم ينل في (رومةَ) الفقهـاءُ
مشتِ الحضارةُ في سناها واهتدى ... في الدين والـدنيا بهـا الـسُّعَداءُ
صلى عليك الله ما صحب الدجى ... حـادٍ وحنَّـتْ بـالفلا وَجْنـاءُ
واستقبل الرضوان في غرقـاتهم ... بجنـان عَـدْن آلـك الـسُّمَحاءُ
خيرُ الوسائل من يقـع منهم على ... سببٍ اليـك فحسبيَ (الزهراءُ)

الموازنـــــة :

نالت الهمزية حظوة كبيرة لدى الناس ، وقد تنـاول هذه القصيدة بالدرس والتحليل علمـان من أعــلام النقد العربي ، همــا الدكتور عبد السلام المســدي والدكتور احمد مطلــوب ، فكانت دراستهمـا أمـرا ولّد في داخلي حافزا في ولوج عالم الهمزية من خلالهما ، ونحن في تناولنا هاتيـن الدراستين نعتبر هدفنــا منوطــا بالبحــث عن آليات المنهج ومفاهيمه التي خضع لها الناقدان ، وعن الكيفية التي تم من خلالها التعامل مع رائعة احمد شوقي ، الأمر الذي يتطلب منا مواجهة بين رؤى كلا الناقدين ووجهات نظرهمـــا وأقوالهما ، وبدءً أعترف أنّ العملية شاقــة وليست باليسيرة ، إذ أجدني بين ثالـوث هرمي ، الأول : يتجســد بالفعل المنجز حيث تمثله القصيدة ببنائها المعماري المكتمــل العناصر ، والثانية والثالثة : جناحا الهرم ، متمثلا بالناقدين بعملهما الغزير الوافـــر ، ومن المسلمات القارة لدينا أن عمل الناقد يبدأ من القصيدة خلال تحقق من خلال تجربته ، ووعيه العلاقات داخلهــا ورؤياه هو أيضا ، فالقوة الناقدة قوة مــؤازرة ذات سلطة نافذة تتابع برؤياها التجريبية للنص المنتج النوازع المتعارضة والمواقف المتشابكة ، وتكشف عن الأبعاد ، وتعيد تركيب العلاقــات بعد تفكيكهــا من اجل الوقوف على الجمال المكنون الساحر لقيم الحياة والإنسان ، ثم تبرز ذلك الجمال في لغة خاصة ترسم قسماته أبعادها المحتملة ولمحاتها الممكنة المميزة ، فالقوة الناقدة لا تقل أثرا عن القوة الشاعرة التي تمنح الشعر قيمة

جوهرية وشمولية ،[1] فعن طريق التآزر بين القوتين تتجلى جماليات النص .

إنّ النقد كان ولما يزل مثار جدال وسجال ، ولا شك في أنّ تساوقه مع حركة الأدب وتطوره يجعله في سيرورة دائمة ، تجمع بين الرسوخ ومتغيرات المرحلة ، فهو يتكيف مع الجوانب المتعلقة بالانفتاح الثقافي والتصورات والبنى النظرية المتوالدة ، والبحث الدائب عن الجدة وما ينجم عنها من تيارات واتجاهات لا تخرج عن حدود ثلاثية ، أولها : ما كان خاضعا لمبدأ الاعتدال في الأخذ من آليات الخارج ــ المناهج الغربية ــ سواء منها ما يتعلق بأدبية النص أو ما يصلح لها ، في محاولة إسقاط لها على النص بغية تطويع ما يمكن ان يستجيب منه مع تلك المناهج من دون الانسلاخ عن الموروث العربي أو إهماله ، فالقراءة التي تعكف على مجال ما عكوفا منغلقا تعجز عن اكتشاف الدلالات الحقيقية لمنجزاته المعرفية[2]، لذا فإنّ عملية المزاوجة تثري النص لا تطمس هويته ولاسيما إذا أحسن استعمالها ، ثانيهما : ما بلغ في الأخذ حد الإسفاف نتيجة تماديه في التعامل مع النص الإبداعي زاهقا روحه مفقدا إحساس المتلقي فيه بأنّ : ((أول مهمة من مهمات الشعر على وجه اليقين إثارة المتعة ، وإذا سألتني أي نوع من أنواع المتعة يثيرها الشعر ؟ لا أملك سوى أن أقول : ذلك النوع من المتعة الذي يثيره الشعر))[3] .

---

[1] ينظر: جماليات المعنى الشعري ، الدكتور عبد القادر الرباعي : ٤١ ــ ٤٣ .

[2] مقالات في النقد الأدبي ، إليوت : ٤٥ .

[3] ينظر:وظيفة الشعر في التراث النقدي البلاغي عند العرب، وسن عبد المنعم ياسين.

فالشعر فن لذيذ وممتع ، ولكن الأمر لا يقف عند حد هــذه المتعة وهذه اللذية ، فهما يطويان في ثناياهما غايات أخرى عند أغلب النقاد والبلاغيين[٤]، أما ثالثهما : فهو تيار النقاد المحافظين المتمسكين بالقواعد التقنينية بالغين فيها حد الرتابة .

ولما كان النص فضاء مؤطرا لكل ما يندغم فيه ، لأنه الأرض النفوذة لذلك فهو يستدعي دوما المزيد من الرؤى والطاقة ، سعيا منه الى الامتلاء ، فلا بدّ لمتلقيه من الإحساس بالحرية المتننة لا الفوضوية ، حتى يستطيع إسماعنا أصوات النص الداخلية[٥]، فالقراءة إذن حفر في الجسد النصي ، لكنها تستحيل من التسلط على موضوعها إلى الالتحام به لتصير جزءً منه ، وقراءة كهذه لا بدّ من أن تجافي الجاهز حتى تصير انعكاساً للكتابة ، وهذا ما جعل مدرسة البلاغة الجديدة تهتم بالإجابة عن السؤال ــ كيف ــ والى أي مدى ــ يهب النص نفسه للقراءات[٦].

وقد عرَّف وليم راي القراءة بقوله : ((إنها دمج وعينا بمجرى النص)) وقال ((إنّ معنى أي نص أقوم بقراءته إنما هو في الحقيقة المعنى الذي أقصده لذلك النص)) ، والقراءة بعد ذلك إعادة تركيب مستمرة لتجارب القراءة[٧] ، مؤكدا عدم تطابق القراءات ، ذلك أنّ لكل

---

[٤] ينظر : مفهوم القراءة في النقد العربي المعاصر ، محمد سالم محمد الأمين الطلبة : ٢٠ ، وينظر ، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر ، للكاتب نفسه : ٢٥ .

[٥] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٦] المعنى الأدبي من الظاهراتية الى التفكيكية ، وليم راي : ١٧ ، ١٨ ، ٦١ .

[٧] المصدر نفسه والصفحة نفسها ، وينظر : البنيوية في الأدب ، روبرت شولز : ١٦٢

قارئ فهمه للنص ، في قوله : ((لا يمكن لأي ناقد أن يزعم أنه قد ألمّ إلماما مطلقا بالمعنى الذي أراده المؤلف))[٨].

وفي ضوء ذلك تتعدد قراءة القارئ الواحد تبعا لاختلاف الهدف والمنهج وتفاوت زمن القراءات ، ولا يعني تعدد القراءات أنّ النص يختلف أو يفقد جوهره ؛ لأنه ((عالم جوهري يحمل كل خصائص الجوهر بما فيه من شرعية وأصالة وخلود ، لا يختلف من زمن الى زمن ولا من مكان لمكان ولا من شخص لآخر ، وإنما الذي يختلف هو الدراسة التي تقوم حوله ثم الأشخاص الذين يتناولونه))[٩].

لذا فإنّ تحليلنا ليس مشروطا بأن ينجح في استخلاص موازنة دقيقة بقدر ما هو دراسة محايثة يكون لنا فيها شرف المحاولة .

ولعل الموازنة بين الدراستين كفيلة بأن تكشف لنا عن نقاط التوافق والتباين بين الناقدين في تحليلهما همزية أحمد شوقي بما ينسجم مع توجه المنهج المتخذ في إجراءات التحليل .

أوجه الاتفاق والتشابه :

أولا : معيار الاختيار

إنّ عمليـــة اختيـــار الهمزيـــة وتناولهـــا مـــن قبـــل الناقديـــن بالدرس والتحليل لم يكـــن عشوائيا ، بل كان اختيـــارا مقصديا تتحكـــم فيه عوامل عـــدة :

---

(٨) ينظر : قراءة في النص الشعري ، الدكتور أحمد مطلوب : ٧ .

(٩) النص الأدبي من أين والى أين ؟ الدكتور عبد الملك مرتاض : ٥٣ ، وينظر معايير تحليل الأسلوب ، ريفاتير : ٩ .

١. الإعجاب المتبادل من لدن كليهما بالقصيدة ، لاتساع شهرتها وشيوعها وغنائيتها .

٢. إثارتها الجانب الروحي بمضمونه العقدي الأصيل ، الذي يشحذ روح المتلقي ويستقطبه في عملية تفاعل حميمي معها ، مولدا قراءات متنوعة ترفدها بمعطيات جديدة تفتح آفاقا رحبة لاستشراف مكامن الإبداع ، وللمزيد من البحث والتأمل .

٣. الجمالية الإبداعية .

إنّ ما تمخض عن الاعجاب بالقصيدة من وعي نقدي متكامل بالجمالية النابضة فيها جعلها ذات سلطة مهيمنة على المتلقي لكونها النموذج الفريد ، فهي ملحمة شوقي التي أثبتت أنها الأقدر والأجمل بأسلوبها وبنيتها المتماسكة ولتضافر عناصرها وتآزرها مما ساعد على الارتقاء بها في سلم درجات الشعرية .

ثانيا : غزارة العلم و (التملك)[١٠]

إنّ الكم المعرفي الهائل الذي يحمله الناقدان ، كفيل بأن يجعل عملية فهمنا النص وملاحقة أسراره واستنباط معالم الجودة والتوهج الشعري ممكنة ، فالناظر في آرائهما يتبين أنها لم تكن تصدر عن النظر المتعجل بل أنها تركن إلى النظر الفاحص الدقيق للعناصر الجزئية المكونة للأثر الأدبي ، على الرغم من اختلافهما في التنظير إلا أنهما يشتركان معا

---

[١٠] التملك ، ما زود به الانسان من قدرات فطرية على التعبير بلغته والتصرف فيها ، ومن مهارات مكتسبة ناتجة عن تراكم التجارب التي عاشها . ينظر : دينامية النص ، الدكتور محمد مفتاح : ٥١ .

في تمحيص تلك الجزئيات ، فهما يعيان حقيقة أنّ وظيفة القصيدة لم تعد نقل معنى من المعاني ، بل أن تؤلف كيانا ، الأمر الذي يتطلب معاينة هذا الكيان وتأمله كنسيج فني مكتمل[١١]، إذ نلحظ وقوف كليهما عند ظواهر فنية لافتة في أدبية النص ، منها : أولا : أسلوبية الالتفات ، حيث وقف عندها الدكتور المسدي وقفة مكثفة كاشفا عن فاعليتها في السياق النصي ، حين عدّه من ((أول الحقول الخصيبة في بحث ظاهرة التضافر واستنباط مستنداتها التشكيلية تحليل مواقـع الانتقال من استخدام قناة أدائية إلى أخرى وهي مواضع من (الالتفات) تنشأ فيها علاقات وشيجة بين تسخير الأدوات اللغوية وتصريف الطاقات الإبداعية على منازل القول الشعري ، فهذا العمل كفيل إذن باستخراج عقد التضافر التي هي (قفلات) المفاصل تشبه (المرافق) فهي كضمائر توزيع الأجزاء في حنايا الكل المتكتل))[١٢]، ثمّة قصدية معينة في توظيف أسلوب الالتفات وتواتره في متوالية نصية مشبعة حيث يعمل على تحقيق قدر أعلى في التأثير الأسلوبي ، ويرى الدكتور محمد عبد المطلب أن الالتفات ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك النسق بانتقال الكلام من صيغة إلى أخرى ، ومن خطاب إلى غيبة ، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفاتات[١٣]، وعليه يمكن النظـر إلى الالتفـات على انـه : ((تطبيق رائع للسياق

---

[١١] ينظر : الإبلاغ الشعري المحكم ، قراءة في شعر محمود البريكان ، الدكتور محمود عبد الله الجادر : ٤٥ .

[١٢] النقد والحداثة ، الدكتور عبد السلام المسدي : ٨٣ .

[١٣] ينظر البلاغة والأسلوبية : ٢٠٥ .

الأسلوبي))[١٤]، الذي يرمي إلى إذهاب الملل والترويح عن النفس ، والعدول بالنص ضمن صوتين يجمعهما تركيب السياق[١٥]، ولاسيما إذا برع الشاعر في توظيفه وتفنن في تنقلاته الضمائرية على الشاكلة المرتهنة بانسيابيتها السياقية .

ثانيا : إلتفات كليهما الى المستوى اللغوي وتأكيدهما جملة من البنى النحوية منها : أسلوب الشرط المهيمن على النص مما يعطيه دفقا حيويا مضاعفا من خلال استغلال الطاقات الحيوية المتوالدة عن هذا النسق ويعلق الدكتور المسدي على هذه الظاهرة قائلا : ((فهذه مواطن الانسجام النحوي الى حد التطابق التركيبي ، ولكن الطريف المعجب ، مما لا يدع شكا في هذه الظاهرة الغريبة ــ نعني تضافر الأبنية في تعانق الاختلاف مع الانسجام ــ إن الشق الثاني من الجمل التلازمية ، مما يعرف في النحو العربي بجملة جواب الشرط أو الظرف ، قد جاء في كل الأبيات الأربعة عشر مختلفا في بنيته اختلافا مطلقا ، ...))[١٦]، ويمضي الدكتور المسدي لكشف مناط الإبداع في التوظيف الظرفي التلازمي بانشطار أنساقه وتنوعها ، وما يتركه هذا التنوع من وقع على مصدر الإلهام الشعري ، مطبقا ما نظّر له بدءً ، سواء ما كان منها على سبيل التجاذب بين الطرفين موجبا كان أم سالبا ، أو على سبيل الاطراد اتزانه أو توازيه أو انفصامه ،

---

(١٤) أسلوبية البناء الشعري ، ارشد محمد علي : ١٠٤ .

(١٥) ينظر : بحث البديع في الدرس البلاغي والنقدي العربي في كتاب (قراءات بلاغية) الدكتور فاضل عبود التميمي ص ٧٩ .

(١٦) النقد والحداثة : ٩٤ .

ام على سبيل سلـم الصوغ وانسجامه مع قالبه الأصلي على مستوى الصعود وتدرجه ، ومدى الاتساق والانبساط والمزاوجة والتلازم وتفعيل تلك الظواهر وانعكاسات كل ذلك على السياق العام الحاضن وصولاً إلى اللوحة الإبداعية .

وينهج الدكتور أحمد مطلوب النهج ذاته في تركيزه على أسلوب الشرط رائيا ان التزام شوقي الأداة نفسها (إذا) في أول كل بيت مع تنويعه في الجواب على سبيل التلوين مما اقتضته المعاني المختلفة التي عبّر عنها الشاعر ، وهنا يتفق الناقدان على ظاهرة التضافر ، حيث يتواشج الأسلوبان ، أسلوب الالتفات مع أسلوب الشرط فيشكلان ضفائر متلاحمة تحكمها علاقات الانسجام التي تتدرج في سياق موحد نحويا وشعريا ، يكون بوسع المتلقي الحفر تحت كل مفردة من هذه الدوال للعثور على الطبقات المعنوية المباشرة والرمزية لها(١٧)، وهذا ما أكده الدكتور احمد مطلوب بأن الشاعر وهو يكرر أداة الشرط (إذا) ، لم يكن يكررها عجزا منه أو ضرورة ، وإنما هي تأكيد صفات نبي الله بأسلوب الخطاب ، ولو استغنى عنها لغيّر أسلوبه وجاء بأسلوب الغائب الذي يدل على وقوع الحادثة لا الحضور ، الأمر الذي يبرز المشهد ويضعه أمام المتلقي لينظر اليه حاضرا متجسدا(١٨).

ويتابع الناقدان فكرة توظيف علاقات المنظومة اللغوية والتحامها وتضافرها مع المستوى الدلالي مما يكشف عن فاعلية النص النشطة من

---

(١٧) ينظر : أساليب الشعرية المعاصرة ، الدكتور صلاح فضل : ١٣٩ .

(١٨) ينظر : في المنهج النقدي : الدكتور أحمد مطلوب : ٥٦ ــ ٥٧ .

خلال اكتشاف البنية النحوية المؤسسة لها ، فيقف الاثنان عند ظواهر التقديم والتأخير والحذف والنداء ، وتوظيف هذه الظواهر بوصفها مهيمنا أسلوبيا ، وإن كان الدكتور أحمد مطلوب أكثر تفصيلا وتوضيحا في هذا الجانب .

أوجه التباين (الاختلاف) :

١. الاختلاف في الهدف .

كان الشغل الشاغل للدكتور المسدي إدخال النص الإبداعي ضمن دائرة العلوم والمعرفة ، وإثبات أن حقل المعارف بإمكانه أن يبهج النص ويجلو صدأ النقد من خلال تغذيته بالروافد الثقافية التي تنسحب عليه فقد أراد أن يزج الأدب في دائرة العلمانية فكان همه الأكبر جانب التنظير ومن ثم إبراز ما يمكن أن ينصاع من جوانب التطبيق لها ، في حين أن هدف الدكتور أحمد مطلوب إظهار ما في النص من أسلوب ومعنى وتأثير ونحو ذلك ، فهو يريد تقديم القصيدة للمتلقي لتكون واضحة ، وليثير فيه الناحية الجمالية والتأثرية ، على اعتبار ان لكل اثر شعري أحكامه الجمالية النابعة من داخله ، بما ينسجم مع توجه المنهج لاكتشاف آليات عمل أنماطه وأنساقه على وفق مفهوم الشعرية(١٩).

٢. الاختلاف في المنهج النقدي .

المنهج في مفهومه اللغوي ، هو الطريق والسبيل والوسيلة التي يُتَدرج بها للوصول إلى هدف معين .

والمنهج النقدي له مفهومان ، أحدهما عام والآخر خاص ، أما العام فيرتبط

---

(١٩) ينظر : شعرية المغايرة : الدكتور إياد عبد الودود الحمداني : ١٨٠ ــ ١٨١ .

بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها ، أما الخاص ، فهو الذي يتعلق بالدراسة الأدبية ، وبطرق معالجة القضايا الأدبية والنظر في مظاهر الابداع الأدبي بأشكاله وتحليلها ، وهو بهذا المفهوم يتحرك طبقا لمنظومة خاصة به تتألف من مستويات مختلفة لعل من أهمها :
مستوى النظرية الأدبية ، التي تؤسس للمنهج النقدي ذلك الذي يختبر توافقها مع مبادئه ، ومن ثم يأتي دور ممارسة الفاعلية ، وتداولها عبر جهاز اصطلاحي يحمل قنوات تصوراته ويضمن كيفية انطباقها ــ قربا أو بعدا ــ مع الواقع الابداعي ــ والذي يكمل تلك العملية المنهجية الطرف الثالث الذي يتمثل بالمنظومة الاصطلاحية التي يطبق بأدواتها المنهج[٢٠].
أولى حلقات الانفصام بين الناقدين تباينهما في المنهج الذي أسفرت عنه نتائج التحليل لانها تجسد الاختلاف البين بين مجمل تصورات الناقدين .
يمثل النسق الالسني البنيوي نقطة الارتكاز التي شرع منها الدكتور المسدي إلى ولوج فضاء الهمزية ، وهذا لا يعني استبعاد الانساق الأخرى ، بل أنه بيّن مسار رؤيته النقدية وأولوياتها لديه ، فهو ينطلق من المنهج الأسلوبي ، الذي قال عنه : ((هذا الوليد الذي احتضنته اللسانيات وأينع في رحابها فاستبشر به النقد الأدبي واستضافه))[٢١]، لقد حدد الدكتور المسدي منهج التناول المنضوي تحت علم الأسلوب ، ومن ثم يعمد الى انفتاحه عبر تواشج الانساق واندغامها فيما بينها ، ناهلا من العلوم والفلسفة ومناحي المعرفة والفكر المتنامي الطامح الى اقتحام عوالم

---

[٢٠] ينظر : مناهج النقد المعاصر ، الدكتور صلاح فضل : ١٠ ــ ١١ .
[٢١] النقد والحداثة : ١٧ .

الخطاب الإبداعي برؤى وحدوية ذات سلطة نجيز لأنفسنا تسميتها بسلطة الفرض المسدي ، فكان عمله ينصب في وضع أصول النظرية النقدية القائمة على تأسيس نظري خاضع لسلطة المعادلة الرياضية ، لذا فان أسلوب الدكتور المسدي يفضي إلى ولوج عالم الذهـن وما يحصل من وراء ذلك من تحليلات تسعى الى استنفار قنوات الإدراك وإعمال الذهن والفهم الصحيح للعملية الذهنية ولشروطها وسيرها لكونها تمثل القاعدة الوحيدة الممكنة لنسق من القواعد الموجهة ، التي تفترض العلم والدقة كونها لا تتأتى من فراغ[٢٢] ، فتحصن المنهج بالعلمانية على مـا يؤكده الدكتور المسدي يجعل نظرية الأسلوب التي انطلق منها معطى حضوريا[٢٣]، منعتقا من سجنه ، مندغما مع الفنون والعلوم ، مؤكدا أن قطب الرحى للحداثة الشعرية كامن في التنظير ، فهو يقول : ((إن النقد لا يتجدد الا إذا جدد نظامه المفهومي او قل إنه يتحول الى حداثة (نقدية) الا عندما (يستحدث) جهازا معرفيا يباشر به السابقون))[٢٤]، وهكذا الحداثة الى قراءة والقراءة الى حداثة ، فاستحداث جهاز مفهومي يعني بناء منهج ، ومن ثم تكون الممارسة تالية وليست سابقة [٢٥].

فما دام هذا المنهج الذي ابتناه وتبناه الدكتور المسـدي مستندا إلى أصول معرفية توسـم باستقلاليتهـا وحداثتهـا ، فإن اجراءات

---

[٢٢] ينظر : سيمائيات التأويل : طائع الحداوي : ١٥٦ .

[٢٣] ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، الدكتور عبد السلام المسدي : ١٨ ــ ١٩ .

[٢٤] النقد والحداثة : ١٦ .

[٢٥] ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، سعيد عبد الهادي المرهج : ٣٧٦ .

التحليل الأسلوبي لاشك ستكون اجراءات مبتكرة ، فهي مغايرة ومتفاوتة بحسب درجات الوعي بها وفي حسن توظيفها واستغلال إمكاناتها .

منهج الدكتور المسدي له مبرراته على وفق ما آمن به وأشتغل في ضوئه وما يهمنا هو تلمس ذلك التنظير في النص لكون ما نظّر آنفا يمكن ان نجده ثاويا في التطبيق ، الذي عن طريقه نستدل على صلاحية أَنْ يعالج النص معالجة منطقية ورياضية .

إنّ استقصاء مجريات التحليل تحيل على ما يأتي :

١. العنوان

اتخذ الدكتور المسدي عنوان دراسته (التضافر الأسلوبي وإبداعية الشعر) وهو يمثل براعة استهلال تدل على نيته في الشروع لتأصيل منهج ينفتح على دلالات رحبة ، منطلقا منها متوحدا مع مجريات تحليله ، ليخلق عالما نقديا خاصا به يسوح فيه ببراعة مستثمرا الفعاليات الوظيفية التي تنبثق من خلال ذلك العنوان ، سابغا ما يرومه هو في نسج ملتحم ، فصار نقده عائما وحدويا ، سواء تعالت الأصوات الرافضة لهذا النقد لأنهم يرون في ذلك إخراج النص المبدع من جماليته وفعالية التأثير الوجداني فيه إلى حصره في دائرة ضيقة حين استحال معادلات رياضية ورموزا تتعب الذهن وتشط عن عالم التأثير فكانت الفجوة واسعة [٢٦] ، وهناك من وطن نفسه متماشيا مع هذا التيار مستجيبا لهذا الصوت الداعي الى الحداثة .

---

[٢٦] ينظر : في المصطلح النقدي، الدكتور أحمد مطلوب : ١٣٢، وفي المنهج النقدي : ٦٨ .

نلاحظ علاقة التواشج بين العنوان واجراءات التحليل ، إذ يشكل العنوان بؤرة التفجير التي تستقطب عناصر التحليل نحوها ، فكان أن توالد منها معايير الكشف المتمثلة بـ (معايير المفاصل ، والمضامين ، والقنوات ، والبنى النحوية)[٢٧]، وكيفية التحام تلك المعايير في شبكة علائقية يحكمها قانون التضافر ، فيأتي تأكيد الدكتور المسدي إثبات الظاهرة التي تشغله من غير أن يعني برصد جمالياتها ، ساعيا الى احصائها ولا اعد هذا عيبا ، لأنه يؤكد في أكثر من موطن من مواطن تحليله أنه كأي باحث أسلوبي تستوقفه خصائص الظاهرة الأسلوبية من دون استفراغ مقوماتها ، لأن غايته هي ايضاح مبدأ أكثر من استقصاء مردوده النوعي ، وان ما يظهره الشرح التطبيقي من خبايا إنما هي لخدمة المنطلق النظري[٢٨].

فلو تأملنا تقصّيه ظاهرة الالتفات ، لوجدنا أنه يجهد لبيان صورة التضافر ، فلو لم يكن التضافر موجودا ما استوقفه طويلا ، فعنايته به تطويعا لخدمة التضافر ، ومواقعه المفصلية تدرجا ورقيا ، تداورا ومقابلة انبساطا وخفاء ، تصاعدا بنبرة قارعة ، محدثا تحفيزا مضاعفا من خلال التعاقد في بودقة واحدة .

دأب الدكتور المسدي جاهدا لأجل استخلاص ظاهرة التضافر وما يوفره توظيفها من استحواذ بالغ على الصوغ التشكيلي في حدود الظاهر المرئي ، وبهذا تكون تقسيماته المجترحة متلائمة مع تنظيراته المسبقة ، لا

---

(٢٧) النقد والحداثة : ٧٨ .

(٢٨) المصدر نفسه : ٨٣ .

كما يذهب أحد الباحثين بأنها جاءت غائمة ذائبة[٢٩]، فما يعنينا هنا هو توافق التطبيق مع المنهج ، لا محاكمته تعسفا ، فاختلاف وجهات النظر لا يعني تغييب الحقائق وطمسها .

٢. التوظيف المنطقي

الذي يستند إلى أصول تجمع بين الفلسفة والمنطق وفن الخطابة ، فإذا كان مجال المنطق هو الوصول إلى الحقائق وكشفها فإن عملية توصيلها إلى المتلقي هي ميدان فن الخطابة[٣٠]، وليس من شك ان المعادلات الرياضية التي أقامها المسدي تنتمي الى حقول المنطق ، فلو أخذنا على سبيل المثال ، المعادلة الجبرية التي اجترحها في معرض تحليله المراوحة في توظيف ظمائر الخطاب التي استقطبها (٩٢) بيتا ، وضمائر الغيبة التي استوعبها (٤١) بيتا ، لوجدنا كيفية انبنائها على وفق تلك المعادلة التي ترجع إلى أصل متجذر ثابت ، يمتلك قدرة توالدية تتفرع وتتنامى في ارتفاع ورقي وصولا إلى سنم القمة العليا ، وهذا يضعنا أمام مشهد مرتسم لهرم جناحاه متناظران ، افترض لهما الناقد محدَّدا ذا قيمة موجبة ، معللا ذلك ، بانه لو كانت قيمته سالبة لانقلبت القمة وتهاوت إلى أسفل ، مسترسلا في متابعة الظاهرة على وفق تشكلها النصي وقوفا عند حزئياتها المكونة لها [٣١]. ويمضي الدكتور المسدي مطبقا قواعد نظريته التي أرسى دعائمها على الخطاب الشعري في الهمزية ، مؤكدا أن مرامي

---

[٢٩] ينظر : تحليل الخطاب الشعري : ٣٨٠ .

[٣٠] ينظر : سيمائيات التأويل : ١٥٦ .

[٣١] ينظر : النقد والحداثة : ٩١ ــ ٩٢ .

بحثه منصبّة على الظاهرة من دون مشخصاتها ، مبررا أن جانب السرد التطبيقي إذا انطلق من براهين أو مسلمات تنظيرية استهدف الشمول وكشف مقومات النص ، أما إذا حرّكته غاية الاستدلال على المقدمات النظرية نفسها فإن مقياس التوقف يضبط بمقدار اقترابنا من المنطلقات التي ننشد لها البراهين ، ومن ثم يعلن بدلالة القطع والجزم التي تراءت له بأن إبداعية أي نص أدبي لا يفسرها الا الاهتداء الى النموذج الأسلوبي الثاوي وراء بنيته الصياغية الذي ينجم عن تضافر مستويات مراتب البناء بدءً بالاصوات والمقاطع والألفاظ وختما بالمضامين الدلالية بعد المرور بالتراكيب النحوية المتعاقدة[٣٢]، وفي نهاية المطاف يقفل عائدا الى أحضان البلاغة القديمة ـــ كما يسميها بعضهم ـــ حين أعلن أن جمال القصيدة يعود الى السحر الحلال ؟ .

اما منهج الدكتور احمد مطلوب ، فهو لا يخرج عن رؤيته في الفن عامة والشعر خاصة ، ويتضح أنه ينظر إلى العملية النقدية نظرة علمية ونظرة فنية على أساس انّ الشعر فن يجب التعامل معه تعاملا فنيا فضلا عن النظر في الأصول التي تتحكم في العمل الإبداعي لكي يحتفظ بفنيته وجماليته وخصائصه الأسلوبية التي تميزه عن النصوص أو الأعمال الأدبية الأخرى ، فهو يرى ان تطبيق القواعد تطبيقا حرفيا يؤول بالعملية الابداعية إلى الانهيار ، ومذهبه فيها هو (المنفعة) ، أي ما يثير في النفس من متعة وأثر ونحو ذلك ، وفي ضوء ذلك الهدف استقر مفهوم المنهج لديه ، الذي جاء على حد قوله في أثناء تطوافه عبر رحلته الطويلة

---

[٣٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٠٠ ـــ ١٠١ .

مع المناهج النقدية قديمها وحديثها ، ومن خلال بحثه فيها ، فكان يرى أن معظم تلك المناهج يهتم بالبنية وحدها ، تلك التي آلت به إلى ان يستقر على منهج خاص به ، أوضحه في أكثر من موضع في كتبه النقدية أو بحوثه أو مقالاته ، فقد ظل ملتزما بها منذ ولوجه عالم النقد حتى آخر ما صدر له إلى الآن في كتابه ــ في المنهج النقدي ــ ، الذي هو كما يقول ثمرة سنين في البحث والتأليف ، يضع الدكتور احمد مطلوب فيه خصائص وسمات لابدّ من توافرها للنقد العربي ؛ أجملها في إحدى عشرة نقطة [٣٣]، أكدّ فيها الاهتمام بمبدع النص وثقافته وملامح عصره وبيئته ، فالقصيدة مهما بدا موضوعها منبثقا من خارج الذات ، ليست الا تجربة إنسانية في اطار يبقى منبئا عن ان الشعر ابداع ذاتي قبل أي اعتبار[٣٤]، ومن ثم يؤكد ضرورة اختيار النص الذي يستحق القراءة لإظهار قيمته ، واستجلاء دقائقه التي يسبر غورها التحليل المتقن المنضوي تحت فنون البلاغة وقواعد اللغة وجمالياتها ، ولا يقف عند تلك الحدود بل يروم موازنتها مع المنجزات الأخرى عبر منظومة التفاعل النصي وما نجم من انتاج دلالات جديدة لها صلة بالأصول ؛ محاولا الكشف عن مستويات التناص المتنوعة . ولا ينسى الدكتور وهو يؤصل منهجه المنبع الثر الذي طالما اغترف منه المتجسد بالمنجز البلاغي النقدي ولاسيما ما أكده عبد القاهر الجرجاني حينما أرسى دعائم

---

[٣٣] ينظر : في المنهج النقدي : ٣٦ ــ ٣٨ .

[٣٤] ينظر : قراءة معاصرة في نصوص التراث ، الدكتور محمود عبد الله الجادر : ٢٢٧ .

(نظرية النظم)[٣٥]، كاشفا العلاقة بين الشكل والمضمون ، منطلقا منها الى تأكيده شمولية الرؤية وتكاملها ، عادا عمل اللسانيين تحطيما وهدما للأثر الأدبي ، ولا يرى ضيرا في توظيف المعارف بما ينسجم وخدمة النص ، وفتح مغاليقه عبر الانفتاح على مناهج النقد الغربي من غير أن تلوى أعناقَ النصوص العربية وتخضع قسرا لمنهج نقدي يتعصب له الدارس أو الناقد ، ومعنى ذلك أنه يريد نقدا تكامليا وليس أحاديا [٣٦].

ومن خلال نظرة متأملة لمجريات تحليله همزية شوقي ، وعقد بنيات الصلة بين تنظيراته المنهجية وما مدى إنعكاساتها في مجمل التطبيق يتضح الآتي :

١. **الوقفة الخارجية**

كانت أولى خطوات تحليله ، حيث عني بصاحب النص وشغل بإعطاء نبذة موجزة عن قضيته العقدية وانعكاسها على شعره ، إذ وجد فيه ـ الشاعر ـ أنه حامل هموم المسلمين وداع إلى إعادة مجدهم التليد ، ومن ثم يشير الدكتور إلى المناسبة التي قيلت فيها القصيدة وخصوصية التجربة الشعورية للشاعـــر والاقتراب من روحـــه التي تفيض حبا لله ورسوله ، الأمر الذي ينسحب طبيعيا إلى الدقة في الفهم والكشف من مسارب القصيدة وروحها .

ولم يغفل الدكتور خصوصية الهمزية وفرادتها من بين مدائح شوقي الأخرى كـــ (سلوا قلبي ، وريم على القاع) ، فهو هنا يلتزم خطوات

---

[٣٥] ينظر : دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، وينظر أسرار البلاغة .

[٣٦] ينظر : في المنهج النقدي : ٣٦ ــ ٣٨ .

المنهج في تقصي معايير الجودة والاستحسان من خلال عقد المقارنة سواء مع النماذج الشعرية للشاعر نفسه أم مع شعر غيره ، كاشفا عن جوانب التباين بينهما ، فحين يعرض لنهج البردة للشاعر نفسه التي عارض فيها بردة البوصيري التي أولها [٣٧]:

أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ   مزجتَ دمعا جرى من مقلةٍ بدمِ

يرى أن (شوقي) خرج عما رسمه البوصيري فيها ، والتي مطلعها : [٣٨]

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعلَمِ   أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ

فإذا كانت قصيدة (نهج البردة) معارضة لبردة البوصيري ، بعوالمها التقليدية ، إذ نجد فيها عرضا تأريخيا يثقل على القصيدة ، فيخفت فيها الجانب الروحي ، في حين أنّ (الهمزية) هي انطلاقة جديدة ، لكونها ولادة حقيقية تفوح بنفحات الايمان والتوله بالنبي المختار ، حيث تبدو فيها حركية الزمن وارتداده واضحة ما بين ثلاث تنقلات ، الأولى : آنية الخطاب ــ آنية القصيدة ــ يوم الولادة الذي يعد بؤرة تفجير الطاقات الكامنة في التجربة الشعورية للشاعر ، الثانية : الزمن الاسترجاعي ، الذي يعود إلى الماضي البعيد المستحضر بهذا اليوم . اما الثالثة : فهي استباقية ، عبر انتقالها من الزمن الدنيوي إلى الزمن الأخروي والتوسل بهذا الوليد النبي الشفيع ، لقد برع شوقي في تأسيس مسافة زمنية تحكمها شبكة علائقية مترابطة يسوح في أزمانها الثلاثة رابطا الماضي بالحاضر

---

[٣٧] ينظر : الشوقيات : ج١ ، ٢٤٠ .

[٣٨] المصدر نفسه .

والواقع المعاش ، والزمن الاستشرافي في واقع غيبي يرجو فيه النجاة من من خلال ممدوحه .

ولم يغفل الدكتور احمد مطلوب عن أنّ الشعر قائم على تضافر مستوياته ، صوتا وتركيبا ودلالة ، فكأن لكلٍّ حظه في التفسير ، ولم يطغ جانب على آخر ، بدءً عُنِيَ بجانب الايقاع ، مشيرا إلى بحر القصيدة ، فهي من الكامل ، وهو من البحور الصافية ، موضحا جانب التلوين الايقاعي ، الذي يؤتى به لكسر حدة الايقاع .[٣٩]

ويتوقف الدكتور عند البنية النحوية وبيان حسن توظيف الشاعر لها ، مرجعا كل ذلك للسياق الذي اقتضاه .

ولاشك في أنّ كل لفظة قد وضعت وضعا فنيا مقصودا ، سواء ما كان منها ضمن دائرة الحقيقة أو ما خرج إلى المجاز ، وقد التفت الدكتور إلى خصوصية الألفاظ ، وكيف تم انتقاؤها بدقة متناهية ، ولكن كما عودنا بأسلوبه الرشيق المائل إلى لغة التكثيف ، فاتحا أمامنا أبوابا رحبة للبحث والتأمل .

فاعلية التصوير في الهمزية

لم يغب عن بال الدكتور أحمد أنّ العملية النقدية لا تتحقق من التطبيق الآلي لمنهج مرسوم ، بل أنها محاولة جاهدة منسقة لاكتشاف فاعلية التصوير ، بالاستعانة بمنهج التحليل البلاغي فضلا عن المنهج الأسلوبي ، مما جعله يلاحق صور شوقي كاشفا عن هيمنة المجاز وحظوته في القصيدة ، وما نجم عنه من استجلاب العلاقات التبادلية ،

---

[٣٩] ينظر : في المنهج لنقدي : ٤٩ .

وتنقية المشابهة ، فضلا عن كشفه علاقات المجاورة ، مشيرا إلى موطن كل منها ، ولم ينس وهو يستعرضها فنون البديع التي ألقت ظلالها على النص ، من جناس وتكرار وتضاد .. ، فضلا عن وقفته عند مواطن التناصات ما إن وجدت ، فقد أشار في معرض إسناد الشاعر (الضحك) إلى (الحديقة) ، الى قول البحتري :[٤٠]

أتاكَ الربيعُ الطلْقُ يختالُ ضاحكا   من الحُسْنِ حتى كادَ أنْ يتكلما

ولم ينس وهو يحتتم دراسته النقدية أن ينطق بالحكم التقييمي عليها ، معلنا أنَ تضافر صورها التركيبية والمجازية ووضوح دلالتها كان السبب الرئيس في قربها من الجمهور حتى غنّيت [٤١].

٣. اختلاف لغة التفسير

عرف عن الدكتور عبد السلام المسدي اجتراحه المصطلحات ، واستحداثه لها ، وهذا ما أسفرت عنه مظان التحليل الأسلوبي لهمزية شوقي ، فضلا عن استعماله الألفاظ الفلسفية وميله إلى لغة العلم والمنطق التي يرى بعضهم العسر في فهمها ، بيد أن الدكتور أحمد مطلوب كان ينأى عن استخدام المصطلحات الفلسفية ، لأنه لم يرد اقحام الدراسات الأدبية التي تعتمد الذوق في ميدان الفلسفة لأنها تلقي ظلالا ثقيلة على الكلام ، وعلى المتلقي ، لأن هدف التحليل واضح لأي نص شعري .

وهذا ما يجعلنا بإزاء لغتين نقديتين متباينتين قد تجمعهما بعض أواصر التطبيق :

---

[٤٠] ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي : ج٤ ، ٢٠٩٠ .

[٤١] ينظر : في المنهج النقدي : ٦٧ .

الأولى : لغة تسوح في عالم الذهن مفتقة أجزاء النص موزعة أوصاله ، مفككة إياها ثم ما تلبث ان تعيد هيكلته من جديد ، فيغلب الأسلوب العلمي ، بيد أنّ ذلك لا يعني تجرده من عنصر الوجدان فهي تبثه هنا وهناك ، في حنايا النص بما تمده من شحنات معنوية .

الثانية : اللغــة التوقيفيــة التي تجمــع بين المعيارية والتأثرية ، لغــة أدبية شفافة ، تتعامــل مع الفن من خــلال روح الأديب ، الذي يرى أنّ الفن لا يمكن ان يكون علما فقط وإنما لا بدّ من أن يكون فيــه الجانب الفني والجمالي والتأثري الذي يعبــر عن روح الأديب .

٤. اختلاف زمن التفسير

ونحن نتعامل مع الدراستين يجب ألا نغفل جانبا مهما وهو أن بين الدراستين زمنا طويلا ، فقد كتب الدكتور المسدي دراسته في أوائل الثمانينيات ، وبالتحديد ١٩٨٣م ، أما دراسة الدكتور أحمد فقد جاءت بعد ربع قرن وبالتحديد ٢٠٠٥م [٤٢]، فالأولى : كتبها الدكتور المسدي ذروة إندفاع الشباب وتألقه ، وإن جاز لنا القول ــ بين تشظي الأفكار والرغبة في الثورة النقدية الساعية إلى لغة التحديث ، أما : الثانية فقد كتبت باستقرار المنهج ونضجه .

---

[٤٢] نشرت أول مرة في مجلة المجمع العلمي (الجزء الأول ــ المجلد ٥٢) ــ بغداد ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥م ، وهي الحلقة الأولى من بحوثه (في المنهج النقدي) التي أصبحت كتابا بهذا الاسم ، وضم الهمزية أول ما ضم من بحوث (ينظر الكتاب ص ٣٩ ــ ٦٨) .

المصـــادر والمراجـــع :

١. الابلاغ الشعـــري المحكـــم ، قراءة في شعر محمـــود البريكـــان ، الدكتور فهد محسن فرحان، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط ١ ، ٢٠٠١م .

٢. أساليب الشعرية المعاصرة ، الدكتور صلاح فضل ، دار الآداب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

٣. أسرار البلاغة ، تأليف الامام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه ، أبو فهر محمود محمد شاكر ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠٤ م .

٤. أسلوبية البناء الشعري، ارشد علي محمد، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ـــ ١٩٩٩م .

٥. الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ط٢ ، ١٩٨٢م .

٦. البديع في الدرس البلاغي والنقدي العربي ـــ من الرؤية البلاغية إلى الرؤية الأسلوبية ، الدكتور فاضل عبود التميمي . مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثالث ـــ المجلد الرابع والخمسون ، لسنة ٢٠٠٧م ، وينظر كتابه : قراءة بلاغية ـــ النجف الاشرف ـــ ١٤٢٩هـ ـــ ٢٠٠٨م

٧. البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

٨. البنيوية في الأدب ، روبرت شولز ، ترجمة ، حنا عبود ، دمشق ١٩٨٤م .

٩. تحليل الخطاب الشعري ، دراسة ما وراء النقد في البنيوية العربية ، سعيد عبد الهادي المرهج ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

١٠. جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل) الدكتور عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

١١. دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق ، محمود محمد شاكر ــ القاهرة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .

١٢. دينامية النص (تنظير وانجاز) الدكتور محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م .

١٣. ديــوان البحتــري ، تحقيــق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م .

١٤. سيمائيات التأويل (الإنتاج والمنطق) ، طائع الحداوي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ــ المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

١٥. شعرية المغايرة (دراسة لنمطي الاستبدال الاستعاري في شعر السياب) الدكتور نيِاد عبد الودود الحمداني ، دار الشؤون الثقافية ط١ بغداد ــ ٢٠٠٩م .

١٦. الشوقيات ، أحمد شوقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .

١٧. في المصطلح النقدي ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

١٨. في المنهج النقدي ، الدكتور أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
١٩. قراءة معاصرة في نصوص من التراث الشعري ، الدكتور محمود عبد الله الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١، بغداد ، ٢٠٠٢م .
٢٠. قراءة النص الشعري ، الدكتور أحمد مطلوب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول ـ المجلد الرابع والأربعون ، بغداد ، ١٩٩٧م .
٢١. مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر (دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد) ، محمد سالم محمد الامين الطلبة ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
٢٢. معايير تحليل الأسلوب ، ميكائيل ريفاتير ، ترجمة الدكتور حميد الحمداني ، الدار البيضاء ، ١٩٩٣م .
٢٣. المعنى الأدبي من الظاهراتية الى التفكيكية ، وليم راي ، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، بغداد ، ١٩٨٨م .
٢٤. مفهوم القراءة في النقد العربي المعاصر ، محمد سالم محمد الامين الطلبة ، بحث باشراف : الدكتور صلاح فضل ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٢٩٩٧م .
٢٥. مقالات في النقد الأدبي ، ت. س . إليوت ، ترجمة لطيفة الزيات . مكتبة الانجلو المصرية .
٢٦. مناهج النقد المعاصر ، الدكتور صلاح فضل، مطابع افريقيا الشرق ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٢م .

٢٧. النص الأدبي من أين وإلى أين ؟ الدكتور عبد الملك مرتاض ، الجزائر ، ١٩٨٣م.
٢٨. النقد والحداثة ، الدكتور عبد السلام المسدي ، دار الطليعة – بيروت ط١ ، ١٩٨٣ م.
٢٩. وظيفة الشعر في التراث البلاغي النقدي عند العرب ، وسن عبد المنعم ياسين ، رسالة ماجستير ، تربية ديالى ، ٢٠٠٥م .

الموارد الثقافية في شعر الأعشـــى

الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

الملخص :

يعد الأعشى بن ميمون بن فيس من شعراء العرب الذين عاشوا في الجاهلية ، فضلا عن كونه من كبار مثقفي شعراء الجاهلية ، فقد جمع بين معارف البوادي وثقافة الحواضر ، ولذلك تعددت موارده الثقافية ، فمنها ما هو معلومات عامة ، كانت سائدة في المجتمع العربي حينذاك ، ومنه ما هو مكتسب خلال جولاته ورحلاته في الجزيرة العربية . طولا وعرضا ، شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، فضلا عن زياراته الكثيرة المتكررة الى بلاطات الملوك اليمن والعراق والشام وبلاد فارس والحبشة واطلاعه على ثقافات تلك الممالك والشعوب وكل هذه الجولات والرحلات والزيارات والاطلاعات ، غذته بثقافة عميقة ومتنوعة وخبرات فنية متراكمة ، تضاف الى ما عنده من خبرة فنية ولقد ظهر بوضوح اثر تلك الثقافات في شعره مما يمكننا معه من القول ان الأعشى كان من أوائل من أرسى التقاليد الفنية للقصيدة العربية الناضجة .

المقدمـــة :

يعد الأعشى ميمون بن قيس من شعراء العرب الكبار الذين عاشوا في الجاهلية ، فهو أشعر الناس عند كبير رواة الشعر العربي حماد الراوية

(ت ١٥٥هـ)[١]، فيما قال شيخ رواة مدرسة البصرة ، أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) الأعشى : (مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره)[٢]، وقال محمد بن سلام الجمحي شهدت خلفا الأحمر (ت ١٨٠هـ)[٣]، فقيل له من اشعرُ الناس ؟ فقال : ما ننتهي الى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على أشجع الناس ، وأخطب الناس ، وأجمل الناس . قلت : فأيهم أعجب إليك يا أبا محرز ؟ قال الأعشى كان أجمعهم . وسئل يونس بن حبيب (ت ١٨٤هـ) من اشعر الناس ؟ فقال : (لا أومئ الى رجل بعينه ، ولكن أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب)[٤]، أما أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) فحكم حكما ، لا يمكن لأحد تجاهله فقال : (من قدم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره) وقبل ذلك جعله من شعراء الطبقة الأولى في كتابه المفقود طبقات الشعراء[٥] فيما قال عنه ابن سلام (ت ٢٣١هـ)[٦] وكذلك ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)[٧]، انه أكثر الشعراء عروضا ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وفضلا عن ذلك كان ابن سلام قد جعله ضمن الشعراء الفحول في الطبقة الأولى ، وإما يحيى بن الجون العبدي راوية الشاعر العباسي بشار

---

[١] الأغاني : ٩/١١٠ .

[٢] طبقات فحول الشعراء : ١ / ٦٦ .

[٣] م . ن والصفحة نفسها .

[٤] عيون الأخبار : ٢/١٨٥ ، وينظر العقد الفريد : ٥/ ٢٧١ ، وكتاب الصناعتين : ٢٩ .

[٥] دراسات نقدية في الأدب العربي : ٤٢٧ .

[٦] طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٥ .

[٧] عيون الأخبار : ٢ / ١٨٥ .

بن برد فقد نعته بأستاذ الشعراء في الجاهلية[٨]، أما أبو زيد القرشي فقد قال[٩]: (الأعشى أشعر الناس والعرب والقوم) ، فيما قال ابن رشيق القيرواني[١٠]: هو (أسيرهم شعرا) ، ويضاف لما تقدم أنه من كبار مثقفي شعراء الجاهلية ، فقد جمع بين معارف البوادي وثقافة الحواضر ، لذلك تعددت موارد الثقافية ، فمنها ما هو معلومات عامة ، كانت سائدة في المجتمع العربي حينذاك ، ومنها ما هو مكتسب خلال جولاته ورحلاته في الجزيرة العربية . طولا وعرضا ، شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، فضلا عن زياراته الكثيرة المتكررة الى بلاطات الملوك اليمن والعراق والشام وبلاد فارس والحبشة وإطلاعه على ثقافات تلك الممالك والشعوب وكل هذه الجولات والرحلات والزيارات والاطلاعات ، غذته بثقافة عميقة ومتنوعة وخبرات فنية متراكمة ، تضاف الى ما عنده من خبرة فنية ولقد ظهر بوضوح أثر تلك الثقافات في شعره مما يمكننا معه من القول ان الأعشى كان من أوائل من أرسى التقاليد الفنية للقصيدة العربية الناضجة .

لقد كان الأعشى يغترف مادته الثقافية من معين متشعب الروافد والمنابع ، وان الأساطير والديانات القديمة ، كانت من المصادر الرئيسة والمهمة التي امتدت الشاعر بأنواع شتى من الصور الفنية والفكرية ، وقد اضطرب الرواة والنقاد في الإجابة عن سؤال مفاده : أكان الأعشى وثنيا على ديانة قومه ؟ ام كان نصرانيا كما يشير شعره الى ذلك . ولكن هذه الحيرة

---

(٨) الأغاني : ٩ / ١٣١ .

(٩) جمهرة أشعار العرب : ١/ ٨٣ / ٨٤ ، خزانة الأدب : ١ / ١٧٥ .

(١٠) العمدة : ٢ / ١٨١ .

سرعان ما بددها المرزباني (ت ٣٨٤هـ) حينما قال : (انه على الديانة النصرانية)[١١]، ولسنا هنا بصدد التأكد من صحة نصرانيته من عدمها ، بقدر ما يهمنا اثر الثقافة النصرانية في شعره ، ولم يكن اختيار الأعشى ليكون محورا للدراسة من قبيل المصادفة ، بل لانه من اثقف شعراء الجاهلية، وفي هذا البحث سأقف على آثار تلك الثقافات وانعكاساتها متتبعا ظهورها في شعره عارضا نماذج منها على سبيل التمثيل لا الحصر ، وسوف اقسم البحث الى مطلبين : يتكفل الأول منهما بالثقافة النصرانية ، فيما يتكفل الثاني بالثقافة العامــة ، علما أن معاني المفردات والكلمــات الصعبة والغامضة التي ترد في النصوص ، مصدرها ديوان الشاعر المحقق فان لم تكن فمن لسان العرب .

المطلب الأول : الثقافة النصرانية

استوعب الأعشى فكرا لديانة النصرانية وأحاط بها إحاطة تامة وهضم كل دقائقها الصغيرة والكبيرة ، فهو يعرف تعاليمها وأعيادها وألقاب رجالاتها الدينية فضلا عن كل ما يتعلق بها من أمور أخرى ، ويؤكد صحة ذلك زياراته المتكررة والمتعددة للمعابد النصرانية والكنائس والتقائه بالأساقفة والقسيسين والرهبان ، ذلك كله في شعره ، الذي ذكر فيه ألفاظا دينية لا يعرفها الا أصحاب الديانات السماوية من مثل : الله وعدد من الأنبياء وأقوامهم التي أرسلوا اليها ، وألقاب رجال الدين النصارى ، وذكر بعضا من أعيادهم من مثل عيد الربيع (النيروز) وعيد الفصح وسنقف على تلك الشواهد في هذا المطلب من البحث :

---

[١١] معجم الشعراء : ٢٩١ .

١. قال الاعشى[١٢]:

وكأس كعين الديك باكرت حدها   بفتيان صدق والنواقيس تضربُ

النواقيس جمع ناقوس ، وهو جرس كبير ، يوضع في الكنائس ويقرع بقوة وبصوت عال في أوقات معينة وفي المناسبات الدينية والأعياد النصرانية، فالاعشى يقول : إنه باشر معاقرة الخمرة الصافية اللون التي تشبه في صفائها ونقاوتها عين الديك التي يضرب بصفائها المثل ، مع أقران له من الشباب ، وذلك في وقت مبكر ، مع القرع الأول للنواقيس التي تنبه النصارى ليأتوا الى الكنيسة لأداء الصلاة .

٢. وقال[١٣]:

ومـا أبيلـي علـى هيكـل   بنـاه وصـلب فيـه صـارا

يـراوح من صـلوات المليـ   ـك طورا وسجودا وطورا جؤارا

في هذين البيتين يصف لنا الشاعر ، راهبا معتكفا في صومعته داخل الكنيسة ، فالأبيل هو نقب الراهب المقيم في الكنيسة ، وهو صاحب العصا التي يقرع بها الناقوس ، والهيكل هو موضع يقع في صدر الكنيسة يجلس فيه كبير القساوسة وفي هذا الموضع تقدم النذور والقرابين في المناسبات الدينية المختلفة وغيرها ، وصُلْب هي صور تزين الصليب المقدس الذي يزين صدر الكنيسة وموقعه في المقدمة ، وفي هذا الجو الديني المفعم بالخشوع لله والرهبة منه ، نجد ذلك الراهب يراوح خاشعا في صلواته وابتهالاته الى الله (سبحانه وتعالى)، ساجدا مرة وأخرى رافعا صوته بالدعاء .

---

(١٢) ديوانه : ٣١ .

(١٣) م . ن : ٧٦ .

٣. وقال [١٤]:

فأنـــي ورب الساجديـــن عشية   وما صك ناقوس النصارى أبيلها

الأعشى يقسم بالله رب المؤمنين المواظبين على صلواتهم ساجدين لله في صلاة العشاء ، وجاء قسمه متزامنا مع استعداد الراهب لقرع الناقوس لدعوة النصارى لأداء صلاة العشاء .

٤. وقال [١٥]:

لنا جلسان عندهـــا وبنفســـج   وسيسنبر والمرزجوش منما
وآس وخيرس ومرو وسوسن   إذا كان هنزمن ورحت مخشما

الأعشى يصف لنا مجلس شراب بمناسبة عيد الهنزمن وهو من اعياد النصارى على مذهب النساطرة ، ولعل الشاعر أراد عيد نيروز ، وهو عيد الربيع ، بدلالة الأشجار والأزهار والرياحين التي تستخدم في هذا العيد ، فضلا عن ان القصيدة هي في مدح إياس بن قبيصة الطائي عامل الفرس على عين تمر ، والفرس يحتفلون بهذا العيد ، ومعهم اتباعهم في الممالك الأخرى الخاضعة لسلطانهم ، وكذلك نلحظ كثرة استخدام الألفاظ الفارسية فضلا عن انواع الخمور الفارسية ، التي ورد ذكرها في هذا العيد ، وها ما يؤكد صحة ان عيد الهنزمن هو عيد نيروز .

٥. وقال[١٦]:

وكعبـــة نجـــران حتم عليـــ   ـــك حتـــى تناخى بأبوابها

---

(١٤) م . ن : ١٥٩ .
(١٥) م . ن : ١٦٤ ــ ١٦٥ .
(١٦) م . ن : ٣٠ .

الكعبة هي مركز بيت الحرام التي يؤمها الحجيج ليطوفوا حولها ، فهي معظمة عند قريش وعموم العرب ، وبذلك حازت قريش على شرف عظيم ، حسدتهم عليه القبائل الاخرى ، فنجد نصارى نجران وزعماءهم من بني عبد المدان بن الديان بن الحارث بن كعب ، قد بنوا كعبة في نجران على كعبة مكة ، وكانوا يعظمونها مضاهاة للكعبة المشرفة . وكانت نجران تمثل اهم المواقع التي تدين بالنصرانية في الجزيرة العربية ، وبعد ذلك وجدنا الاعشى يمدح سادة نجران من ابناء عبد المدان بن الديان سدنة كعبة نجران النصرانية ويثني عليهم في قوله[١٧]:

نزور يزيد ، وعبد المسيح وقيسا خير أربابها

ويزيد ، وعبد المسيح وقيس هم أبناء عبد المدان بن الديان وهم سدنة كعبة نجران .

٦. وقال [١٨]:

تؤم إياسا ، ان ربي أبى له يد الدهر الا عزة وتكرما

نماه الإله فوق كل قبيلة أبا فأبا يأبى الدنية أينما

هذه النتفة هي جزء من القصيدة المذكورة آنفا ، والشاعر يصف ناقته المتوجهة الى ديار الملك الجواد إياس بن قبيصة الذي حباه الله بالعزة والكرامة ، وأن الله رفع شأنه فوق كل القبائل العربية فهو سليل آباء وأجداد يأنفون الصغائر والدنايا ، ويتمتعون بمكارم الأخلاق التي حباها الله له .

---

(١٧) م . ن . والصفحة نفسها .

(١٨) م . ن : ١٦٦ .

٧. وقال [١٩]:

أو لنْ تريْ في الزبر بيـــــ	ـــنة بحســن كتابهـــا
إن القـــرى يومـــا ستهـــ	ـــلك قبـــل حق عذابها
وتصير بعد عمارة	يوما لأمر خرابها
أو لنْ تري حجرا ــ وأنـــ	ـــت حكيمة ــ ولما بها
إن الثعالب بالضحى	يلعبن في محرابها
والجن تعـــزف حولهـــا	كالحبـــش فـــي محرابها

الزبر جمع زبور وهو الكتاب المقدس الذي نزل على النبي داود (عليه السلام) وقد سطرت في صفحاته اخبار الامم السالفة وقد أكد الشاعر ذلك في معرض مديحه سعد بن قيس ، حينما قال بحسن كتابها ، والشاعر وبموجب ديانته النصرانية يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى سيهلك القرى الظالمة ، إن آجلا ام عاجلا ، وان تلك القرى ستصبح يوما ما أثرا بعد عين ، وسيؤول عمارها الى خراب ، وضرب لنا مثلا بقبيلة ثمود قوم النبي صالح (عليه السلام) ، الذين أبادهم الله سبحانه وتعالى بعد إقدام قدار بن سالف الملقب بأحمر ثمود على عقر الناقة [٢٠]، وأن ديارهم في منطقة حجر في بلاد الشام عند وادي القرى[٢١]، ما زالت مهجورة لم تسكن من بعدهم ، إذ أصبحت مسرحا تلهو فيه الثعالب وتلعب بعد ذلك العمران والعز الشامخ ، كما اتخذتها الجن سكنا لها ، وقد صور لنا الشاعر مدينة حجر وهي خاوية

---

[١٩] م . ن : ١٦ .

[٢٠] نقائض جرير والأخطل : ٥ .

[٢١] م . ن : ٣٩ .

على عروشها والجن تعزف في خرباتها بمشهد النصارى (الحبش) وهم يرتلون الأناشيد الدينية ويترنمون في محرابهم بأصوات رخيمة حزينة ، وهذه المعلومات الدينية لا يعرفها العرب والوثنيون ، بل هي من عقائد الموحدين ومنهم النصارى ، التي ذكر القرآن الكريم جانبا منها .

٨. وقال [٢٢]:

ربـــي كريم لا يكدر نعمة   وإذا يناشد بالمهارق أنشدا

يقول الأعشى إذا انعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان نعمة ، حاشا له أن يسلبها منه ، إلا إذا هو (الإنسان) سار في طريق لا يرتضيه الله جل شأنه، والشاعر يؤمن أن الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعوة المؤمن إذا دعاه ، ولاسيما إذا كان الدعاء مصحوبا بقراءة كتاب الله المقدس (الإنجيل) ، لأن المهارق كلمة فارسية تعني الكتب والمقصود هنا الإنجيل .

٩. وقال [٢٣]:

ولكن ربي كفى غربتي   بحمد الإله ، فقد بلغنْ

يقول الأعشى ان الله سبحانه وتعالى تكفل بحمايته في غربته ولا تتم تلك الحماية من الله الا إذا كان العبد حمودا شكورا لله .

١٠ . وقال [٢٤]:

فلئن ربك من رحمتــه   كشف الضيقة عنا ، وفسحْ

أو لئن كنا كقوم هلكــوا   ما لحي يال قومي من فلحْ

---

[٢٢] ديوان الأعشى : ٥٢ .

[٢٣] م . ن : ١٢٢ .

[٢٤] م . ن : ٤٠ .

ولده ، لكي يحافظ الناس على أماناتهم . ولا يفرطوا بها لانها من مكارم الأخلاق .

١٣. وقال [٢٧]:

فـإن الإلــــه حباكــم بـــه إذا اقتســم القــوم أمــرا كُبارا

....

عطـــاء الإلـــه فـــأن الإلـــ ـــه يسمع في الغامضات السرارا

ان الله سبحانه وتعالى إذا أحب قوما ، أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وأغدق عليهم عطاء لا حدود له ، وهو اكبر مما يتصوره الإنسان ، وان الله يعطي العبد المؤمن ويستجيب له ، سواء جهر بطلبه أم أسره في نفسه فهو يعلم السر وما يخفى الإنسان في نفسه ، وهذه من عقائد الموحدين ــ ومنهم النصارى ــ التي أكدها القرآن الكريم في قوله تعالى[٢٨]: (إنه يعلم السر وأخفى) .

١٤. وقال [٢٩]:

وسط المشقر في عبطاء مظلمة لا يستطيعــون فيهــا ممتنــعا

لو إطعموا المن والسلوى مكانهم ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

بظلمهم ، بنطاع ، الملك ضاحية ، فقد حسوا من بعد أنفاسهم جرعا

أصابهم من عقاب الملك طائفة كل تميم بما في نفسد جدعا

فقال للملك : سرح منهم مائة رسلا من القول مخفوضا وما رفعا

ففــك عن مائة منهــم وثاقهــم فأصبحوا كلهم من غله خلعا

---

[٢٧] م . ن : ٧٤ ــ ٧٥ .

[٢٨] سورة طه ، الآية : ٧ .

[٢٩] ديوان الأعشى : ١٠٨ .

بهم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الإله بما أسدي وما صنعا

المشقر سجن يقع في وسط اليمامة حبس فيه المكعبر عامل الفرس على اليمامة مجموعة من اسارى قبيلة تميم ، وذلك بسبب تعرضهم لقافلة فارسية كانت متجهة الى اليمن واستولوا على ما فيها من بضاعة ، وأن هؤلاء الأسرى وكما يصفهم الأعشى مرعبون يسيطر عليهم الخوف والهلع وينتابهم الفزع خوفا من مصيرهم المجهول الذي سيؤول بهم الى الموت ، لذلك لو أطعم هؤلاء الأسرى المن والسلوى وهو آمان من الله انزله على قوم موسى (عليه السلام) في قوله تعالى (وأنزلنا عليهم المن والسلوى)[٣٠]، لما اطمأنوا أبدا فوجوههم تدل على ذلك . لانهم قد اعتدوا على قافلة الملك في منطقة نطاع قرب اليمامة ، علما أن هذه القصيدة هي في مدح هوذة علي الحنفي الذي تشفع لأسرى تميم عند حاكم اليمامة ، فطلب منه ان يهب له منهم مائة رجل فوهبهم له ، ففك قيودهم وأطلقهم من الأسر ، وقد تم إطلاق سراحهم في يوم عيد الفصح وهو من أعياد النصارى وأن الملك كان يبتغي من وراء ذلك رضا الله بما صنع من معروف .

١٥. قال [٣١]:

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا ، وخيلا ذكورا

ومن نسج داود موصونة تساق مع الحي عيرا فعيرا

الأعشى أعد للحرب عدتها من رماح طويلة وهي كناية عن الرجال الأبطال والجياد الأصيلة من الفحول لأن الفحول لها قابلية التحمل في

---

[٣٠] سورة الأعراف ، الآية : ١٦٠ .

[٣١] ديوان الأعشى : ٧١ .

المهمات الصعبة والشاقة أكثر من الإناث ، وفضلا عن هذا وذاك فأنه قد هيأ دروعا حديدية ذات نسج محكم هي من صناعة النبي داود (عليه السلام) فهو يدخل الحرب بلامة سلاح كاملة .

١٦. وقال [٣٢]:

أليس أخو الموت مستوثقا	علي ، وإن قلت قد انسانْ
علي رقيب لـــه حـــافظ ،	فقل في امرئ غلق موتهنْ
أزال أذينة عـــن ملكـــه ،	وأخرج من حصنه ذا يزنْ
أزال الملوك ، فأفناهـــم ،	وأخرج من بيته ذا حزنْ

أراد الشاعر بأخي الموت ، ملك الموت الموكل بقبض الأرواح وهو قد احكم قبضته على رقاب العباد ، فهو وأن أمهل فهو لا ينسى فيد الموت ستطوله يوما ما ، فالله سبحانه هو الرقيب الحفيظ ، والإنسان رهن بأجله المحدد له ، فالله قد سلب ملك اذينة بعد ان انحرف عن الطريق الصحيح ، وأنه اخرج من كان يحتمي في حصون آمنة ليلقى حتفه ، وأنه أباد الملوك وأهلكهم لما طغوا وتجبروا ، فأصبحوا خبرا بعد أثر . وهذه الأفكار والمعاني التي وردت في القطعة هي من معتقدات الموحدين ومنهم النصارى .

١٧ . وقال في قصيدة الوصية :

وربك لا تشرك به ، إن شركه	يحط من الخيرات تلك البواقيا
بل الله فاعبد، لا شريك لوجهه	يكن لك فيما تكدح اليوم راعيا
وإيــاك والميتــات لا تقربنها	كفى بكلام الله عن ذاك ناهيا
ولا تعدن الناس ما لست منجزا	ولا تشمتن جارا لطيفا مصافيا

---

(٣٢) م . ن : ١٩٠ ــ ١٩١ .

ولا تزهدن في وصل أهل قرابة ولا تك سبعا في العشيرة عاديا
وان امرؤ أسدى اليك امانة، فأوف بها، ان مت سميت وافيا
وجارة جنب البيت لا تذع سرها فانك لا تخفي على الله خافيا
ولا تحسدن مولاك ان كان ذا غنى ولا تجفه ان كنت في المال غانيا
ولا تخذلن القوم ان ناب مغرم فانك لا تعدم الى المجد داعيا
وكن من وراء الجار حصننا ممنعا وأوقد شهابا يسفع الوجـــه حاميا

الواضح ان القيـــم الواردة في القصيدة ، هي قيـــم دينية ، اكدتهـــا كل الأديان السماوية أجمـــع ، كالنصرانية وسابقتهـــا اليهودية ولاحقتهـــا الإسلامية ، حافلة من قبل الله ، وكذلك يوصيه بأن تتطابق أفعاله مع أقواله ، وإذا وعد عليه ان يفي وإلا فـــلا يعـــد ، وأن لا يسمع جيرانـــه قوارص القول المؤذي ، وان لا يقطع صلة الرحم بأهله الأقربين ، ولا يكون جبارا ظالما معتديا على أبناء جلدته الفقـــراء ، وان يحافـــظ على الأمانة ويوفيها الى من إتمنه عليها ، لكي لا يقال عنه خائن الأمانة ، والجار وبالذات الجار الجنب لا تذع اسرار بيته فان للبيوت حرمتها فحافظ عليها لان الله ستار وأمر بالستر ، لان الله يعلم السر وما أخفى ، ولا تكن حسودا ولا بخيلا فاجعل لنفسك سبيلا تمشي عليه يرضاه الله والناس ، وأنصر قومك في الشدائد فأنهم هم عماد حياتك وهم حصنك المنيع الذي تلجأ اليه ، اليس كل ما جاء في هذه القصيدة هو من مكارم الأخلاق التي جاء بها المسيح وأكدها الإسلام ؟ ولاسيما وصية لقمان لابنه التي ذكرها القرآن الكريم ، وهذا يؤكد بما لا يقبل الشك ان الأعشى قد اطلع على خبر موعظة لقمان وهو يوصي ابنه قبل وفاته .

المطلب الثاني : الثقافة العامة

يعد الأعشى أكثر الشعراء العرب رحلات وجولات بين احياء القبائل العربية وقصور ملوك العراق والشام واليمن فضلا عن ملوك الفرس والحبشة، بحثا عن الشهرة والمال . وهذه الرحلات والجولات منحته ثقافة كبيرة وإطلاعا واسعا على تراث العرب وعلومهم وأيامهم وأنسابهم وعقائدهم وأخبارهم وأماكن مساكنهم وعلاقتهم بالأمم والشعوب المجاورة لهم التي كانت سائدة حينذاك في البلاد العربية وقد ظهر اثر تلك الثقافة في شعره .

١. قال الأعشى [٣٤]:

إذا ما هم جلسوا بالعشـــ	ـــي فأحلام عاد وأيدي هضمْ
....	....
وقد طفت للمال آفاقه	عمان ، فحمص ، فأورشلمْ
أتيت النجاشي في أرضه	وأرض النبيط، وارض العجمْ
فنجران، فالسرو من حمير	فأي مرام له لم أرمْ
ومن بعد ذاك الى حضرموت	فأوفيت همي وحينا أهمّ
ألم تري (الحضر) إذ أهله	بنعمى وهل خالد من نعمْ
أقام به شاهبور الجنو	د حولين يضرب فيه القدمْ
....	....
فلما رأى ربـــه فعله	أتاه طروقا فلم ينتقمْ
وكان دعا رهطه دعــوة ،	هلم الى أمركم قد صرمْ
فموتوا كراما بأسيافكـــم ،	وللموت يجشمه من جشمْ

---

[٣٤] م. ن . ١٧١ ــ ١٧٢ .

وللموت خيــر لمن ناله ، إذا المرء أمته لم تدمْ
ففي ذاك للمؤتسي أسوة ومأرب قفــى عليها العــرمْ

هذه القصيدة تظهر بما لا يقبل الشك أن الأعشى كان شاعرا رحالة يجوب الجزيرة العربية : طولا وعرضا ، شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا فضلا عن رحلاته المستمرة والمتكررة الى ملوك العراق والشام وبلاد فارس والحبشة ، فقد زار عمان ، وحمص ، والقدس (أورشليم) ، والحبشة والتقائه بملكها النجاشي ، وبلاد الشام حيث النبيط الذين سكنوا في الشام ، والمدائن عاصمة الفرس ، ثم بلاد اليمن ، حيث نصارى نجران ، ومدينة السرو مساكن ما بقي من قبيلة حمير اليمنية القديمة ، وحضرموت ، ثم عرج الى شمال العراق حيث الحضر عاصمة مملكة الضيزن ملك قضاعة وهي إمارة قديمة تقع جنوبي مدينة الموصل الحالية بين دجلة والفرات ، وكسرى الفرس شاهبور بن الهرمز الذي حاصر مدينة الحضر عامين كاملين ، وعاد أدراجه يجر أذيال الخيبة والخسران ، وذلك يدل على إحاطته الكاملة بأخبار قبيلة عاد قوم النبي هود (عليه السلام) التي كانت تسكن بالاحقاف وهي أرض رملية تقع بظاهر اليمن[٣٥] ، وكذلك بقصة سيل العرم وانهيار سد مأرب وغرق المدينة ودمارها ، وتفرق قبائلها في الجزيرة العربية وقديما قالوا : (تفرق أيدي سبأ) وهي من المعارف العامة التي كانت معروفة عند العرب في الجاهلية .

٢. قال الاعشى [٣٦]:

جزى الإله إياسا خيــر نعمته ، كما جزى المرء نوحا بعد ما شابا

---

[٣٥] نقائض جرير والاخطل : ٨١ ــ ١٧١ .

في فلكه ، إذ تبدأها ليصنعها ، وظـل يجمـع الواحـا وأبوابـا

كلنا نعرف ان اياسا هو اياس بن قبيصة عامل الفرس على منطقة عين تمر ولما قتل كسرى النعمان بن المنذر ملك الحيرة جمع لإياس الحيرة مع عين تمر علما أن الحيرة وعين تمر كانتا تدينان بالنصرانية ، وأن إياسا كان نصرانيا والإله هو الله سبحانه وتعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأن الله لا يضيع صنيع أياسا ، ثم شبه الشاعر المثوبة التي سيحصل عليها أياسا من خلال تكريمه الشاعر ، تتمثل في رضا الله سبحانه وتعالى ، مشبها تلك المثوبة بالمثوبة التي حصل عليها النبي نوح (عليه السلام) من الله بعد أن دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، فلم يستجيبوا له ، فأمره الله بصنع السفينة ، لينجو فيها هو وأهل بيته والمؤمنون فيما يغرق الكافرون المعارضون له في قصة الطوفان المعروفة ، وهذا يؤكد ان الأعشى كان على دراية تامة بقصة الطوفان وخبر النبي نوح (عليه السلام) مع قومه الذين أغرقهم الله بذلك الطوفان الذي أكده القرآن الكريم في سور نوح وهود (عليه السلام) والمؤمنين .

٣. وقال [٣٧]:

جزى الله فيما بيننا شيخ مسمع ، جـزاء المسيء أمسى وأشرقا

جزى الله تيما من اخ كان يتقي ، محـارم تيم ما أخـف وأرهقا

يتضرع الشاعر الى الله ليجزي شيبان بن شهاب الجحدري رئيس بني مسمع من قبيلة بكر بن وائل أسوأ الجزاء المتصل ليلا ونهارا ، ثم يشبه برئيس بني تيم وهم أيضا من بكر بن وائل ، فقد كان جيدا مع قومه سيئا مع جيرانه ،

---

(٣٧) م . ن : ١١٥ .

فهو يدعو الله ليجزيه أسوأ ما عمل ، لأنه لم يرع حرمة الجار ولا حقوق القرابة ولا صلة الرحم .

٤. وقال [٣٨]:

هنالك لا تجزونني عند ذاكم ولكن سيجزيني الإله فيعقبا

قال الأعشى في معرض عتابه بني سعد بن قيس وهجاء عمرو بن المنذر ابن عبدان : أنتم لا تثيبونني عما أسديت لكم من خدمات فقد كنت لسان حالكم والمدافع عن حقكم ، ولكن الذي يثيبني على ما صنعت هو الله سبحانه وتعالى الذي لا يضيع ثواب من أحسن عملاً .

٥. وقال [٣٩] :

وعلمت ان الله عمـــدا حسـها وارى بهـا

الشاعر هنا في هذا البيت وفي معرض مديحه لسعد بن قيس ، يشير الى انه تيقن ان الله سبحانه وتعالى مسق تعمد إهانة تلك الناقة وفضحها لانها اشتكت الى صاحبها الكلل والإعياء من جراء السفر الطويل تحت الشمس المحرقة وفوق الرمال الملتهبة .

٦. وقال [٤٠]:

ويقول من يبقيهم بنصيحة هل غير فعل قبيلة من عاد

القبائل العربية قبل الإسلام كانت تستلهم العضات والعبر من القبائل البائدة الذين كانوا ضحايا ما بدر منهم من سوء الأعمال مع الظلم والطغيان

---

[٣٨] م . ن : ٢٣ .

[٣٩] م . ن : ١٩ .

[٤٠] م . ن : ٥٧ .

والتجبر وخير مثال النصيحة هو قبيلة عاد وما حل بها من نكال وعقاب ، وعلى الناس العقلاء ان يأخذوا الموعظة من تلك القبائل ، فما هم بأقوى من قوم عاد ، ولكنهم لقوا ما لقوا حيثما عاثوا فسادا في الأرض .

٧. وقال [٤١]:

حلفت برب الراقصات الى منى   إذا مخرم تجاوزته بعد مخرم
فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا   ولا لك حق الشرب من ماء زمزم
وما جعل الرحمن بيتك في العلـــى   بأجياد غربي الصفا والمحرم

يقسم الأعشى في معرض هجائه لعمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان برب الراقصات ، وهو الله سبحانه ، خالق الإبل وكل شيء ، وهو قسم شائع في الجاهلية فهذا ابو طالب بن عبد المطلب يقول[٤٢] :

زعمت قريش ان احمد ساحر   كذبوا ورب الراقصات الى الحرمْ

وقال حسان بن ثابت [٣٤]:

كلا ورب الراقاصات الى منى   والجائبين مخـــارم الاطـــواد

والراقصات هي الإبل المسرعة في قوافل متجهة الى منى تحمل الحجيج لأداء مناسك الحج ، ورؤوس الإبل من سرعتها وكثرة حركاتها تهتز كأنها ترقص ، وان هذه القوافل في سباق مستمر فيما بينها ، بعضها يتجاوز بعضها الاخر ، وهي في طريقها الى مكة ، وان عميرا ليس بمستوى المسؤولية فهو ليس بمستوى اهل مكة والمشاعر المقدسة من حيث المكانة

---

(٤١) م . ن : ١٨٣ .

(٤٢) ديوان ابي طالب : ٧٩ .

(٣٤) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : ١٦٥ .

الاجتماعية والأخلاقية ، وبذلك لا يحق له شرب ماء زمزم المقدس ، لان نيته غير صافية وان الله يعلم سريرته المتقلبة فسيرته الاجتماعية لا تؤهله سيدا مطاعا في قومه .

٨. وقال [٤٤]:

كسته بعوض (القريتين) قطيفة   متى ما تنل من جلــده يتزند

القريتان هما مكة المكرمة والطائف والعرب تجمع على ذلك ، لأن العرب كانت تعظم مكة لمكانتها الدينية والتجارية ، وقريش تعظم الطائف ومن أجل ذلك عظمت العرب الطائف معها ، ولذلك أسماها العرب بالقريتين للدلالة على مكة والطائف ، ومشركو مكة عندما عارضوا رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) فالوا : لو نزل القرآن على رجل من القريتين غير محمد لآمنا به ، ولكنه لم ينزل حسب إدعائهم ، وقــد جاء القرآن الكريم بهذا في قوله تعالى [٤٥] : (على رجل من القريتين عظيم) .

٩. وقال [٤٦]:

طريق وجبار رواء أصوله   عليه أبابيل من الطير تنعب

هجر عاصمة البحرين القديمة كانت مشهورة بزراعة النخيل ، وبساتينها معروفة بالنخيل الباسقة الطويلة ، وقد تجمعت فوق سعف تلك النخيل رفوف من الغربان بأعداد كبيرة ، وهذه الغربان بدأت تأكل التمور ، لذلك نجد الشاعر يتشاءم منها بدلالة (تنعب) والنعيب هو صوت الغراب المشؤوم وقد شبه تلك الغربان بطير الأبابيل التي ارسلها الله سبحانه وتعالى

---

[٤٤] ديوان الاعشى : ٦٠ .

[٤٥] سورة الزمر / الاية : ٣١ .

[٤٦] ديوان الأعشى : ٣١ .

الى جيش إبرهة الحبشي حينما أراد هدم الكعبة الشريفة ، وهذا يدل على ان الأعشى كان يعرف خبر ذلك الغزو الذي دمره الله وكما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى [٤٧]: (وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل) .

١٠. وقال [٤٨] :

فلعمر من جعل الشهور علامة   قـدرا فبين نصفهـا هلالها

الشاعر يقسم بالله العظيم خالق الشهور التي جعلها الله سبحانه وتعالى للناس مواقيتا وحسابا ، ليعرفوا الفصول والأشهر الحرم من غيرها ، وكذلك خلق القمر ليكون دليلا عليها ، وبموجب ذلك ينظمون حياتهم الاعتيادية .

١١. وقال [٤٩]:

لسنا بعير ــ وبيت الله ــ مائرة   الا عليها دروع القوم والزَّعفُ

مارت البعير : اضطربت في حركتها ذهابا وايابا ، فالشاعر يقسم ببيت الله الحرام في معرض فخره بقومه ، وانهم شجعان أبطال تعرفهم ساحات القتال ، وانهم يتحصنون بدروع فضفاضة طويلة تقيهم بأس العدو ، وعندما انتهك بنو حنيفة حرمة مجاوريهم ، انتفض قائلا [٥٠]:

كذبوا ــ وبيت الله ــ يفعل ذلكم   حتـى يوازي حزرما كنديـرُ

---

[٤٧] سورة الفيل ، الآيتان : ٣ ــ ٤ .

[٤٨] ديوان الأعشى : ١٤٦ .

[٤٩] م . ن : ١١٣ .

[٥٠] م . ن : ٩٠ .

فقد أشار الأعشى ان هؤلاء كذابون لا يصدقون في ما يقولون ولا عهد لهم ولا موثق وليس لديهم أي التزام أخلاقي بالواجب تجاه الجيران ، وكان الأولى لهم عدم نقض الجوار .

١٢. وقال[٥١]:

ألم تروا إرما ، وعادا	أودى بها الليل والنهارُ
بادوا ، فلما أن تآدوا	قفى على إثرهم (قدارُ)
وقبلهم غالت المنايا	طمسا ولم ينجها الحذارُ
وحل بالحي من جديس	يوم من الشر مستطارُ
وأهل (غمدان) جمعوا	للدهر ما يجمع الخيارْ
فصبحتهم من الدواهي ،	جانحة عقبها الدمارُ
وقد غنوا في ظلال ملك	مؤيد عقلهم جفارُ
وهل (جو) أتت عليهم	فأفسدت عيشهم فباروا
ومر حد على وبار	فهلكت جهرة (وبارُ)

الشاعر في معرض هجائه لبني جحدر ، يذكرهم بالعواقب الوخيمة التي سببها الظلم والطغيان والجبروت ، فيستعرض لهم القبائل العربية الموغلة في القدم التي ابادها الله سبحانه وتعالى لما طغوا في البلاد وتجبروا ، من أمثال : أرم ، وعاد قوم النبي هود وثمود قوم النبي صالح ، وقدار بن سالف الملقب الأحمر، وكانت العرب تسمي الجزار قدارا تشبيها به[٥٢] ، وقد نعته رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بأشقى الأولين وهو عاقر ناقة

---

[٥١] م . ن : ٨١ .

[٥٢] نقائض جرير والاخطل : ٥ .

صالح (عليه السلام) ، ومن قبلهم طمسا وجديسا لما تجبروا واكثروا الفساد في البلاد ، وكذلك أهل قصر غمدان باليمن ، الذين دمرتهم الصيحة ، وأهل جو وهي مدينة يسكنها اهل طسم وجديس ، وكذلك أصبحت وبار وهي المنطقة الثانية التي تقع فيها مساكن طسم وجديس في منطقة الاحقاف ، قد أصبحت أثرا بعد عين ، وهذه المعارف هي جزء من مخزون الموروث الاخباري الذي كان العرب يعرفونه ويتداولونه فيما بينهم في منتدياتهم ، وأن هذه الأخبار قد أكدها القرآن الكريم وقد أشار الى بعضها بالمباشر والأخرى بالإشارة والتلميح ، وكل هذه القبائل أهلكها الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلا ولم يترك منهم باقية لأسباب مختلفة وبطرق متنوعة .

١٣. وقال [٥٣]:

قالت : ارى رجلا في كفه كتف	أو يخصف النعل لهفي أية صنعا
فكذبوها بما قالت ، فصبحهم	ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا
فاستنزلوا اهل جو من مساكنهم	وهدموا شاخص البنيان فاتضعا

الاعشى في هذه القطعة يحكي لنا قصة زرقاء اليمامة التي كانت تمثل عينا لقومها لانها تمتلك نظرا حادا يمتد الى مسافات بعيدة لا يقوى الإنسان الاعتيادي رؤيتها ، فبعد نظرها أضعاف بعد النظر الطبيعي لدى الآخرين ، لذلك كانت بالنسبة لهم بمثابة (رادار) بموجب المصطلح العسكري الحديث، وزرقاء هي من قبيلة طسم ذات السطوة والسيطرة على قبيلة جديس ، لذلك رصدت لهم ذات يوم زحف جيش قبيلة جديس المتعطش لرد اعتباره من قبيلة طسم التي بالغت في اضطهادهم واذلالهم فقالت لهم انها ترى اشجارا تمشي

---

[٥٣] ديوان الاعشى : ١٠٥

وهي تعتقد ان وراء كل شجرة منها مقاتل ، فسفهوا رأيها وقولها ولم يحملوه على محمل الجد ولم يصدقوها فيما أخبرتهم حتّى صبحهم جيش ذو آل حسان رئيس قبيلة جديس على حين غرة وهم غافلون ، فأبادهم ودمر مدينتهم (جو) ، فأصبحوا نادمين على ما فرطوا بقول الزرقاء ورأيها ، ولات إذن لا ينفع الندم وعض الأنامل .

١٤. وقال[٥٤]:

ان لقيمـــا وان قيـــــلا	وان لقمان حيث ساروا
لم يدعوا بعدهم عربيا	فغنيـــدت بعدهـــم نزارُ

لقيم وقيل ولقمان يمثلون وفد قبيلة عاد الذي جاء الى مكة ليطلب الاستسقاء بعد ان أمحلت أرضهم وأجدبت ، بعد أن حبس الله المطر عنهم ثلاث سنين ، وقيل مرت فوقهم سحابات نودوا منها : أن اختاروا ، فاختاروا السحب السود ظنا منهم أنها مثقلة ومحملة بالماء ، ولكن كان حتفهم في تلك السحب السوداء التي إبادتهم وأهلكتهم ، ولم تذر احدا منهم .

١٥. وقال [٥٥]:

فما أنت وإن دامت عليك بخالد	كما لم يخلد قبل ساسا ومورقُ
وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه	له ما اشتهى راح عتيق وزنبقُ
ولا عاديا لم يمنع الموت ماله	ورد بتيماء اليهودي ابلقُ
فذاك ولم يعجز من الموت ربه	ولكن أتاه الموت لا يتابقُ
بناه سليمان بن داود حقبة	له أزج عال وطي موثقُ
....	....

---

[٥٤] م . ن : ٨٢ .

[٥٥] م . ن : ١١٨ ــ ١١٩ .

ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بأمته يعطي القطوط ويأفقُ
ويجبى إليه السيلحون ودونها ... صريفون في أنهارها والخورنقُ
ويقسم أمر الناس يوما وليلة ... وهم ساكتون ، والمنية تنطقُ
ويأمر لليحمـــوم كل عشية ... بقت وتعليق ، وقد كاد يسنقُ

يقول الأعشى في معرض مديحه المحلق بن خنتم : إن الإنسان غير مخلد مهما امتد به العمر ولكن الخالد هو ما يتركه من أثر حسن أو سيء ، عمله في حياته ، فالأعشى يتساءل عن ساسان مؤسس الإمبراطورية الفارسية وعن مورق مؤسس دولة الروم ، اين هم فلقد طالتهم يد الموت ، ولم يبق لهم من أثر إلا الإسم ، ثم أين كسرى كبير ملوك العجم . الذي توفرت له ملذات العيش والطيب والرياحين ما لم تتوفر لغيره من الأكاسرة ؟ ولا عاديا ابو السموأل اليهودي الذي ورث حصن الأبلق الذي بناه سليمان بن داود (عليه السلام) الذي يقع في مدينة تيماء شمال الجزيرة العربية ، فهو يؤكد ان لا خلود لاي مخلوق مهما امتد به العمر ، فلا بد ان يطاله لموت يوما ما، فلا المال يدفع عنه الموت ولا الحصون الحصينة ، فالموت يأخذه على حين غرة وبلا سابق موعد ، وقد تطابق قول الأعشى مع قوله تعالى[٥٦]: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) ، وأخيرا وليس آخرا أين ملك الحيرة النعمان بن المنذر ، صاحب المزارع الكبيرة والبساتين الغناء التي كانت تمتد بين الكوفة والقادسية ، ثم اين قصر الخورنق الذي كان يسكنه مزهوا مع حاشيته وخدمه وحشمه ويعطي الصكوك للشعراء وغيرهم ، واين جواده المسمى باليحموم الذي كان يأكل اصنافا من الاطعمة الفاخرة التي لا

---

[٥٦] سورة النساء ، الاية : ٧٨ .

يستطيع معظم الناس ان يحصلوا عليها ، فهو متخوم من ما يأكل والناس جوعى محرومون فقد أدركهم الموت وتمكن منهم ، فلم يكن بامكانهم دفعه والفرار من قبضته .

١٦. وقال[٥٧] :

شباب وشيب ، وافتقار وثروة   فله هذا الدهر كيف ترددا

الأيام دول ، والأيام في حالة تعاقب ، ليل يعقبه نهار ، ونور يتبعه ظلام ، وحر وراءه برد ، وفقر بعده غنى ، وشباب يؤول الى شيب ، وخير يتحول الى شر ، رجال ونساء ، وهكذا هي ثنائية الحياة في تضاد مستمر وصراع أزلي ، فمتى توقف الصراع ، توقفت الحياة ، ولا تتوقف الحياة الا بالموت ، وقد صدق أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في قوله : الدهر يومان ، يوم لك ويوم عليك ، والأمر بالمحصلة النهائية هو بيد الله وحده ، وهو صاحب القرار وهو أعرف بعباده وأرحم .

الخاتمـــــة

وبالمحصلة النهائية ان الأعشى كان شاعرا يمتلك ثقافة واسعة ، اكتسبها من خلال اعتناقه الديانة النصرانية وقد ظهر أثرها في شعره ، فقد ذكر عيد الهنزمن وهو عيد الربيع (نيروز) وعيد الفصح ، وألفاظا نصرانية من مثل الأبيل وهو الراهب الذي يمسك عصا ويقرع الناقوس ، والنواقيس والصليب والصلب والهيكل وغيرها ، فضلا عن المعارف والموروث الاخباري اللذين كانا متداولين بين أبناء القبائل العربية من قصة الطوفان في عهد النبي نوح (عليه السلام) وغرق قومه الكافرين ، الى القبائل العربية

---

[٥٧] ديوان الأعشى : ٥٠ .

البائدة من أمثال : أرم ، وعاد قبيلة النبي هــود (عليه السلام) وثمود قبيلة النبي صالح (عليه السلام) ، وطسم ، وجديس ، وأشقى الأشقياء قدار بن سالف عاقر ناقة النبي صالح (عليه السلام) ، وزرقاء اليمامة إلى ذي آل حسان رئيس قبيلة جديس الذي أباد قبيلة طسم ، وهي من القبائل العربية البائدة ، الى النبي داود (عليه السلام) وصناعة الدروع ، والنبي سليمان (عليه السلام) وبنائه لمدينة تيمــاء وقصرها الابلق ، الى السيل العرم ، وانهيار سد مأرب وغرق مدينة مأرب ودمارها ، وتفرق قبائلها في الجزيرة العربية فقديما قالوا (تفرق أيدي سبأ) ، الى ما قبل الإسلام بقليل وما لاقى فيه النعمان بن المنذر من نهاية مأساوية انتهت بسقوط إمارة الحيرة ، وفي الختام أقول : هذا جهد طاقتي ، فان أصبت فبفضل من الله سبحانه وتعالى وتوفيقه ، وأن جانبت الصواب فعذري أن اجتهدت ، ولكل مجتهد نصيب ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا .

المصـــــادر :

١. القرآن الكريم .

٢. الأغاني ــ ابو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، مصورة دار الكتب .

٣. جمهرة اشعار العرب ــ ابو زيد القرشي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ١٩٦٧م ، مصر .

٤. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ــ عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م .

٥. دراسات نقدية في الأدب العربي ــ د. محمود عبد الله الجادر ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، ١٩٩٠م ، الموصل .

٦. ديوان ابي طالب بن عبد المطلب ، صنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين ، دار مكتبة الهلال ، ٢٠٠٠م ، بيروت .

٧. ديوان الاعشى ــ شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧م .

٨. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ــ ضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت : د.ت .

٩. طبقات فحول الشعراء ــ محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر ، مصر ، د. ت .

١٠. العقـد الفريـد ــ ابن عبد ربه الأندلسـي (ت ٣٢٨ هـ) ، تقديـم الأستـاذ شـرف الدين ، منشـورات مكتبة الهـلال ، ط١ ، ١٩٨٦م . بيـروت .

١١. عيون الأخبار ــ ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر .

١٢. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ــ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، حققه وضبط نصه د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١م ، بيروت .

١٣ . معجم الشعراء ، أبو عبيد الله بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) ، صححه وعلق عليه الأستاذ ف. كرنكو ، ط١، دار الإنجيل، ١٤١١ هـ ــ ١٩٩١م . بيروت .

١٤ . نقائض جرير والأخطل ، ابو تمام الطائي (٢٣١ هـ) ، علق على حواشيه الأب انطوان صالحي اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، دار الكتب العلمية ، ١٩٢٢م . بيروت .

مشكلات المعلمات في مدارس
المرحلة الابتدائية

المرشدة التربوية سميرة ظاهر محمد
ثانوية فاطمة الزهراء (عليها السلام) للبنات

الملخص :

أصبحت التربية الحياة نفسها ولم تعد تعني تلقين المعلومات كما لم تعد مجرد إعداد للحياة المستقبلية فالمرحلة المستقبلية تمثل مرحلة البناء النفسي والمعرفي لدى الطلبة بكل جوانبه لذا فهي محصلة أو دالة تأثير في كل الجوانب التي يعيشها الطالب في أثناء حياته في تلك المرحلة .

ومن الضروري التركيز على مشكلات المعلمات في المدارس الابتدائية وعلى كيفية الأداء والإعداد بأسلوب التوافق مع المدرسة لتقليل تدني دوافع المعلمات في تكيفهم السلبي او الايجابي وتحديد حجم المتطلبات النوعية المؤهلة لهن بشكل واقعي التي تؤدي الى استيعاب القيم التربوية والأخلاقية والسلوكية مما يجعل النظام التربوي التعليمي كاملا حيويا لتطور المجتمع وتعزيز مكانته .

لذا يمكن القول ان التركيز على أسباب القوة والضعف في حجرات الدراسة يعتمد على كيفية مواجهة هذه العقبات والمشكلات .

وهذه النظرة الاجتماعية للتربية تطلبت امتداد عمل المدرسة الى ابعد من واجبها التعليمي مما حولها إلى بيئة محلية ذات أهمية كبيرة في المجتمع ، ومما لاشك فيه فان للمعلمة دورا بارزا في أداء الرسالة .

مشكلات المعلمات في مدارس
المرحلة الابتدائية

المرشدة التربوية سميرة ظاهر محمد
ثانوية فاطمة الزهراء (عليها السلام) للبنات

الملخص :

أصبحت التربية الحياة نفسها ولم تعد تعني تلقين المعلومات كما لم تعد مجرد إعداد للحياة المستقبلية فالمرحلة المستقبلية تمثل مرحلة البناء النفسي والمعرفي لدى الطلبة بكل جوانبه لذا فهي محصلة أو دالة تأثير في كل الجوانب التي يعيشها الطالب في أثناء حياته في تلك المرحلة .

ومن الضروري التركيز على مشكلات المعلمات في المدارس الابتدائية وعلى كيفية الأداء والإعداد بأسلوب التوافق مع المدرسة لتقليل تدني دوافع المعلمات في تكيفهم السلبي او الايجابي وتحديد حجم المتطلبات النوعية المؤهلة لهن بشكل واقعي التي تؤدي الى استيعاب القيم التربوية والأخلاقية والسلوكية مما يجعل النظام التربوي التعليمي كاملا حيويا لتطور المجتمع وتعزيز مكانته .

لذا يمكن القول ان التركيز على أسباب القوة والضعف في حجرات الدراسة يعتمد على كيفية مواجهة هذه العقبات والمشكلات .

وهذه النظرة الاجتماعية للتربية تطلبت امتداد عمل المدرسة الى ابعد من واجبها التعليمي مما حولها إلى بيئة محلية ذات أهمية كبيرة في المجتمع ، ومما لاشك فيه فان للمعلمة دورا بارزا في أداء الرسالة .

وتتضح طبيعة هذه المشكلات من خلال تحديد أبعادها ودوافعها التي تعاني منها المعلمات في المدارس الابتدائية والوقوف على تهيئة أسباب نجاح المؤسسات التربوية من تحقيق أهدافها التربوية ومدى استمرارية المعلمة في التعليم وتفوقها في التدريس .

(١)

التعريف بالبحث

١- مشكلة البحث

٢- أهمية البحث

٣- إهداف البحث

٤- حدود البحث

٥- تحديد المصطلحات

مشكلة البحث

تعتبر مهنة التدريس من المهن الفنية الدقيقة التي تحتاج الى إعداد جيد يتوفر بها مقومات خاصة في من يقوم بها ، إذ إنها ليست مجرد عمل يمارسه أي فرد أو كل فرد حسبما توفرت لديه قدرة ولكنها مهنة لها أصولها وعلم له مقوماته .[١]

فالمعلم هو أفضل من يقوم بهذه المهمة على أكمل وجه ، ولاسيما بعد أن تغيرت نظرة المجتمع الى المدرسة من كونها مؤسسة تعليمية بحتة ، إلى اعتبارها مؤسسة اجتماعية وتربوية شاملة .[٢]

---

[١] الجبوري ، بناء مقياس مقنن لمعلمي المرحلة الابتدائية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٧ .

[٢] الجبوري ، نفس المصدر السابق ، ص ٢٢ .

ان هذه المهام التي تقع على عاتق المعلم او المدرس تعتبر مسؤولية كبيرة ازاء التحديات التي يواجهها ضمن التغيرات الاجتماعية ومن هـذه التغيرات او التحديات التي تواجه معظم المجتمعات بشكـل عام والـوطن العربي بشكل خاص نذكر منها تحدي التخلف والاستعمار بأشكاله كافة .[٣]

كما يتأثر المعلم بالأوضاع السائدة في المجتمع وفي اختيار طبيعـة التدريس في الزمان والمكان الذي يناسبه لذلك تعتبر مشكلة المعلمـة فـي المدارس الابتدائية غاية في الأهمية لأنها في المجتمعات الناميـة تواجـه مشكلات كثيرة ومتعددة قد لا يوجد مثلهـا فـي المجتمعـات المتقدمـة ، فالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية السريعة قـد تحـدث تـأثيرا مهمـا ، والأحداث الأخيرة التي مر بها بلدنا العزيز وما رافقها من أزمات وضغوط كان لها تأثير كبير في شخصية الفرد بشكل عام والمعلم بشكل خـاص ، وهذا قد ينسحب بشكل أو بآخر على دور المعلمة في المدارس الابتدائيـة وعلى طبيعة تدريسها وقد تكون عرضة لضعف توافقها فـي عملهـا ، فالشخص الراضي عن كل ما يتعامل معه يكون متوافقا مع محيطه وهـذا ينعكس بدوره على مختلف نشاطاته .[٤]

أجابت بعض الدراسات عن طبيعة هذه المشاكل كما فـي دراسـة[٥] التي أوضحت بان معظم المشاكل الخاصة بمعلمة رياض الأطفال ترجـع

---

[٣] الجبوري ، نفس المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

[٤] الجعافرة ، دراسة مقارنة في التفكير ألابتكاري ودوافع الانجاز الدراسي والتوافـق النفسي لدى الطلبة المتفوقين ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص٦ .

[٥] بهادر، منشورات دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٩ ، ط١

الى أسباب كثيرة يتوجب علينا تحليلها بشكل مستفيض . لذا يمكن القول إن التركيز على أسباب القوة والضعف في حجرات الدراسة يعتمد على كيفية مواجهة هذه العقبات والمشكلات .

وهذه النظرة الاجتماعية للتربية تطلبت امتداد عمل المدرسة إلى ابعد من واجبها التعليمي مما حولها إلى بيئة محلية ذات أهمية كبيرة في المجتمع ، ومما لاشك فيه فان للمعلمة دورا بارزا في أداء هذه الرسالة[٦] .

وتتضح طبيعة هذه المشكلات في تحديد أبعادها ودوافعها التي تعاني منها المعلمات في المدارس الابتدائية والوقوف على تهيئة أسباب نجاح المؤسسات التربوية من تحقيق أهدافها التربوية ومدى استمرارية المعلمة في التعليم وتفوقها في التدريس .

وهذا ما يلخص مشكلة البحث الحالي من التساؤل الآتي :

هل توجد مشكلات تتعلق بالمعلمات العاملات في المدارس الابتدائية ؟

أهمية البحث

أصبحت التربية هي الحياة نفسها ولم تعد مجرد عملية تلقين المعلومات كما لم تعد مجرد إعداد للحياة المستقبلية كما أكد العالم الانكليزي هربرت سبنسر في نظريته (إن التربية إنما هي إعداد للحياة الكاملة) .[٧]

---

[٦] جابر ، نظريات التعلم ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٧ .

[٧] ابو جادو ، علم النفس التربوي ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٣

وبهذا فان التعليم أداة التربية الرئيسة بمعناه السليم فهو نشاط فعال يستهدف تربية الفرد وتنميته ليكون مواطنا قادرا لكي يتفاعل بايجابية مع مؤثرات البيئة الطبيعية والاجتماعية ويشعر في التأثير على نموه في التطور .[٨]

فالمرحلة الابتدائية تمثل مرحلة البناء النفسي والمعرفي لدى الطالب بكل جوانبه فهي محصلة او دالة تأثير في كل الجوانب التي يعيشها الطالب في أثناء حياته في تلك المرحلة لذلك قيمة المشكلات المعلمة في المدارس الابتدائية في توافقهما السلبي أم الأيجابي مع متطلبات العصر الحديث وتحدياته المتجددة الذي يجعل منهم أعضاء فاعلين في مسيرة المجتمع .[٩]

ان عزوف الشباب عن مهنة التدريس كما تشير الإحصائيات في المؤتمرات والندوات التربوية بسبب انخفاض الحافز المعنوي والمادي مقارنة بالمهن الأخرى قد دفع الإناث في الدول النامية إلى التقديم للمهن التدريسية ومع ذلك ظهرت بوادر مشكلات المعلمات في مدارس البنين وهذا ما لمسناه في الآونة الأخيرة في بلدنا العزيز .

وتتضح أهمية البحث الحالي التركيز على مشكلات المعلمات في المدارس الابتدائية وعلى كيفية الأداء والإعداد بأساليب التوافق مع المدرسة من تقليل وتدني دوافع المعلمات في تكيفهم السلبي او الايجابي وتحديد حجم

---

(٨) البهادلي ، قياس الاتزان الانفعالي لمدرسي المرحلة المتوسطة ومدرستها ، البصرة ، ١٩٨٩ ، ص ٤

(٩) الدباغ ، دراسة مقارنة في التحصيل الدراسي والتوافق النفسي ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص٣ السيد ، المواقف الصحية والنفسية في الصناعة ، ١٩٨٢ ، ص ٣٢٨ .

المتطلبات النوعية المؤهلة التي تصبح واقعية علة استيعاب القيم الأخلاقية والسلوكية ، مما يجعل النظام التربوي التعليمي كاملا حيويا لتطور المجتمع وتقرير مكانته .

أهداف البحث :-

يهدف البحث الحالي الى التعرف على :-

١- مستوى المشكلات التي تتعرض لها المعلمات في المدارس الابتدائية .

٢- الفروق الإحصائية في معلمات الصفوف (الاولى ــ الثانية ــ الثالثة) ومعلمات الصفوف (الرابعة ــ الخامسة ــ السادسة) .

حدود البحث

يقتصر البحث الحالي على عينة من المعلمات العاملات في المدارس الابتدائية وللمراحل كافة للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨.

تحديد المصطلحات

١- المشكلة :

أ- عرفها القاموس الانكليزي[١٠]

هي قضية مطروحة للمناقشة والجدل العلمي .

ب-عرفها الموسوي[١١]

أي موقف مهم او مربك حقيقي او اصطناعي بحيث يحتاج الحل الى تفكير تأملي .

---

(١٠) القاموس الانكليزي ، ٢٠٠٥ ، ص١٠ .

(١١) الموسوي ، منهج طرائق التدريس ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠٠٥، ص٢٣٣ .

جـ - عرفها نجار وآخرون[١٢]

أي قضيــة محيرة حقيقيــة ام اصطناعيــة يتطلب حلهــا اعمــال الفكــر .

د- عرفها بيتر[١٣]

إنها قضية مطروحة للحل كأن تكون قضية أو حالـــة محيــرة أو قضية شخصية .

٢ - مشكلات المعلمات :

أ- عرفها بهادر :

بأنهــا المشكــلات الفنيــة التي تعنــي كــل مــا يتـصــل بعمــل المعلم أو المعلمـــة من النواحي المهنية والتربوية والذي يشكــل جــوهر العملية التربوية ويستلــزم البحـــث عـــن طبيعــة المــشاكــل التــي تواجههــا .[١٤]

٣ - المعلم :

أ- عرفه العجيلي :

هو حجر الأساس في العملية التعليميــة اينمــا وجــد حيــث هــو العمود الفقري لكــل عمليــة تعليميــة وانــه امتــداد انــساني وعلمــي لادارة المدرسة .[١٥]

---

[١٢] نجار وآخرون ، ٢٠٠٥ ، ص١٥٦ .

[١٣] بيتر ، ٢٠٠٦، ص٨٨ .

[١٤] بهادر ، منشورات دار البحوث العلمية ، كويت ، ١٩٧٩م ، ط ١، ص١٣ .

[١٥] العجيلي ، مشاركة المدرسين في الادارة المدرسية ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ط١ .

٤- **المدرسة :**

أ- عرفتها الغريب[١٦]

هـــي الاداة التي تعمل مـــع الاســـرة علـــى تربيـــة الطفـــل اذ هـــي اداة صناعية غير طبيعية اذا قورنت بالاسرة فهي ناجحـــة فـــي مكانهـــا يجد الطفـــل بعضويته مع زملائه واقرانه ويتعلـــم منهـــم فـــي مجتمعـــه الخاص به .

ب- عرفه كتاب الدليل

مجتمعا يضم أطفالا متعددي الأعمار وهم على اتصال دائم ببعضهم سواء اكان داخل قاعة ام خلال الفرص وان كثيرا من المدرسين قد بنـــوا علاقات حميمة مع بعض هؤلاء الطلبة .

(٢)

الدراسات السابقة

دراسات عربية

١- دراسة المنصوري (١٩٦٨)[١٧]

(الرضا عن العمل بين معلمي ومعلمات المدرسة الابتدائية فـــي مدينـــة بغداد وضواحيها) .

أجريت الدراســـة في بغـــداد وكان الهدف منها تحقيـــق الغرضـــين الآتييـــن :

---

(١٦) الغريب ، التقويم والقياس النفسي والتربوي ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

(١٧) المنصوري ، الرضا عن العمل بين معلمي ومعلمات المدارس الابتدائية في مدينة بغداد وضواحيها ، بغداد ١٩٦٨ ، ص٣٥ .

١- التحقق من مدى صحة وجود الزعم القائل بان معلمي المدارس الابتدائية ومعلماتها بوجه عام كارهون لعملهم ، راغبون عنه ، نافرون منه وهم باقون فيه ريثما يجدون خير منه او يحالون على التقاعد .

٢- الوقوف على العوامل المباشرة وغير المباشرة التي جعلت المشتغلين بمهنة التعليم كارهين لعملهم .

بلغت العينة (٥٨٩) من (٥٤) مدرسة بنين و(٩٢) مدرسة بنات ولتحقيق اهداف البحث تم استعمال تحليل التباين للتعرف على الفروق من كل بعد من الابعاد الموجودة في الاداة المستخدمة في الدراسة واظهرت النتائج الآتية :

ان نسبة الرضا لدى المعلمين (٥٥%) ولدى المعلمات (٦٨,٤%) ونسبة المعلمين الذين لم يحددوا مواقفهم بوضوح (حائرين) فكانت (٤٤,٣ %) وبالنسبة للمعلمات (٣١,٣ %) وهي نسبة لها اعتبارها .

وقد اظهرت الدراسات اجمالا ان مهنة التعليم بوصفها الحالي لا تقابل بالاستياء ممن يشتغلون فيها وقت اجراء الاستفتاءات وان المعلمات اكثر رضا عن المهنة من المعلمين وقد أجملت الدراسة زيادة الرضا في خمسة اسباب تتعلق بملائمة المهنة بطبيعة المرأة والجو المدرسي السائد والنواحي المادية وظروف المهنة ونظرة المجتمع الى المرأة العاملة فضلا عن بعض العوامل التي لم يرضى المعلمون والمعلمات عنها في المهنة .

٢ - دراسة علي (١٩٧٧)

مشكـــلات المعلميــن المبتدئين والأساليــب الإشرافية المـــستخدمـــة في حلهـــا .

أجريت الدراسة في العـــراق وكان هدفها معرفة طبيعة المشكـــلات ونوعها كما يراها المعلمون المبتدئون أنفسهم تبعا للجنس ومواقع المدارس والأساليب الإشرافية المستخدمة لحل مشكلات المعلمين المبتدئين . وبلغت العينة ٣٦٣ من ٣٥٠ معلما و١٤٢ معلمة بواقع المدارس (١٠٩) للبنين (٥٢) للبنات ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام الاستفتاء حول مـــشكـــلات المعلمين وقد أظهرت النتائج بان المشكلات توزعت في خمسة مجالات هي الادارية والتعليمية والشخصية والاجتماعية ومشكلات الإشراف التربـــوي وتبين ايضا بانه لاتوجد فروقات كبيرة بين المعلمين والمعلمات بالمشكلات العامة ولكن هناك فروقات في مجال المشكلات الشخصية أي انه لاوجـــود لتأثير الجنس بذلك .[١٨]

٣- دراسة إبراهيم (١٩٩٧)

(صعوبات التدريس والمعلمين والمشرفين في مشروعي محو الأمية الإلزامي في قضاء المحمودية وحلولهم المقترحة لها) .

أجريت الدراسة في بغداد وهدفت الى التعريف على الصعوبات التي يواجهها الدارسون والمعلمون والمشرفون تبعـــا للجنس وما هي الحلـــول

---

[١٨] علي ، مشكلات المعلمين المبتدئين والأساليب الإشرافية المستخدمة فـــي حلهـــا ، بغداد ، ١٩٧٧ . ص٧٣ .

المناسبة لها وقد بلغت العينة (٧٠) فردا منهم (٥٥) دارسة (١٥) دارسا موزعين على مركز القضاء والنواحي والقرى التابعة لها بينما عينتا المعلمين والمشرفين فقد بلغت (٢٠٠) معلم (٦٠) مشرفا ولتحقيق هذا الهدف استعمل الباحث T-TEST وقد أظهرت النتائج ان الصعوبات الحادة للمعلمين فقط (٤٠) صعوبة كما يأتي :

١. وجود مشاكل متعلقة بالمعلمين والدارسين في محو الامية .
٢. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الدارسين الأكبر سنا والأصغر سنا عائدة الى الاكبر سنا .
٣. الانشغال بالأعمال النسبية يعيق الدوام في مراكز محو الامية .[١٩]

٤- دراسة الموسوي (٢٠٠٦) .

(الإخلاص في الأداء الوظيفي لدى معلمي المرحلة الابتدائية وعلاقته بالجنس والتأهيل والرضا الوظيفي) .

أجريت الدراسة في بغداد وهدفت إلى التعرف إلى مستوى الإخلاص في الأداء الوظيفي لدى معلمي المرحلة الابتدائية ومعرفة مدى إسهام كل من (الجنس ، التأهيل ، الرضا الوظيفي) في درجات الإخلاص وبلغت العينة (٣٠٠) معلم ومعلمة بواقع ٦٠ معلما و ٢٤٠ معلمة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية الطبقية ولتحقيق أهداف البحث اعتمد الباحث مقياس الرضا الوظيفي المعد من قبل الخزرجي ٢٠٠٢م والهدف الثاني اعد الباحث مقياسا من ٦ مجالات وقد أظهرت النتائج ما يأتي :

---

[١٩] دراسة الموسوي ، منهج طرائق التدريس ، الأردن ، ٢٠٠٦

ان مستوى الإخلاص في الأداء الوظيفي لدى المرحلة الابتدائية في بغداد ضعيف ودون المستوى المطلوب في حين كان المستوى الوظيفي لهم عاليا جدا سابقا .

(٣)

اجراءات البحث

أولا : مجتمع البحث

ثانيا : عينة البحث

ثالثا : أدوات البحث

رابعا: التطبيق النهائي

خامسا: الوسائل الإحصائية

إجراءات البحث

أولا : مجتمع البحث

لما كانت الدراسة الحالية محددة للمعلمات في المدارس الإبتدائية في مدينة بغداد للسنة الدراسية (٢٠٠٧-٢٠٠٨م) . والمحدد حسب الدراسة الحالية يتوزعون حسب مدارسهم فقد تألف مجتمع البحث من (٢٤٣٨١) معلمة* موزعين بحسب مديريات بواقع (١١٧٥٥) معلمة في الكرخ و(١٢٦٢٦) معلمة في الرصافة ويتضح ذلك في الجدول (١) .

---

* تم الحصول على اعداد المعلمات من شعب التخطيط في المديريات العامة لتربية الكرخ الثانية والثالثة والرصافة الثانية والثالثة .

جـــدول (١)

مجتمع البحث موزع بحسب المديرية والجنس

المديرية	المنطقة	الجنس	العدد	المجموع
الكـــرخ	الثانيـــة	الإنـــاث	٥٦٧٥	١١٧٥٥
	الثالثـــة	الإنـــاث	٦٠٨٠	
الرصافـــة	الثانيـــة	الإنـــاث	٦٦١١	١٢٦٢٦
	الثالثـــة	الإنـــاث	٦٠١٥	
المجمـــــوع				٢٤٣٨١

ثانيـــا : عينة البحث :

تم أختيار العينة بالطريقة القصدية نظرا لما تتطلبه الدراسة الحاليـــة التي بلغت (٤٠) معلمة من جنس الإناث .

ثالثـــا : أدوات البحث :

لمـــا كـــان البحث الحالي يرمـــي الـــى التعـــرف علـــى مـــستوى مشكـــلات المعلمات في المدارس الابتدائية لذلك تم اعـــداد المقياس لقياس مشكـــلات المعلمات الذي تم تطبيقه على معلمات المدارس للعام الدراسي ٢٠٠٧م بعد التأكد من استخراج الخصائص السايكومترية له .

(٤)

عرض النتائج ومناقشتها

أولا : عرض النتائج ومناقشتها

ثانيا : الإستنتاجات

ثالثا : التوصيات

رابعا : المقترحات

سيتم في هذا الفصل عرض النتائج التي تم التوصل اليها خلال الدراسة الحالية ومناقشتها .

١- النتائج الخاصة بالهدف الاول :

تحقيقا للهدف الاول من اهداف البحث الحالي الذي يهدف الى التعرف على مشكلات المعلمات في مدارس المرحلة الابتدائية حسب متغير الجنس (الانثى) فقط لذا لجأت الباحثة الى استخدام الاختبار التالي (T . test) لعينة واحدة وتم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة ويتضح ذلك في الجدول (٢) .

جدول (٢)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة للنتائج

العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية	التباين	درجة الحرية	مستوى الدلالة
٤٠	٧١,٩٧	١٤,٠٧	٣٢,٣٥	٣,٤٦٠	١٩٧,٩٧	٣٩	٠,٠٠٠١

وقد أظهرت النتائج للأختبار التالي لعينة واحـــدة ان القيمـــة التائيـــة المحسوبة دالة احصائيا عند مستوى دلالة (٠,٠٠٠١) عند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغ قيمتها (٣,٤٦٠) وبدرجة حرية (٣٩) حيث بلغـــت القيمـــة التائية ٣٢,٣٥ بمتوسط حسابي (٧١,٩٧) أكبر من القيمة الجدولية مما يدل على وجود مستوى مشكلات المعلمات مرتفع ويمكن تفسير هذه النتيجـــة على إن المعلمات قد وصلن الى مستوى من المشكلات التي مكنتهن مـــن ذلك الوضع وذلك نتيجة الأوضاع التي يمر بها البلد ، فهنالك الكثير مـــن الضغوطات التي تتعرض لها المعلمة العراقية بشكل خاص قد تكون غيـــر مألوفة سابقا بهذه الدرجة في حياة المجتمع بصورة عامة . مما ادى الـــى صعوبة ايجاد سبل ناجحة للتوافق مع هذه المشكلات والـــضغوط ، وهـــذا ينسحب على المعلمين والعملية التربوية والمدرسة بصورة متباينـــة تبعـــا لتباين هذه الضغوطات وبالنسبة للمناخ بأشكاله المختلفـــة التـــي لا يمكـــن فصلها عن الضغوط التي يمر بها البلد ، ولعدم إنضباط الدوام المدرســـي وحالات التهجير القسري كل هذه ألقت بظلالها علـــى الحيـــاة المدرســـية واليومية ، مما أظهر حالة من سوء التوافق وظهور من هذه المشكلات .

٢- النتائج الخاصة بالهدف الثاني :

للتعـــرف على فـــروق مستوى المشكـــلات بين معلمات الصفـــوف (الاولى – الثانية – الثالثة) ومعلمات الصفوف (الرابعة – الخامـــسة – السادسة) لجأت الباحثة الى إستخدام الإختبار التـــائي (t . test) لعينـــة واحدة وتم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة ويتضح ذلك في الجدول (٣) .

جدول (٣)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة للنتائج

العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة
٢٠	٧١,٦٠	١٣,٢	٢٤,١٤	٣,٤٦٠	١٩	٠,٠٠٠١
٢٠	٧٢,٣	١٥,١٧	٢١,٣٢	٣,٤٦٠	١٩	٠,٠٠٠١

وقد أظهرت نتائج الاختبار التائي لعينة واحدة في مقارنة المتوسط الحسابي الأول والبالغ عدده (٧١,٦٠) مما يدل أن لمعلمات الصفوف (الأولى ــ الثانية ــ الثالثة) أصغر من المتوسط الحسابي والبالغ عدده (٧٢,٣) لمعلمات الصفوف (الرابعة ــ الخامسة ــ السادسة) مما يدل على إن المجموعة الثانية هي أعلى مستوى من المشكلات لدى المعلمات العاملات في المدارس الإبتدائية وهذا شيء طبيعي كلما زادت المسؤولية زادت المشاكل .

ولغرض تحقيق الهدف الثاني في البحث ارتأت الباحثة الى إستعمال الوسط المرجح لكل فقرة من فقرات مشكلات المعلمات من خلال الكشف عن جوانب القوة والضعف في المشكلات ، والجدول (٤) يوضح ذلك .

جدول رقم (٤)

ت	الفقرات	الوسط المرجح
١	ازدحام الصفوف بالتلاميذ	٢,٧
٢	التنقلات المفاجئة بالملاك	٢,٥
٣	عدم وجود إجازة زمنية مؤقتة	٢,٤
٤	المشكلات الانضباطية التي يثيرها التلاميذ	٢,٥
٥	تدخل الاشراف التربوي في عمل المعلم	١,٦
٦	قلة وسائل الايضاح في المدرسة	٢,٥
٧	عدم صلاحية صف التدريس	١,٧
٨	بناية المدرسة تقع في منطقة يصعب الوصول اليها	١,٥
٩	ضعف تعاون أولياء الأمور مع المعلمة	٢,٦
١٠	دوام التلاميذ المصابين بامراض معدية	١,٨
١١	إفتقار المدرسة الى المرشد التربوي	٢,٧
١٢	المعلمة تشكو الأهمال	٢,٥
١٣	كثرة اجازات المعلمات مما يتطلب القيام بواجبهن من قبلي	٢،٠٧
١٤	فقدان الانسجام والتعاون بين المعلمات	١,٤
١٥	كثرة مشكلاتي العائلية	١,٦
١٦	تأخر التلاميذ صباحا وعدم مواضبتهم على الدوام	٢,٢
١٧	لا يزور مسؤول الصحة المدرسية المدرسة	٢,٢
١٨	ضعف تعاون لإدارة المدرسة مع المعلمات	١,٦
١٩	قلة تثمين الإدارة للجهود التي أبذلها	١,٧

٢٠	شدة محاسبة المدير للمعلمات	٢,٠
٢١	كثرة ساعات الدوام اليومي	٢,٢
٢٢	عدم توفر قاعة مكتبة خاصة بالمدرسة	١,٦
٢٣	سوء معاملة المشرف التربوي للمعلمات	١,٤
٢٤	صعوبة التفاهم والانسجام مع المدير	١,٥
٢٥	تحيز الادارة نحو بعض المعلمات	١,٨
٢٦	الشعور بالاجهاد والملل من التلاميذ	٢,٣
٢٧	السلوك العدواني لدى لعض التلاميذ	٢,٥
٢٨	تلفظ بعض التلاميذ بكلمات لاتدل لى انهم تلاميذ مدرسة	٢,٤
٢٩	كثرة غيابات بعض التلاميذ	٢,٤
٣٠	قلة الراتب قياسا للجهد المبذول	٢,٧
٣١	البناية غير صالحة كمدرسة	١,٥
٣٢	قلة عدد المعلمات	٢,٢
٣٣	ضعف المستوى التحصيلي للتلاميذ يؤثر على ادائي	٢,٤
٣٤	الجدول المدرسي غير منسق بشكل يلبي طموح الجميع	٢,٣

يبدو من الجدول (٤) ان بعض فقرات الاستبيان تحصلت على درجة اقل من الوسط النظري البالغ ٢ والفقرات هي :

١-تدخل الأشراف التربوي في عمل المعلم .

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٦ ويبدو ان تدخل الاشراف في عمل المعلم لم ترضِ المعلمات وقد يعود السبب الى احساس المعلمات بالضيق والملل اجراء الروتين الذي يعود الى مر السنين .

٢- عدم صلاحية صف التدريس .

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٧ وهذه المشكلة الواضحة لطالما نراها ونسمعها .

٣-بناية المدرسة تقع في منطقة يصعب الوصول اليها .

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٥ وغالبا ما يؤثر على راحة المعلمات في عدم وجود أي وسائط النقل .... الخ .

٤-دوام التلاميذ المصابين بامراض معدية .

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٨ وهذا يعني افتقار بعض الاهالي واولياء الامور الى الوعي الصحي مما يؤدي الى خلق جو من التوتر لدى بعض المعلمات .

٥- فقدان الانسجام والتعاون بين المعلمات

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٤ وهذا يعني إن عدم تبادل الثقة بين المعلمات باتت أن تكون صعبة بسبب عدم التعاون بينهن في الخبرات والاطلاع والتعامل بادنى الحالات بشكل متفاوت .

٦ - كثرة مشكلاتي العائلية

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٦ اصبحت هذه المشكلة المهمة فهنالك الكثير من الضغوطات التي تتعرض لها

الاسرة العراقية بشكلٍ عــام قــد تكون غير مألوفة سابقــا بهذه الدرجــة في حياة المجتمع بصورة عامــة والمعلمة بصورة خاصة لذا لابــد مــن تجاوزهــا .

٧ - **ضعف تعاون الادارة المدرسية مع المعلمات**

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٦ ويرجع السبب في هــذا الى صعوبة التكيف في استراتيجية الادارة مع متطلبات المعلمات وبالتــالي تكون مخرجاتها سلبية .

٨- **لا تتوفر قاعة مكتبة في المدرسة .**

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٦ هذا يعني ان المعلمات بحاجة حقيقية الى المكتبة للاطلاع وافادة التلاميذ كجزء من عملهن وكجزء منم للتغذية الراجحة .

٩- سوء **معاملة المشرف التربوي للمعلمات .**

تحصلت هذه الفقــرة علــى وســط مــرجح ١,٤ وكمــا قلنــا ان الاحســاس ببعض الضيــق لــدى المعلمات هي عــدم اعطــاء القيمــة التقديرية للمعلمات .

١٠- **صعوبة التفاهم والانسجام مع المدير**

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٥ ويبدو ان معظم المشاكل هي ادارية مع المسؤولين لعدم التناسق والتكيف مع اساليب المدراء .

١١- **تحيز الادارة نحو بعض المعلمات .**

تحصلت هذه الفقرة على وسط مرجح ١,٨ ان افتقار الاتصال لكــل المعلمات يسبب فجوة وتحيزوهذا ما يعاني منهن بعض المعلمات .

المقترحات :

١- إجراء دراسة مماثلة عن مشكلات التدريسيين للمرحلة المتوسطة

٢- القيام بدراسة العلاقة بين مشكلات المعلمات والحلول المقترحة لها .

٣- إجراء دراسة مماثلة بين ذوي المشكلات الكبيرة وذوي المشكلات الصغيرة .

أولا : المصادر العربية :

ـ القران الكريم ـ

١- ابو جادو ، صالح محمد علي ، علم النفس التربوي ، الطبعة الثانية ، عمان ، الاردن . دار الميسرة ، ٢٠٠٠ .

٢- البهادلي ، امل مهدي جبر ، قياس الاتزان الانفعالي لمدرسي المرحلة المتوسطة ومدرسيها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ١٩٨٨ .

٣- بهادر ، سعدية محمد علي ، منشورات دار البحوث العلمية ، ط١ ، الكويت ، ١٩٧٩ .

٤- جابر عبدالحميد جابر ، نظريات التعلم ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م .

٥- الجعافرة ، اسمى عبد الحافظ خلف ، دراسة مقارنة في التفكير الابتكاري ودافع الانجاز الدراسي والتوافق النفسي لدى الطلبة المتفوقين في برامج تربوية متباينة في الاردن ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠١م .

٦- حسين منصور ، ملامح التطور التعليمي في المجتمع العربي ، القاهرة ، مصر ١٩٧٩م .

المقترحات :

١- إجراء دراسة مماثلة عن مشكلات التدريسيين للمرحلة المتوسطة
٢- القيام بدراسة العلاقة بين مشكلات المعلمات والحلول المقترحة لها .
٣- إجراء دراسة مماثلة بين ذوي المشكلات الكبيرة وذوي المشكلات الصغيرة .

أولا : المصادر العربية :

ـ القران الكريم ـ

١- ابو جادو ، صالح محمد علي ، علم النفس التربوي ، الطبعة الثانية ، عمان ، الاردن ، دار الميسرة ، ٢٠٠٠ .

٢- البهادلي ، امل مهدي جبر ، قياس الاتزان الانفعالي لمدرسي المرحلة المتوسطة ومدرسيها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ١٩٨٨ .

٣- بهادر ، سعدية محمد علي ، منشورات دار البحوث العلمية ، ط١ ، الكويت ، ١٩٧٩ .

٤- جابر عبدالحميد جابر ، نظريات التعلم ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م .

٥- الجعافرة ، اسمى عبد الحافظ خلف ، دراسة مقارنة في التفكير الابتكاري ودافع الانجاز الدراسي والتوافق النفسي لدى الطلبة المتفوقين في برامج تربوية متباينة في الاردن ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠١م .

٦- حسين منصور ، ملامح التطور التعليمي في المجتمع العربي ، القاهرة ، مصر ١٩٧٩م .

٧- حمدان ، محمد زياد ، تطوير منهج استراتيجيات تدريسية ومادة التربيـــة المساعدة ، عمان ، الاردن ، دار الملايين ، ١٩٨٥م .

٨- الداهري ، صالح احمد حسن ، الارشاد التربوي والتوجيه ، وزارة التعليم العالي دار الحكمة للطباعة والنشر ، جامعة البصرة ، ١٩٩١م .

٩- الدباغ ، ثائر فاضل عبد علي ، دراسة مقارنة في التحصيل الدراســي والتوافق النفسي والجنس بين ذوي التفكير الابداعي العالي والواطئ لدى طلبة المرحلة الثانوية .

١٠- السيد محمود ابو النيل ، المواقف الصحية والنفسية في الـــصناعـــة فـــي قراءات علم النفس الصناعي ، دار المعارف ، ١٩٨٢م .

١١- ظاهر . زكريا محمد ، مبادئ القياس والتقويم في التربيـــة ،دار الثقافـــة والنشر ، عمان ، ١٩٩٩م .

١٢- العجيلي ، عيسى صالح ، مشاركة المدرسين فـــي الادارة المدرســية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٢م .

١٣- الغريب ، رمزية ، التقويم والقياس النفسي والتربوي ، مكتبة الانجلــو ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

١٤- القاسم ، بديع محمود والرضا عبد الزهرة باقر والعبيدي ، خالد سلمان ، التعليم الابتدائي ط٩ بغداد ١٩٩٧م .

١٥- ماير نورمان ، علم النفس في الصناعة .ت محمد عماد الدين إسماعيل ، القاهرة . مؤسسة الحلبي . ١٩٦٧م .

١٦- الموسوي ، عبد الله ، منهج طرائق التدريس ، عالم الكتب الحديث اربد ، الأردن ٢٠٠٥م .

ثانيا : المصادر الأجنبية :

1- International Dictionary of Education , Mc. Craw Hill, New York . 1977
2- Allen and Yen ,Introduction to measurement ,1979, p.95
3- Martin ,J.D. Social psychology , North Western University . 2000

الملحق الاول

عزيزتي المعلمة : ---------------

عزيزي المعلــم : ----------------

تحية وتقدير

بين يديك مجموعة من الفقرات التي تعبر عن مواقف مختلفة يمــر بهــا المعلمين والمعلمات ، والمطلوب منك عزيزي المعلم ، عزيزتي المعلمــة هو بيان رأيكم في كل هذه الفقرات ، حيث لاتوجد اجابة صحيحة أو اجابة خاطئة فالمهم هو الاجابة عنها بشكل موضوعي من خلال وضعك علامة ( ) امام البديل الذي تراه مناسبا . وان اجابتكم لن يطلع عليهــا ســوى الباحث ، الرجاء عدم ترك أي فقرة بدون جواب لطفا .

الجنس : ذكر □ انثى □

شكرا لتعاونكم

الباحثة

سميرة ظاهر محمد

الملحق الثاني

ت	الفقرات	تنطبق علي	تنطبق الى حد ما	لا تنطبق
١	إزدحام الصفوف بالتلاميذ			
٢	التنقلات المفاجئة بالملاك			
٣	عدم وجود اجازة زمنية مؤقتة			
٤	المشكلات الانضباطية التي يثيرها التلاميذ			
٥	تدخل الاشراف التربوي في عمل المعلم			
٦	قلة وسائل الايضاح في المدرسة			
٧	عدم صلاحية صف التدريس			
٨	بناية المدرسة تقع في منطقة يصعب الوصول اليها			
٩	ضعف تعاون اولياء الامور مع المعلمة			
١٠	دوام التلاميذ المصابين بامراض معدية			
١١	إفتقار المدرسة الى المرشد التربوي			
١٢	المعلمة تشكو الاهمال			
١٣	كثرة اجازات المعلمات مما يتطلب القيام بواجبهن من قبلي			
١٤	فقدان الانسجام والتعاون بين المعلمات			
١٥	كثرة مشكلاتي العائلية			
١٦	تأخر التلاميذ صباحا وعدم مواضبتهم على الدوام			
١٧	لا يزور مسؤول الصحة المدرسية المدرسة			

	المدرسة			
١٨	ضعف تعاون الادارة المدرسية مع المعلمات			
١٩	قلة تثمين الادارة للجهود التي ابذلها			
٢٠	شدة محاسبة المدير للمعلمات			
٢١	كثرة ساعات الدوام اليومي			
٢٢	عدم توفر قاعة مكتبة خاصة بالمدرسة			
٢٣	سوء معاملة المشرف التربوي للمعلمات			
٢٤	صعوبة التفاهم والانسجام مع المدير			
٢٥	تحيز الادارة نحو بعض المعلمات			
٢٦	الشعور بالاجهاد والملل من التلاميذ			
٢٧	السلوك العدواني لدى بعض التلاميذ			
٢٨	تلفظ بعض التلاميذ بكلمات لا تدل على أنهم تلاميذ مدرسة			
٢٩	كثرة غيابات بعض التلاميذ			
٣٠	قلة الراتب قياسا للجهد المبذول			
٣١	البناية غير صالحة كمدرسة			
٣٢	قلة عدد المعلمات			
٣٣	ضعف المستوى التحصيلي للتلاميذ يؤثر على ادائي			
٣٤	الجدول المدرسي غير منسق بشكل يلبي طموح الجميع			

جمالية المشهد

قراءة في المُدْرَك الحسّي للصورة في شعر السياب

الدكتور إياد عبد الودود عثمان الحمداني

كلية التربية ـ جامعة ديالى

الملخص :

ينقلنا البحث في المشاهد بوضوح الى عوالم تداخل الأجناس ، والمشهد مصطلح سينمي يحيل على المعاينة ، يوظَّفُ في الأعمال الأدبية ليؤدي دورا آخر يرتبط بالتوليف (montage) ، وقد وجد البحث أن الاستعارة هي مركز الاستقطاب الأول الذي يحقق عملية التداخل بين جنس الشعر وجنس السينما ولاسيما الاستعارة التمثيلية بالمفهوم العربي ، وما تطلقه من إشارات غالبا ما تقترن بمشاهد متحركة تتمكّن فيه من إحداث متعة متميزة في سياقات ورودها ، وقد اعتمد البحث على ما تَكوَّنَ من فهم لمصطلح علم الجمال (Aesthetics) الذي يرتبط بدراسة الجمال والإدراك الحسي ، وتَوَدُّ الإشارةُ هنا إلى إنه لا يمكن تصوّر عمل جميل واحد من دون الخضوع للمقاييس الذاتية النسبية !، إذ تقوم إجراءات البحث على الفهم الذاتي للجمال ، ومحاولة الكشف عن (خبث) النص الحديث الميّال الى الغموض ؛ فالوظيفة الأهم في التصوير هي التغريب المتولّد من الترابط بين العقل والحواس .

تعدّ الاستعارة نتيجة حتمية من نتائج التعبير الشعري فهي بؤرة جمالية مركّبة (على مستوى النص) من مفهومين جماليين أساسيين، هما :

التعبير ، والصورة ؛ إذ يرى كروتشه أنّ هذين المفهومين الجماليين ما هما إلا مفهوم واحد (المجمل في فلسفة الفن : ٧٥) وسيحاول البحث استنطاقهما بطريقة تتجنب فيه الإسهاب في دقائق الأمور خشية المساس بجمالية الصورة التي تثير ــ حدسيا ــ الحواس وتؤدي بنا الى الإمتاع بوصفه أول وظيفة للشعر الجديد .

المشهَد (الصّورة) :

احتفلت قصائد السياب بلقيات استعارية تخاطب الحواس بوسائل مختلفة تمثل مراحل متقدمة من مخاطبة المُدْرَك الحسي يمكن ان نسميها (مشهدا) لاعتمادها على المعاينة ولعلاقتها بالتوليف السينمي (Montage) :

١. لَمْ يَبْقَ مِنْكِ سِوى عَبير .
٢. يَبْكي وَغير صَدى الْوَداع : ((إلى اللِّقاءْ !)) .
٣. وَتَرَكْتِ لي شَفَقًا مِنَ الزَّهراتِ جَمَّعَها إناءْ [١].

يتمتع هذا المشهد بدرجة عالية من المُدْرَك الحسِّي ، تتركز جماليته ــ في السطر الثالث ــ عند قوله : ((وتركت لي شفقا من الزهرات)) إذ يؤديِ الى التشبيه ؛ فالزهرات كالشفق ، ولكن الصورة في الوقت نفسه تؤكد ان الشفق شيء مُسْتَخْلَص من الزّهرات على سبيل التجسيم .

لقد وصلت لفظة (شفق) الى المشاعر بخطابها للحواس ، بالشكل الذي تمكنت فيه من إحداث متعة متميزة في سياق ورودها ؛ فهي تخاطب هذه الحواس بصورة مباشرة نتيجة عقد صلة المشابهة بين الشيء الذي

[١] الديوان : ٦٢١/١ .

يُستَخلَصُ منه الشفق (المستعار له) ، والشفق / المُستَخلَصُ (المستعار منه) الماثل ، يكون الشفق في هذا المشهد بؤرة جمالية منسجمة مع سياقها الذي يتلاءم مع الوداع / الرحيل ، والمتوالف مع منظر الشفق والغروب مكونا ما يعرف بالتوليف التعبيري في السينما الذي يؤسّس ((على تراكب اللقطات تراكبا هدفه إحداث تأثير مباشر دقيق نتيجة لصدمة صورتين ، والتوليف في هذه الحالة يرمي إلى التعبير بذاته عن عاطفة أو فكرة))[٢].

وفي المقطع الآتي من قصيدة (وصيّة من مُحتَضِر) :

١. أينَ الْعِراقْ ؟ وَأينَ شَمَسُ ضُحاهُ تَحمِلُها سَفينَهْ .
٢. في ماءِ دَجْلَةَ أو بُويَب ؟ وَأينَ أصْداءَ الْغِناءْ .
٣. خَفقَتْ كَأَجنِحَةِ الْحَمامِ على السَّنابِلِ وَالنَّخيلْ .
٤. مِنْ كُلِّ بَيْتٍ في الْعَراءْ ؟
٥. مِنْ كُلِّ رابِيَةٍ تُدَثِّرُها أزاهيرُ السُّهُولْ ؟[٣]

تَتَّصِفُ الصور الاستعارية الثلاث في الأسطر (الأول والثالث والخامس) على التوالي بالوضوح المقترن بالتغريب الذي يسهم في إحداث الصدمات المتوالية في المقطع ؛ الصورة الأولى قائمة على الإيهام ؛ فشمس ضحى العراق تحملها سفينة ؟!، وفي هذه الصورة شذرات من التصوير تولد من إسناد الفعل (تحمل) إلى غير فاعله الحقيقي ، بشكل يوحي فيه بقيام (السفينة) بتنفيذ الفعل إراديا ، وهذا ــ في النظرة الفلسفية البلاغية المجرّدة ــ مجاز عقلي قائم على إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي ،

---

(٢) اللغة السينمائية : ١٣٥ .

(٣) الديوان : ١/٢٨١ ــ ٢٨٢ .

ولكن الأثر الذي تركته هذه الصورة هو أثر استعاري حسي . أما الصورة الثانية فهي قائمة على تبادل الحواس ؛ فأصداء الغناء تخفق كأجنحة الحمام . ولقد تحوّلت الصورة السمعية إلى صورة بصرية / سمعية حركية امتدت إلى آفاق الطّبيعة الريفية ، وتقوم الصورة الثالثة على البؤرة التي تمثلها مفردة (تدثّر) التي وسعت فجوة الخيال ، إذ جعلت القارئ يَتَخَيَّل الرّابية تتدفأ بالزهور أو تَتَخفَّى بها ، وهذا المشهد البصري نقلنا الى رَمْزَيّ الشمس والدفء اللذين فقدهما الشاعر وهو مغترب عن وطنه[٤].

ومن المشاهد البَصَرِيَّة التي تألّق فيها التصوير الاستعاريِ ، قول الشاعر :

ــ فَإذا تَنَهَّدَتِ الرِّياحُ تَعَلَّقَتْ

ــ مِنْ خَوْفِها ــ الأَفْياءُ بالأَفْياءِ[٥]

فقد أكسب المشهد الحسّي الصورة طابعا جماليا مقترنا بعملية (إسقاط) نفسية أعطت الصورة بعدا آخر ، عندما ظهرت الأفياء متعلقة فيما بينها من الخوف . وذهبت الصورة إلى أبعد من ذلك عندما ارتبطت بعلاقة تناصّ مع إحدى الصور الاستعارية الجمالية في قول أحمد شوقي الذي وصف فيه (قصر أُنْس الوجود) الأَثر الفرعوني القائم وسط النيل ، الذي تغمر المياه أجزاء منه :

---

(٤) نُظِمَتْ قصيدةُ (وصيّة من مُحتضر) في لندن ، بتاريخ : ١٩٦٣/١/٢.

ــ ينظر أزهار ذابلة وقصائد مجهولة : ٢٤٣ .

(٥) الديوان : ٢ /٣٠٩ .

ـ قِفْ بِتِلْكَ القُصُورِ في اليَمِّ غرقَى
مَمْسِكًا بَعْضُها مِنَ الذُّعْرِ بَعْضا [٦]

واستنادا إلى العلاقة التناصية المشار إليها ، توحي صورة السياب بأن هذه الأفياء تمثّل بيوتا قديمة ، وتجعلنا نتخيل صورة بَصَرِيَّة استمدت من عنصر الحركة تألّق حسّيتها التي تشير الى حصول تداخل بين الأفياء ؛ نتيجة تحرك الأشجار وغيرها من مشاهد الطبيعة التي يفترضها المتلقي . وتُوَظِّفُ بعضُ صور السياب إمكانات الفن التشكيلي (الانطباعي) في رسم صورة الكوخ الذي ورد في المشهد الآتي :

ـ الكُوخَةُ الفقْراءُ عَنْ كَثَبِ
ـ تُلْقِي كآبَتَها على النَّهرِ [٧]

وقد ورد استعمال لفظة الكوخ بصورتها المؤنثة ((الكوخة)) ، ولهذا الاستعمال نظائر في الفصيحة[٨]، ولكنَّ ندرة استعماله أضفت نوعا من الغرابة أسهمت في توسيع مسافة التوتر وحصول (الإمتاع) .

أمثلةٌ من احتشادِ الأَنماط التَّصويرية وتَراسُل الْحَواس :

من المظاهر الجمالية التي وضع البحث يده عليها ما ورد في الأنموذج الآتي من احتشاد التشبيهات وتداخلها مع الاستعارات بشكل مكثَّف يظهر تشكيلا فريدا من أشكال مخاطبة بلقيات من المشاهد البصرية المتوالية تتبعها صورة سمعيّة يُختَم بها المشهد :

---

[٦] الشوقيات ١/٥٧ .
[٧] أزهار ذابلة وقصائد مجهولة : ٥٤ .
[٨] ينظر التركيب اللغوي لشعر السياب : ٨٥ .

وَهَيهاتَ، أنَّ الْهَوى لَنْ يَمُوتْ ولكِنَّ بَعْضَ الْهوى يَأفُلُ
كما تأفُلُ الأنْجُمُ [الْخافِقاتْ](*) كما يَغْرُبُ النَّاظِرُ الْمُسْبِلُ
كما تَسْتَجِمُّ الْبِحارُ الْفِساحْ مَلِيًّا ، كما يَرْقُدُ الْجَدْوَلُ
كَنَوْمِ اللَّظى ، كانْطِواءِ الْجِنَاحْ كما يَصْمِتُ النّايُ وَالشَّمْأَلُ!(٩)

وفي صورة (جمالية) أخرى تتراسل الحواس ، محرّكة غرائزَ عديدة تتّجه نحو : الجنس ، والعطش ، والجوع ، والانفعالات الغريزية الأخرى ، وعلى الرغم من احتفال الصورة بهذه القدرة على توسيع مسافة التوتر ، فان الصدمة الشعرية الكبرى حصلت نتيجة تواشج الصورتين التشبيهية والاستعارية في قوله : ((عينان جائعتان كالدنيا)) التي تتحول عندها الصورة المجازية / الحسية بوساطة التشبيه الى صورة عقلية اكتسبت روح المجاز من السياق :

ــ حَسْناءُ يُلْهِبُ عُرْيُها ظَمإي
فَأَكادُ أَشْرَبُ ذلك الْعُرْيا
وأَكادُ أَحْطِمُهُ ، فَتَحْطِمُني
عَيْنانِ جائِعَتانِ ، كالدُّنْيا(١٠)

(*) في الأصل (الساهرات) ، وقد وردت في ديوان أزهار ذابلة وقصائد مجهولة (الخافقات) ، ولم يشر المحقق الى هذا التغيير خلافا لمنهجه السائد .
ــ أزهار ذابلة وقصائد مجهولة : ١٤٢ .

(٩) الديوان : ١ /١٦ .

(١٠) الديوان : ١/٧ .

أن لظاهرة تراسل الحواس دورا كبيرا في تنشيط الخيال ، وإزاحة رتابة التعبير وتحطيم أفق الانتظار الذي تبحث عنه (الشعرية) ، مما يجعل المتلقي في عالم جديد من الإمتاع .

وفي مشهد آخر يعبِّر شعر السياب عن حالة (حفَّار القبور) وهو يحتسي الخمرة ، وينتظر الجنائز :

النُّورُ يُنْضَحُ مِنْ نَوافِذِ حانَةٍ عَبْرَ الطَّرِيقْ ،
وَتَكادُ رائِحةُ الْخُمُورْ
تُلْقي ، على الضَّوْءِ الْمُشَبَّعِ بالدُّخانِ وَبالفُتُورْ
ظِلا كألوانٍ حَيارى واهِياتٍ مِنْ حَرِيقْ
ناءٍ . تهوّم ، في الدُّجى الضّافي ، على وَجْهٍ حَزِينْ
وَتَلُوحُ أَشْباحٌ عِجافٌ
خَلْفَ الزُّجاجِ .. تَهِيمُ في الضَّوءِ السَّرابيِّ الْغَرِيقْ
وَيَشِدُّ حَفَّارَ الْقُبُورِ على الزُّجاجَةِ بالْيَمِينْ ،
وكَمَنْ يُحاذِرُ أو يَخافُ ـــ
يَرْنُو الى الدَّرْبِ الْمُنَقَّطِ بالْمَصابيحِ الضِّئالْ
وتحركت شفتاه في بطء وغمغم في انخذال : [...][١١].

إن النور ينضح من نوافذ الحانة التي تكاد رائحةُ الخمور فيها تلقي ظلا ! على الضوء المُشبَّع بالدخان وبالفتور ! هذا الظل يشبه الألوان الحيارى !، وعلى هذا المستوى من التصوير الحسّي تستمر المقطوعة بإيحاءاتها وجمالياتها التي تُسهم فيها الأشباح !، والضوء السرابي

---

[١١] الديوان : ١ / ٥٥٤ .

الغريق !، والدرب المنقط بالمصابيح الضئال !، كل هذه الصور احتشدت لتنقلنا الى أجواء خيالية يضطرب معها النفس ، ويصبح المتلقي جزءا لا يتجزأ من الصورة الكلية لسياق المشهد . إن ما يظهر من تراسل في الحواس في الأسطر الأربعة الأولى ، ما هو إلا نتيجة حتمية من نتائج التجسيم الذي يُنَشّطُ ، ويلغي الحواجز بين أطراف العلمية الاستعارية .

أسْطَرَةُ الْخَيال :

يَتّسع أفق الخيال في المشاهد التي يظهر فيها المستعار منه محملا بضبابية أسطورية توغل في التصوير ، كما في الأمثلة الآتية :

١. وَفي الصَّباحِ يا مَدينَةَ الضَّبابُ
وَالشَّمْسُ أُمْنِيَّةُ مَصْدُورٍ تُديرُ رَأْسَها الثَّقيلْ
مِنْ خَلَلِ السَّحابِ[١٢]

٢. تَقَطَّعَتِ الدُّروبُ ؛ مقَصُّ هذا الْهاطلُ الْمدرار
قَطَّعَها [وَوَارَاها][*]
وَطَوّقَتِ الْمَعابِرُ مِنْ جُذُوعِ النَّخْلِ في الأمْطار[١٣]

٣. كانتِ الأَرْضُ تُلْقي صِباها لأوّلِ مَرَّة ...
كانَ قابيلُها بَذْرَةً مُسْتَسِرَّة ...

---

(١٢) الديوان : ٢٩٩/١ .
(*) في الأصل (وورِاها) وهو خطأ طباعي .
(١٣) الديوان : ١ / ٦٠٠ .

كانَ للأَرْضِ قَلْبٌ ، أُحِسُّ بِهِ في الدُّروبْ ،

في البَساتينِ ، في كُلِّ نَهْرٍ يُرَوّي بَنيها[14]

تلاحظ السمة الغرائبية التخييلية التي يتمتع بها المستعار منه في الصور الاستعارية في المقاطع الثلاثة على التوالي ؛ الأولى : تدير فيها الشمس رأسها الثقيل ، والثانية : يظهر فيها الهاطل المدرار (المطر) وهو يقطع الدروب بمقصه ! ، والثالثة : تلقي الأرض فيها صباها ، وكأن لها قلبٌ يُحَسُّ به في الدروب !، وعلى الرغم مما يبدو في الأمثلة السابقة من استجابة لإجراء الاستعارة بشكلها التقليدي ، فإن طبيعة أطراف العملية الاستعارية ذات إيحاء تخييلي يجمع بين عالمين مختلفين يمكنهما الالتقاء في مكان واحد ، وهما : عالم المجاز وعالم الأسطورة ، فكلاهما ((يدمج المعنى بالمدرك ويعتبر المجردات أشياء حسية مما يجعل النصين الأسطوري والشعري مكان لقاء بين الذات والموضوع ، بين الإنسان المُدرِك ، والعالَم المُدْرَك))[15]؛ مما يضفي على هذا النوع من الصور الاستعارية جمالية من نوع خاص يشعر بها المتلقي ، ويدخل معها في لذة الغريب والمدهش والخارق .

---

(14) الديوان : ١ : ٢٠٦ .

(15) فلسفة الحضارة الإنسانية ، ارنست كاسيرر : ١٧٥ ، نقلا عن الأسطورة في الشعر العربي المعاصر (بحث) محمد الغزي، مجلة الحياة الثقافية ، ع٦، تونس ، ١٩٩١ ، ص: ٢٠ .

سِمةُ الْغَرابةِ في التَّجْسيم وَالتَّشْخيص :

يعد اقتران التجسيم بالغرابة في شعر السياب سمة جمالية واضحة ، إذ اجتازت القصيدة السيابية الحدود التقليدية للمؤثرات الشعرية ، مؤسسة ذوقا بلاغيا جديدا ، وهذا عرض لبعض الأمثلة :

١. فاضَ الأَنينُ على خُطايَ فَبِتُّ أَعثَرُ بالأنين.[١٦]

٢. سارَتْ بِمَوْكِبِها الضَّحايا .. وَهيَ تَعثَرُ بالْحَناجِرِ.[١٧]

تمتد جذور هذا النوع من التجسيم الى النص القرآني العظيم ، عندما يتحوّل الشيء المعنوي الى شيء حسّي / دلالي ؛ فالأنين في الصورة الأولى تحول الى جسم يعوق تحرك (الشاعر) فيعثر به .

أما في الصورة الثانية ، فنجد أن حناجر الضحايا قد تحولّتْ الى أجسام (حسية) ، تعبّر عن صرخة الحق التي لم تنل مبتغاها ، إذ كانت تستعين بآلية عمل المجاز المرسل ذي العلاقة المحلية .

وهاتان الصورتان ترتبطان بنسق تواز على المستوى البلاغي يتركز في طبيعة أطراف العملية الاستعارية مع قوله تعالى :

((وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ)) (سورة الاحزاب : ١٠)

فقد بلغت القلوب (الرمز) الحناجر ، وتحولت دلالاتها الى صرخة ، فالحناجر في الآية الكريمة بمنزلة المجاز المرسل ذي العلاقة المحلية . ومن أمثلة التجسيم الذي يمكن أن نلمح فيه الحسية العالية فضلا عما أشرنا إليه من غرابة ، قول الشاعر :

---

[١٦] الديوان : ٢/ ٥٠٧ .

[١٧] الديوان : ٢ / ٥١٢ .

١. نباحُ الْكِلابِ المُبَعثرِ في وَشوَشاتِ النَّخيلْ
يُنَبِّهُ في قَلْبِيَ الذِّكْرَياتِ العِتاقْ
ويَرْبُطُ دقّاتِ قَلْبي بأَرضِ الْعِراقْ[١٨]

٢. نِداءٌ راحَ يَنثُرُهُ الْمُؤذِّنُ ... أُطفِئَ الْفانُوسُ ، رَفَّ ضِياؤُهُ رَفَّةْ
وبَعثَرَهُ الظَّلامْ[١٩]

ويقترن التشخيص في الكثير من الأمثلة في شعر السياب ــ أيضا ــ بعنصر الغرابة المشار اليه عند الحديث في التجسيم وإمكاناته الحسية ، يقول الشاعر في سياق الشوق الى الوطن :

أمّاهُ لَيْتَك تَرْجِعين
شَبَحا . وكَيفَ أخافُ منْهُ وَما امّحَتْ رَغمَ السِّنينْ
قَسَماتِ وَجْهك منْ خيالي ؟
أيْنَ أنْتِ ؟ أتَسْمَعينْ
صَرَخاتِ قلْبي وَهْوَ يَذْبَحُهُ الْحَنينُ إلى الْعِراقْ ؟ [٢٠]

أن لفظة (يذبحه) في السطر الأخير قد اقترنت بصرخات القلب ، وهو بمنزلة (الترشيح) للصورة الاستعارية المكنية ، وقد أفاد التصوير من طاقة اللفظة السابقة ، فهي من الألفاظ التي تستعمل في اللغة الدارجة في سياقات كثيرة غالبا من تكون خافتة في طابعها المجازي ، لكن اللفظة في الصورة السيابية وفرت قدرة إيحائية عالية ؛ فالمتلقي يصطدم

---

[١٨] الديوان : ١ / ٢٤٥ .
[١٩] الديوان : ١ / ٦١٨ ــ ٦١٩ .
[٢٠] الديوان : ١ / ٦١٦ ــ ٦١٧ .

بصورتين استعاريتين حسيتين ؛ الأولى : يمثلها القلب الذي يصرخ ، والثانية يمثلها الحنين الى العراق الذي يذبح القلب ! وكأنَّ القلب يصرخ خوفا من الذبح ! على سبيل (التخييل) . ومن الصور التشخيصية الجمالية التي تحول شيئا من الغرابة المشار اليها قوله في قصيدة (يا ليالي) :

الْخَرِيفُ الْكَئِيبُ ما زالَ خَلْفَ الـــ ـــتَّلِّ عُرْيانُ لائذا بالطِّلالِ

فَانْزِعِي عَنْ يَمِينِه صِبْغَةَ الْمَوْ تَى..وَرشّي بها اخْضِرارَ الدَّوالي

إنَّ يَوْمَ اصْفِرارِها مَوْعِدَ اللُّقْــ ـــيا على غيرِ مَوْعِدٍ بالْوِصالِ

وَامْلاِيِ، بالنُّجومِ مَصْهُورَةَ الأَضْــ ـــواءِ ما اسْوَدَّ مِنْ فَراغِ الْهِلالِ !!

قَرِّبي مَوْعِدَ الْهَوى بالليالي [٢١]

فالخريف كئيب متخف لائذ بالظلال ، بيمينه صبغة الموتى (الصفراء) التي يغير بواسطتها الدوالي الخضر إلى صفر ، وقد جاء هذا السياق على سبيل تجميل القبيح والمشهد بهذا التشخيص يقوم على بؤرة دالة إذ يتمنى ظهور الخريف المرتبط بابتداء العام الدراسي الذي يهيئ فرصة اللقاء بالحبيبة ، فالخريف تحول إلى مولد دلالي :

الدوال التشخيصية للخريف	المدلول الكنائي	الحكم المعياري الخاطئ
الخريفُ كئيبٌ	الأشياء غير الجميلة تكون جميلة في المقاييس النسبية	هناك حالة من التناقض بين الدال والمدلول
الخريفُ عريانٌ	الارتباط بالحبيبة شديد	هناك حالة من التناقض بين الدال والمدلول
في يمين الخريف صبغة الموتى (الصفراء)	اللقاء مع الحبيبة أمنية	هناك حالة من التناقض بين الدال والمدلول

---

[٢١] أزهار ذابلة وقصائد مجهولة : ٨٢ ، وتنظر : ٨٧ .

التقاءُ الحسّ بالفِكْر :

تثير بعض الأمثلة في شعر السياب الفكر بتوظيف الحسّ بشكل أكثر وضوحا ، ففي مطولة (المومس العمياء) يُظهر أحد المقاطع الحال المؤلمة والمقززة التي حلَّت ببعض طبقات بني الإنسان :

الحارِسُ الْمَكْدُودُ يَعْبُرُ ، وَالْبَغايا مُتْعَباتْ ،
النَّومُ في أَحْداقِهِنَّ يَرِفُّ كالطَّيْرِ السَّجِينْ ،
وَعلى الشِّفاه أو الْجَبِينْ
تَتَرَنَّحُ الْبَسَماتُ وَالأصْباغُ ثَكْلَى ، باكِياتْ ،
مُتَعَثِّراتٍ بالْعُيُونِ وَبالْخُطى وَالْقَهقَهاتْ ،
وَكأَنَّ عارِيَةَ الصُّدُورْ
أَوْصالُ جُنْدِيٍّ قَتِيلٍ كَلَّلُوها بالزُّهُورْ ،
وَكَأَنَّها دُرُجٌ الى الشَّهواتِ ، تَزْحَمُهُ الثُّغورْ
حَتّى يُهَدّمَ أو يكاد . سِوى بَقايا مِنْ صُخورْ .

جِيَفٌ تُستَّرُ بالطِّلاءِ ، يَكادُ يُنْكِرُ مَنْ رَآها
أَنَّ الطُّفُولَةَ فَجَّرَتْها ، ذاتَ يومٍ ، بالضِّياءْ [...][٢٢]

أن هؤلاء البغايا يعانين من التعب والنعاس ، لإصرارهن على ممارسة الدعارة حتى أوقات متأخرة من الليل جاعلين منها معاشا !! أما قوله : ((النوم في أحداقهن يرفّ كالطير السجين)) فهو تعبير عن (الماسوشية) ،

---

[٢٢] الديوان : ١ / ٥١٢ ــ ٥١٣ .

التي تغلبت عليهن ، وقد وُظِّفَ التجسيم في قوله : (تترنح البسمات) وكذا : ((متعثرات بالعيون وبالخطى والقهقهات)) ، فقوله : تترنح حولَ طابع التجسيم الى التشخيص ؛ لأن الترنح يعني التمايل ويطلق على السكران[٢٣]، أما الصورة التجسيمية الثانية التي حولت النظر الى (عيون) على سبيل العلاقة الآلية في المجاز المرسل ، وفي الوقت نفسه كانت تلك العيون عنصرا فاعلا من مكونات الصورة التجسيمية ، وقد جاءت منسجمة مع سياق ورودها ؛ فالتعثر كان بالعيون وبالخطى والقهقهات ، وهذا التصوير ينسجم مع حالة السكر التي دل عليها لفظ (الترنّح) .

وقد بعث المشهد (بمخاطبته الحواس) بعنصر التنافر بين الأصباغ والبغايا عند الصورة التشخيصية التي تظهر فيها الأصباغ ثكلى باكيات . والسياق بذلك ينقلنا إلى دلالة جديدة بعد أن أثيرت مشاعر الشفقة في السطرين الأول والثاني : ((الحارس المكدود يعبر // والبغايا متعبات ، النوم في أحداقهن يرفُ كالطير السجين)) ، والدلالة الجديدة تحول الصورة من التعبير عن الأشياء المقززة الى ما يثير مشاعر الشفقة والحزن حينها يخيّب أفق الانتظار: ((وكأن عارية الصدور // أوصال جندي قتيل كللوها بالزهور)) ، وكانت ظهورات المشهد بأكمله تهيئ لمركز الاستقطاب الدلالي فيه ، وقد عبر الفضاء الطباعي[*]عن خصوصية الصورة في السطرين الأخيرين ؛ فهي تحليل دلاليا على ان المومس جسد بلا روح ، وكان المشهد ينقلنا أيضا الى عنصر الدهشة ، فالذي ينظر إلى

---

[٢٣] أساس البلاغة : (رنح) .

[*] لاحظ البياض الطباعي بين السطرين الأخيرين وما سبقهما في المشهد .

هذه المومس يكاد ينكر أنها كانت تتمتع ببراءة الطفولة : ((جِيَفٍ تُستَّرُ بالطَّلاءِ ، يَكادُ يُنكِرُ مَنْ رَآها // أنَّ الطُّفُولَةَ فَجَّرَتْها ، ذاتَ يومٍ ، بالضِّياءْ)) ، فلفظة التفجير (اللفظة المستعارة) جاءت لتعبر عن أهمية (المستعار منه / المشبه به) المقابل الي يمثله الضياء بمفهومه المعنوي الترميزي الدال على براءة الطفولة ، واستطاع المشهد بمولدات الدلالة فيه أن يقوم بوظيفة (تطهيرية) تتصدى لداء البغاء .

وفي شعر السياب أمثلة كثيرة تتبنى أفكارا إصلاحية يتحول فيها الفكر بتفاعله المنتج مع الحواس الى رؤيا شعرية ذات طابع تصويري واضح يؤكد أن ((صلة الصورة المجازية بالمعنى أو الفكرة صلة عضوية ، فهي حين تحتضنها فأنها لا تعدو عليها بالتغيير من طبيعتها ، بل هي تعرضها عرضا فيه جدة وطرافة وقدرة على التأثير والإمتاع ، بما تبثه في أرجاء هذه المعاني والأفكار من خصائص جمالية وفنية ، وتكشف عن عوالمها الخفية التي قصرت الحواس عن إدراكها))[٢٤]. يقول الشاعر في مطلع قصيدته (جيكور والمدينة) :

ــ وتَلْتَفُّ حَوْلي دُرُوبُ الْمَدينه

حِبالا مِنَ الطِّينِ يَمْضغْنَ قَلْبي

ويُعْطِينَ ، عَنْ جَمْرَةٍ فيه ، طينَه ،

حِبالا منَ النّارِ يَجْلِدْنَ عُرْيَ الْحُقُولِ الْحَزينَه[٢٥]

---

[٢٤] الصورة المجازية في شعر المتنبي (أطروحة دكتوراه) : ٢٧٢ .

[٢٥] الديوان : ١/٤١٤ .

إن الصور المتوالية في أسطر المقطع تشير الى أن الصراع بين الريف والمدينة ، صراع للقيم التي ارتبطت بذات المبدع ؛ فدروب المدينة تلتف كالحبال و ((تمضغ)) قلب الشاعر ، وهي نفسها تجلد ((عري الحقول الحزينة)) ، فقد أسند الجلد للحبال على سبيل المجاز ، وتعد الصورة الاستعارية في السطر الأخير بؤرة الدلالة الفكرية التي أشرت اليها ، إذ استطاعت التعبير عن حالة زحف المدينة تجاه الريف ، إذ تعرَّت الحقول نتيجة هذا الزحف ، والتعبير الترميزي الذي تحمله هذه الصورة يحيل على خطورة القيم المتدنية في المجتمعات الرأسمالية ، وأن في المجتمع الريفي (الاشتراكي) ما هو أسمى بكثير من القيم السائدة في المدينة .

وتبدو ذات الشاعر (ابن القرية الطيبة) رافضة كثيرا من قيم المدينة ومظاهرها في قصيدة (العودة لجيكور) التي وُظِّفَتْ فيها العناصر التصويرية المختلفة ، ويشير مقطعها الأول الى رفض هذه القيم :

على جَوادِ الْحُلمِ الأَشْهَبِ
أَسْرَيْتُ عَبْرَ التِّلالْ
أَهْرُبُ منها ، مِنْ ذُراها الطِّوالْ ،
مِنْ سُوقِها الْمُكْتَظِّ بالْبائعينْ ،
مِنْ صُبْحِها الْمُتْعَبِ
مِنْ لَيْلِها النَّابِحِ وَالْعابرينْ ،
مِنْ نُورِها الْغَيْهَبِ ،
مِنْ رَبِّها الْمَغْسُولِ بالْخَمْرِ ،

٣. تضعف وظيفة الصورة الفكرية وتصويريتها إذا ما أجريت على أنها مجاز مرسل ذو علاقة (المحلية) .

يجرنا السياق في المقطع الى صور أخرى ذات تداعيات كثيرة تترك للمتلقي مجالا عريضا في التأمل ، وقد وظف التضاد لخدمتها :

نورها ⟷ غيهب

ربّها ⟷ مغسول بالخمر

عارها ⟷ مخبوء بالزهر

موتها ⟷ سار على النهر

وهذه التضادات ذات الطاقة الترميزية تشير بشكل واضح الى نظرة سوداوية للمدينة ، وهي بمنزلة المراكز الدلالية ، وقد تميز التضاد في السطر العاشر ، بقيمته التصويرية الاستعارية الممتدة والمرتبطة بتداعيات كثيرة فرضتها الطاقة الترميزية / الدلالية للصورة . أن هذه الصورة الممتدة ترتبط بمعجزات السيد المسيح المتشكلة في التصوير ؛ فهو يمشي على الماء[٢٧]ويحيي الموتى[٢٨]، حسب ما جاء في (الكتاب المقدس) ، ويتسع أفق التصوير الاستعاري عندما تبدو أمواج نهر المدينة غافية يتمنى (الشاعر) أن تستيقظ من غفوتها ، ثم تتبع هذه الصورة صورة اخرى ترتبط بأمثلة الاستعارة المنسوبة الى التجاور الكنائي ، إذ تظهر العذراء (وهي الأنموذج الذي يُتَمَنّى أن يسهم في إحياء قيم المدينة) مقترنة بصورة سينمية مؤدلجة تكون فيه شمس المغرب ((دامية)) ، والدجى

---

[٢٧] الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب : ١٠٩ .

[٢٨] المكان نفسه .

حزين يتمنى (الشاعر) ان تنبعث فيه الحياة : ((لو أن أغصان الدجى تورق)) .

ويختم المشهد بلقطة ذات قدرة على التعبير عن فساد المدينة ؛ وهي على مستوى الاستبدال الاستعاري الشعري اقرب الى الاستعارة التمثيلية : ((أو يوصد الماخور عن داخليه)) إذ استطاعت ان تنقلنا الى توليفات المخرج السينمي أيزنشتين(*) الذي ((يجمع بين لقطات مختلفة لا رابط محسوس بينها ليصوغها في تركيب فني مترابط حسب مضمونها الفكري))[٢٩]، ويمكن تصنيف هذا النوع من الأمثلة ضمن ظاهرة (تداخل الأجناس) في الإعمال الإبداعية .

الخاتمـــــة :

ان هذا البحث محاولة لاستنطاق شعر السياب بالمقاييس الذاتية النسبية ، وكانت الأمثلة المثيرة في شعر السياب تتحرك باتجاه يقترب كثيراً من عوالم المجاز بل ان نمط الاستعارة كان هو المهيمن على جميع المشاهد الحسيّة التي نبحث فيها ، ويبدو أن نمط الاستعارة كان هو المولّد الرئيس للمدرك الحسّي ولاسيما في التمثيل ، والصور المركّبة التي تحتشد فيها مظاهر التراسل والتواشج بين أنماط التصوير المجازي ، والمشهد في

(*) لهذا المخرج توليف (Montage) مشهور في فلمه الأول (الإضراب) ((الذي ركب فيه مذبحة العمال على يد البوليس ومشهد حيوانات ذبيحة في المجزر)) .
ـ اللغة السينمائية : ١٤٠ .

[٢٩] فن الشريط التسجيلي : ٤٤ .

شعر السياب لا يمكن ان يخضع إجرائيا الى التحديد الدقيق بل إنه ينفتح نحو عوالم القراءات المتعددة ، وقد رافقت المشاهد في شعر السياب صور الغرابة وهي نتيجة حتمية من نتائج التصوير الفاعل الذي يقيم علاقات مفترضة نابعة من مواطن المغايَرة في التعبير المقترن بالفكر والقيم النبيلة .

المصـــــادر :

١. القرآن الكريم .

٢. أزهار ذابلة وقصائد مجهولة (شعر) ، بدر شاكر السياب ، تحقيق : حسن توفيق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مطبعة الديواني ، بيروت ــ بغداد ، ط ٢ ، ١٩٩٨م .

٣. أساس البلاغة ، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان [د. ت] .

٤. الأسطورة في الشعر العربي المعاصر (بحث) محمد الغزي ، مجلة الحياة الثقافية ، تونس ، ع ٦٠ ، س ١٩٩١م .

٥. التركيب اللغوي لشعر السياب ، الدكتور خليل ابراهيم العطية ، دار الشؤون الثقافية العامة (الموسوعة الصغيرة : ١٨٣) ، ١٩٨٦م .

٦. ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، مج ١ / ١٩٧١م ، مج ٢/ ١٩٧٢م .

٧. الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب ، الدكتور علي عبد المعطي البطل ، شركة الربيعان ، صفاة / الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

٨. الشوقيات ، احمد شوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت [د. ت] .

٩. الصورة المجازية في شعر المتنبي (أطروحة دكتوراه) ، جليل رشيد فالح ، مقدمة الى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

١٠. فن الشريط التسجيلي ، محمد علي الفرجاني ، مطابع الثورة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ــ تونس [د. ت] .
١١. اللغة السينمائية ، مارسيل مارتن ، ترجمة : سعد مكاوي ، مراجعة : فريد المزاوي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنبياء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، أغسطس ، ١٩٦٤م .
١٢. المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب ، د. حسين الواد ، د. حسين الواد ، دار سحنون للنشر والتوزيع (نشر مشترك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ، تونس ، ط١ ، ١٩٩١م .
١٣. المجمل في فلسفة الفن ، بندتو كروتشه ، ترجمة : سامي الدروبي ، مطبعة الاعتماد بمصر ، دار الفكر العربي ، ط١ ، مايو ، ١٩٤٧م .

Meanings of Grammar

Prof. Dr. Ahmed Matloub
President of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

This paper deals with the meanings of grammar which become part of rhetoric; it shows its merits and effects on expression. It is worth mentioning that this is the second stage after mastering the basics of grammar.

The paper ends up with the conclusions that the meanings of grammar must stay with rhetoric since it is related with the methods and its analysis.

The New Critical Reading Requisites of History and for Rewriting it in the Contemporary Arabian Domain

Waleed Khalid Ahmad Hassan

Abstract

History has its methods for reaching the truth just as any other science. The truth of history is centralized on Man's efforts in every community for his achievements and mistakes. In other words, it is a science that tries to answer the questions related to certain period of people's life that has its sins and glories, so how could we allow leaving our history in the hands of writers lacking the simplest principles of the scientific method to study our history?

The research deals with the necessity of rereading the history now, and criticizing the way the accidents are being narrated according to new scientific and objective system.

The Conditions of Jews in Spain during the Islamic Reign (92-897 H. / 711-1492 A.D.)

Dr. Jawad M. Al-Mossawi
President of Wasit University

Abstract

The previous study was about the conditions of the Jews in Spain before the Islamic conquest, and in an attempt to complete the picture; this paper will study the Jews' attitude in Spain during the Islamic reign. This position was influenced by the treatment of the Gothic to them and the Muslims' treatment to their compatriots in the north of Africa.

In 93 H. - 712 A.D. Ibero Peninsula became in the hands of Muslims by the control of Musa Ibn Nasir and Tariq Ibn Ziyad. The existence of the Arab has continued until 897 H. – 1492 A.D., as it was ended by King Aragon and his wife Isabella. The Islamic era in Spain shows the tolerance of Muslims and Jews, while Jews lived in previous era of inequity and injustice after the Islamic era.

This study is important for the researchers and the scholars who are interested in Andalusian Studies. Thus the study of the Jewish life and their impact in the Andalusian life gives a clear picture to the researchers in the field of history, literary and social studies especially in the Islamic rule for the vast area acquired by the Jews in various levels, many politicians, judges, poets, writers and other thoughtful have emerged during this period.

"Alhamziya" between Two Studies

Dr. Wasan Abdul Muni'm Yaseen

Abstract:

Text reading varies according to the readers and the variety of their education, trends and interests. Alhamziya was studied by two Arab critics, and their studies will be shed light on in this paper.

Also this study clarifies the scope of agreement and disagreement, though each one followed a different method from the other, and seeks to something different from the second.

Cultural Resources in Al-A'asha Poetry

Dr. Abdul Latif Hamoudi Al-Taee
College of Arts, University of Baghdad

Abstract:

Al-A'asha Bin Maymoon Bin Kais is considered one of the great Arab poets who lived in Pre-Islam era, in addition to being an extinguished poet in Al-Jahiliyyah since he had a combination of rural knowledge and urban culture. Thus his cultural resources varied between general information (which prevailed in Arabian community at that time) and acquired information through his trips and tours in the Arabian Peninsula (north, south, east and west). Also his repeated many visits to the royal palaces of kings of Yemen, Iraq, Sham, Bilad Faris (Persia) and the Abyssinian (Habasha) make him acquainted with these kingdoms and people and enriched him with various cultures and accumulated artistic experiences added to what he has of artistic expertise. The influence of these cultures appeared in his poetry which enables us to say that Al-A'asha was one of the pioneers who laid the artistic traditions of the mature Arabic poem.

School Teachers' Problems in The Elementary Stage

Samira Dhahir Mohammed

Abstract:

Education became life itself; it no longer means just instructing information, and a mere preparation for future. The future represents a psychological and cognitive phase for students in all aspects. Thus it is an outcome or indication of an effect in all aspects of life which the students live in that stage.

It is necessary to concentrate on the problems of schoolteachers in the elementary schools, and the ideal performance and preparation in a compatible style with school to reduce the propelling diminishing of teachers and their negative and positive adaptation, and to determine the specific requirements suitable for them. This will lead to the assimilation of educational, ethical and behavioral values which make the educational and instructional system complete and vital to improve the society and consolidate its position.

Therefore; it is worth saying that concentration on reasons of strength and weakness in studying rooms depends on confronting these obstacles and problems.

This social look for education required extending school work to more than its educational duty which converted it to a local environment with a great importance in society. And it is definite that a teacher has an important part in this duty.

The nature of these problems appears through specifying the impulses suffered by teachers in elementary schools, and preparing the success reasons of the educational institutions through achieving its education goals and the continuous role of a teacher in education and her excellence in teaching.

Aesthetic of Scenery
- A Study of the Perceptible Sense in Al-Sayab Poetry -

Dr. Eyad A. Othman
College of Education, University of Diyala

Abstract:

The epithet of this thesis which is related with the term of cinematic scenery denotes that investigation reveals the commingling of specific poets with the species of a kind of cinema. It is found that the scene is predominately limbed with metaphor.

The thesis programme is based on the analytic critical mechanism based on aesthetic; in other words, it is a try to investigate the successions of sensible, comprehensive in Al-Sayab scenery.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

Add. : ACADEMY OF SCIENCES

P.O. Box : 4023 AAdamea, Baghdad, Iraq

Tel.: 4224202 Fax: (964-1) 4222066

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

-Annual Subscription: In Iraq (4000) I.D.

Outside Iraq (50 Dollars), air mail not included.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد١٩٧٦ لسنة ٢٠٠٩